

THE  
HAUNTING  
— OF HILL HOUSE —

أفضل  
رواية رعب  
كتبت عن  
منزل مسكون  
على الطلق.  
جريدة  
وول ستريت



رواية

أشباح  
هيل هاوس

شيرلي جاكسون    ترجمة: شيرين هنائي

الرواق، للنشر والتوزيع

# أشباح «هيل هاوس»

شيرلي جاكسون

ترجمة: شيرين هنائي

■ الطبعة الأولى ..... يناير 2020

الخالف: كريم آدم

الصحيح اللغوي: محمد عبد الغفار

رقم الإيداع: 2019/2378

الترقيم الدولي: 978 - 977 - 824 - 069 - 6

جميع حقوق الطبع محفوظة

186 عمارت امتداد رمسيس 2 - أمام أرض المعارض - مدينة نصر

هاتف: 0220812006

rewaq2011@gmail.com

facebook.com/Rewaq.Publishing



رسالة ونشر

# أشباح هيل هاوس

تأليف  
شيرلي جاكسون

ترجمة  
شيرين هنائي

الرواق للنشر والتوزيع





A dedication for my friend Jessica Barg.

Thank you.





## مقدمة المترجمة

رواية «أشباح هيل هاوس» هي الرواية التي كتبتها شيرلي جاكسون بعد أن استلهمت خيوطها من بحث أجراه جماعة من الباحثين في مجال الماورائيات ونشروه لدى جمعية الأبحاث الماورائية في أواخر القرن التاسع عشر. بحثت شيرلي جاكسون في تاريخ المنازل المسكونة والعلوم الماورائية حتى استطاعت في النهاية أن تكتب قصة أشباح خاصة بها من منظور مختلف تماماً عما ساد في عصرها من التركيز على الأحداث المرعبة من دون مراعاة التدقيق النفسي في الشخصيات وتأثير الظواهر الماورائية عليهم بشكل نفسي.

تم تحويل الرواية إلى فيلمين سينمائيين، كان أولهما عام ١٩٦٣ م، وآخرهما عام ١٩٩٩ م. كلا الفيلمين تم طرحة تحت اسم: «THE HAUNTING».

كان الفيلم الأقدم هو الأقرب إلى نص الرواية الأصلي، ونال استحساناً كبيراً من النقاد، بينما لم يحب المشاهدون والتخصصون الفيلم الأحدث، الذي ابتعد نوعاً عن تفاصيل الرواية وميلها العرض التغير النفسي أكثر من تكديس المشاهد المرعبة كما حدث في الفيلم.

تم تقديم العمل أيضاً في شكل مسرحي مرتين، في العامين ١٩٤٦ و٢٠١٥ م.

أذاع راديو «بي بي سي» مسلسلاً إذاعياً مستوحى من الرواية عام ١٩٩٧.

نذكر هنا التجربة الأكثر شهرة، وهي تجربة مسلسل «نيتفليكس» الشهير: «THE HAUNTING OF HILL HOUSE»، الذي غير أغلب تفاصيل الرواية، لكنه احتفظ بالعوامل النفسية التي تميز الرواية الأصلية.. وتلقى المسلسل مدحًا عظيمًا واستحسانًا من أغلب المشاهدين.

أما عن الروائية الأمريكية شيرلي هاردي جاكسون، فقد ولدت في عام ١٩١٦م وتُوفيت عام ١٩٧٥م نتيجة الوزن الزائد والإفراط في التدخين عن عمر ٤٨ عاماً. وقد كتبت ست روايات وما يفوق مائتي قصة قصيرة، كلها في مجال الرعب القوطي.

تلقت «جاكسون» إطراءً عظيماً من روائيين مثل: نيل جايحان، وستيفن كينج، وساره ووترز، وكلير فولمر، وغيرهم.

نشرت شيرلي جاكسون أولى رواياتها عام ١٩٥٤م تحت عنوان «عش الطائر»، التي تحكي قصة امرأة مصابة باضطراب تعدد الشخصيات وعلاقتها بطبعها النفسي.

تبعتها برواية «الساعة الشمسية» وعدد من الروايات والقصص القصيرة الأخرى.

كما كتبت «جاكسون» مسرحية للأطفال بعنوان «الأطفال الأشقياء»، التي استوحيت من رواية «هانزل وجريتل» الألمانية.

حصلت شيرلي جاكسون على عشرات الجوائز، حتى تم إنشاء جائزة

خاصة تحمل اسمها، تُنبع لأفضل الروايات في أدب الرعب والأدب النفسي والفانتازى.

عن تجربتي في الترجمة للروائية شيرلي جاكسون، شعرت لأول مرة، في أثناء قراءتي رواية «أشباح هيل هاوس»، أنني أنا من يكتب لا شخص آخر، كما شعرت بصلة بيني وبين الكاتبة، وكأنّي تناستخ لها.

ظللت فكرة ترجمة أعمالها تلّع على لفترة طويلة للغاية، خاصة أنها تكتب كل ما أتمنى لو استطعت كتابته. كما تميّز أعمالها بمراعاة الجانب النفسي للشخصيات وتأثيره بالخوارق التي يتعرّض لها.

كان أكثر ما أصابني بالخير في ترجمة هذا النص هو اختيار اسم يليق بالأحداث، مع عدم الابتعاد عن الاسم الذي عرفه القراء وجمهور الدراما للنص الأصلي.

كتبت «جاكسون» اسم «Hill House» بحروف تشي بكونه اسم علم، أكد نظرتها تلك استخدامها اسم «هيل هاوس» بإفراط في الرواية مع كل موقف يوحي بأن المنزل كيان عاقل حي، فلم أجد ترجمة «متزل التل» كافية لإضفاء المعنى الذي وصل إلى وإلى كل من قرأ الرواية بخصوص «هيل هاوس» وكونه كياناً عاقلاً يوصف بالشر والدنسة.

كذلك أحبيت أن أترجم معنى أغنية وردت في الرواية، وهي الأغنية التي تحكي جريمة ولاية «جراتان». واهتممت بمراعاة إضفاء سمة الأغنية على الترجمة، فترجمت معنى الأغنية مسجوعاً كان كان في النص الأصلي.

ونظراً الاختلاف العربية عن الانجليزية، فقد تدخلت في إعادة صياغة بعض العبارات بشكل لا يغير أي معنى. كما أعدت تنظيم الحوار في صيغ مفهومية للقارئ العربي من دون الإخلال بالمعنى والألفاظ التي اختارتها شيرلي جاكسون لتأكيد الاختلاف بين الشخصيات.

شمل النص الأصلي عدداً من العبارات التي تدرج تحت قائمة «حديث النفس» والتي كانت ترد على خاطر البطلة «إيلانور فانس» ولا تنتمي للحوار أو السرد العادي، فاختارت لها الخط السميك كي أميزها عن السرد والحوار.

تجربة الترجمة لـ«شيرلي جاكسون» تجربة أصابتني بادمان عوالمها وشخصياتها المترفة والمرسمة بعناية.. فأتمنى أن تتاح لي فرصة قريبة لترجمة باقي أعمالها الروائية والقصصية.

أتمنى أن تروق ترجمة «أشباح هيل هاوس» للقارئ العربي، وأن تكون الرواية إضافة إلى عالم الترجمة بالعربية.



# ١

لا يمكن لأي كائن حي أن يستمر لفترة طويلة في العيش في ظل واقع جاف، حتى إن البعض ليظن أن القراد والجندب لا بد لها من الحلم أحياناً.. لا بأس ببعض الخيال.

يشمخ منزل التل (هيل هاوس) وحيداً في مواجهة التلال من حوله، يحوي الظلام بين جنباته. صمد «هيل هاوس» هنالك لمدة ثمانين عاماً، وربما يظل كذلك لثمانين عاماً أخرى.

في باطنه، استمرت جدرانه منتصبة، وأحجاره متراصة، وأرضياته راسخة، وأبوابه موصدة.. يغفو الصمت هائلاً في «هيل هاوس». وأياً ما كان يجول في جنباته، يجول وحيداً.

\* \* \*

كان «جون مونتاجيو» يحمل درجة الدكتوراه في الفلسفة، وحصل على درجة العلمية في علم الإنسان. إحساس غامض يقوده إلى الظن أن تحليل التجسدات الماورائية بشكل علمي يكمن في ذلك التخصص.

ويسبب بُعد أبحاثه عن المنطق العلمي المعروف، كان متوجّساً من استخدام لقبه كدكتور، لكنه كان دوماً يأمل في بعض الاحترام والسلطة العلمية استناداً إلى تعليمه؛ فقد كلفه إيجار «هيل هاووس» ملدة ثلاثة أشهر كثيرة من المال، وعلى الرغم من كونه موسراً، فإنه كان يطمح إلى مساندة - مالية أو معنوية - من جهات علمية تدعمه، خاصة أنه قد أعلن عن موضوع تجربته الخاصة بأسباب وأثار الاختهارات النفسية داخل بيته مما يطلق عليها «أماكن مسكونة بالأشباح».

كان يبحث، طيلة حياته، عن منزل مسكون حقيقي، وعندما سمع عن «هيل هاووس»، انتابته الشكوك في البداية، ثم قذفته الشكوك إلى الأمل ثم التحمس. فلم يكن في مقدوره أن يترك «هيل هاووس» يُفلت من بين قبضته ما إن وقعت عيناه عليه.

كانت نوايا دكتور «مونتاجيو» تجاه «هيل هاووس» مستمدّة من أساليب صاندي أشباح القرن التاسع عشر البواسل.. سيدهب للإقامة في «هيل هاووس» ويرى بنفسه ما يجري.. كان ينوي، في البداية، أن يجدوا حدو سيدة مجهولة الاسم، ذهبت لتفضي «باليشن هاووس»، أكثر المنازل المسكونة رعباً في إنجلترا، بل أقامت حفلات تجمع فيه المشككين والمؤمنين بالخوارق ليشاهدو فيه تحليات الأشباح ويلعبون الكروكيه! لكن من أين له اليوم بالمشككين والمؤمنين ولاعبين الكروكيه؟

لذا، وجب على دكتور «مونتاجيو» أن يبحث عن مساعدين له

في تجربته، وهو بحثٌ عسير؛ حيث بدا له أن المهتمين بالماورائيات قد انقرضوا ولم يعُد أحد يملك المزاج الفيكتوري الرايق لتجربة مثل تلك الأمور.

ولأنه كان يعتبر نفسه شخصاً حريضاً وواعياً، ظلَّ وقتاً لا بأس به في رحلة البحث عن مساعدين مناسبين، فمشط سجلات المرضى النفسيين، وصحف الإثارة، وأبحاث العاملين بعلم الماورائيات، وحصل على قائمة بأسماء أشخاص، متصلين بشكل أو باخر، في وقت ما ولو بشكل عابر، بأحداث غير عادية.

من خلال هذه القائمة، قام بحذف أسماء من ماتوا، ومحبى لفت الأنظار، فحصل على ما يقارب الائتين عشر اسماً. كل منهم سيصل إليه خطاب من دكتور «مونتاجيو» يدعوه فيه إلى قضاء الصيف، أو بعض منه، في منزل ريفي عتيق، لكنه مؤثث ومجهز بكل ما يلزم من وصلات مياه وكهرباء وتدفئة مركبة وفرش نظيفة.

وكان الغرض من تلك الإقامة - كما ورد في الخطابات - هو تقضي حقيقة القصص والادعاءات البغيضة التي لازمت «هيل هاووس» طيلة الشهرين عاماً الفائتة، لكن لم يذكر دكتور «مونتاجيو»، بشكل صريح، أن «هيل هاووس» مسكون بالأشباح.. فلأنه رجل علم، لم يجب فقط الجزم بشيء كهذا والإفصاح عنه قبل أن يرى بنفسه أحد التجسدات الميتافيزيقية في المنزل.

لم يصل إلى دكتور «مونتاجيو» ردٌّ عن دستة خطاباته المرسلة سوى من أربعة أفراد.. أما الباقون فيبدو أن الخطابات لم تصل إليهم بشكل أو باخر، أو هم فقط فقدوا الاهتمام بالماورائيات، بل ومن المحتمل

أنهم كانوا أشخاصاً وهميين لم يوجدوا في العالم قط.

أما من وصلت إليه ردودهم، فقد كتب إليهم محدداً يوماً مناسباً لاجتماعهم، حين تكتمل فيه استعدادات «هيل هاووس» لاستقبال تجربته. ثم أرفق خطاباته بوصف تفصيلي للطريق؛ فقد كان «هيل هاووس» مكاناً يصعب الوصول إليه بدرجة كبيرة، جزء من هذه الصعوبة كان بسبب من يحيطون بالمنطقة من ريفيين.

في اليوم السابق لانتقال دكتور «مونتاجيو» إلى «هيل هاووس»، رأى أنه من الصائب أن يصحب معه في تجربته فرداً من العائلة المالكة للمنزل كممثل عنهم، بينما وصل إليه خطابان يعتذر في أحدهما أحد المرشحين عن عدم الحضور لظرف مفتعل للغاية، والأخر لم يجد سبيلاً لاعتذاره.. أما المرشحتان المتبقيتان فقد جاءتا.

## ٣

كانت «إليانور فانس» في الثانية والثلاثين حين جاءت إلى «هيل هاوس»... الشخص الوحيد الذي كرهته بصدق - بما أن والدتها قد ماتت بالفعل - هو اختها. لم تكن تميل كثيراً إلى زوج اختها وابنها ذي الأعوام الخمسة أيضاً، ولم يكن لديها أصدقاء.

يعود ذلك إلى الأحد عشر عاماً التي قضتها منعزلةً في رعاية أمها المريضة، ما خلف لها بعضاً من مهارات التمريض، وقوة تحفّنها من مواجهة الصعاب من دون أن يطرأ لها جفن.

لم تستطع «إليانور» أن تذكر قط أي بهجة في حياتها المنصرمة، بينما تغزل فترةً تغريض أمها خيوطاً شعورين مترابطين بالذنب واللامة، بالضجر واليأس..

لم يكن لها الخيار في خجلها وتحفظها؛ فلم يكن في مقدورها الحديث إلى شخص آخر من دون ارتباك وهرولة خلف الكلمات المتفلترة من لسانها؛ فلم تجد أبداً من تحبه ويبادلها الحب.

عندما كانت في الثانية عشرة من عمرها، وأختها في الثامنة عشرة، ولم يكن قد مر على وفاة والدهما شهر، انهالت من السماء جلاميد من الصخر على منزلهما بلا إنذار أو سبب! استمر الوضع العجيب لمدة ثلاثة أيام، خلالها لم ينقطع تجمّع الجيران والمارة حول البيت ليشاهدو تلك الظاهرة الغريبة، بينما أصرت أمها أن ما يحدث هو نتيجة لمكيدة من الجيران الذين يُضمرون لها الشر منذ سكنت في الجوار. بعد تلك الأيام الثلاثة، انتقلت «إيلانور» وأختها للإقامة مؤقتاً عند صديق، وتوقف انهيار الصخور ولم تعد تلك الظاهرة للحدوث بعدها مرة أخرى. وحين عادت العائلة لمنزلها ثانية، لم ينقطع العداء والشك من جهة جيرانهم.

اختفت القصة تماماً من ذهني «إيلانور» وأختها، على الرغم من تبادلها الاتهامات وقتها أن إحداهما من تسبّبت في تلك الأحداث، حتى عادت الحادثة للظهور في قائمة دكتور «مونتاجيو» للحوادث المأورائية.

خلال الحياة المنسحقة التي عاشتها «إيلانور»، تحمل أمها من الفراش لكرسيها المتحرك، والعكس، تحمل أطباق الحساء والشوفان ذهاباً وإياباً، تختلس أوقات وهنها في حجرة الغسيل تبكي، لكنها دائمًا ما كانت تؤمن بأن الأيام المقبلة ستتحمل لها دهشة ما، كانت تطمح إلى شيءٍ مثل «هيل هاووس».

وحين وصل إليها خطاب دكتور «مونتاجيو»، قبلت عرضه بلا تفكير، على الرغم من إصرار زوج اختها على أن يتقصّوا أمر هذا الدكتور الغامض ونواياه قبل أن تقبل، بينما أشارت اختها إلى أنه من غير اللائق أن ت safِر فتاة غير متزوجة وحدها لمكان مجهول مع شخص

غير معروفين؛ فقد افترضت أن دكتور «مونتاجيو» - إن كان هذا هو اسمه الحقيقي - ربما يُضمِّر لها شرًّا أو ينوي إجراء تجرب من نوع ما عليها، لكن هذا كله لم يفت في عضد «إليانور»؛ فقد قررت أن تذهب إلى «هيل هاووس» على الرغم من كل شيء.

\* \* \*

«ثيودورا»، ذاك كان اسمها، مكتوب على لافتة متجرها وشقتها وقائمة الهاتف وصورتها الفوتوغرافية الصغيرة الموضوعة على رف المدفأة، بينما كانت تحمل لوحاتها توقيع «ثيو» فقط.

لم تكن «ثيودورا» تشبه «إليانور» بأي طريقة.. الواجب والضمير بالنسبة لها كانا يتيميان إلى خلق فتيات الكشافة ولم يعنيها لها شيئاً فقط. عالم «ثيودورا» كان مبهجاً، ملواناً.. وجاء ذكرها في قائمة دكتور «مونتاجيو» لأنها - إلى جانب العطر الذي يتبع ضحكياتها الصاحبة في المعمل - قد استطاعت أن تثبت مهارة استنتاج أغلب الرسوم على أوراق اللعب المحجوبة عنها في معمل تجارب علم «الباراسيكولوجي»، مثبتة بلا شك أنها تحمل إدراكاً فائقاً للحواس من نوع ما.

ابتهجت «ثيودورا» حين وصل إليها خطاب دكتور «مونتاجيو»، وقامت بالرد عليه بدافع الفضول لا أكثر، لكن ربما موهبتها الفائقة للحواس جعلتها تستشعر أمراً أكثر إثارة من ذلك الخطاب، ما حرك فضولها، لكنها كانت على نية مسبقة لرفض العرض، لكن ما إن وصلها خطاب لتأكيد الموعد من دكتور «مونتاجيو» حتى واتتها الشعور المل

الغامض بالموافقة، ووُجدت نفسها منساقه نحو عراك عنيف مع صديقتها المقيمة معها. تبادلتا كلامات من النوع الذي لا يمكن التراجع عنه، قامت «ثيودورا»، من طرفها، بتهشيم مجسم صغير - كانت قد نحتته لها صديقتها - إلى ألف قطعة، بينما مزقت صديقتها نسخة من كتاب «ألفريد دو موسيه» كانت قد أهدتها «ثيودورا» إياه في يوم ميلادها، متخذةً من تقطيع الصفحات التي أحبت «ثيودورا» محتواها لذة انتقام لا توصف.

بالطبع تلك أفعال لا تُغتفر، وقبل أن تضحكا على فعلتهما الطفوليتين كعهدهما وتنسيا ما حدث، قامت «ثيودورا» بكتابه تأكيد وأرسلته لدكتور «مونتاجيو»، وغادرت الشقة في هدوء بارد في الصباح التالي.

\* \* \*

كان «لوك ساندرسن» كذوياً، وكان لصاً. دائمًا ما كانت عمتها، مالكة منزل «هيل هاوس»، تشير إلى أن «لوك» قد حصل على أرفع تعليم وأفضل ملابس وأروع ذوق، لكنه حظي كذلك بأسوأ صحبة سمعت بها منذ ولادتها. كانت تأمل دومًا في فرصة تغافله بضعة أسابيع بعيدًا عن رفقة السوء تلك، فأرسلت محاميها يخبر دكتور «مونتاجيو» أن «هيل هاوس» لن يتم تأجيره له لأغراضه البحثية من دون وجود فرد من العائلة المالكة للمنزل. وعند لقاء دكتور «مونتاجيو» «لوك» لأول مرة، لمس فيه قوة خاصة وغريزة حفاظ على النفس تشبه غريزة القطة، ما جعل الدكتور قلقاً من صحبته على النحو ذاته الذي كانت تشعر به السيدة «ساندرسن» وللأسباب نفسها.

لكن «لوك» كان مسليناً لطيف الصحبة؛ لذا قبل الدكتور «مونتاجيو» صحبته برضاء نفس فشكرته العمة متنفسة الصعداء.

تأكد المحامي من أنه ما من شيء بالمتزل يمكن لـ«لوك» سرقته؛ فعلى الرغم من وجود بعض المقتنيات الثمينة في «هيل هاوس»، فإنها ستلزم من «لوك» مجهدًا جمًا لسرقتها وتحويتها إلى ما يمكن بيعه بسهولة.

ولكم ظلمت السيدة «ساندرسن» «لوك» بظنها؛ فهو لن يهتم بسرقة فضيات «هيل هاوس»، أو ساعة جيب دكتور «مونتاجيو»، أو سوار «ثيودورا». فكانت وضاعته تنحصر في سرقة المال من حقيبة عمتة والغش في أوراق اللعب. وكان لا يجد غضاضة أبدًا في بيع الهدايا الثمينة التي يتلقاها من أصدقاء عمه بشغف وامتنان. وسیرت «لوك» «هيل هاوس» يومًا ما، لكنه لم يفكر قط أنه سيقيم فيه.

### ٣

قال زوج أخت «إليانور» بعناد:

- أنا فقط لا أحبذ أن تأخذ السيارة.

صاحت «إليانور»:

- السيارة سياري بالمناصفة! لقد أسهمت في ثمنها!

رمق زوج أخت «إليانور» زوجته طلباً للمؤازرة:

- أنا فقط لا أحبذ أن تأخذها.. هبّي أن «ليني»، الصغير، مريض  
واحتاجنا إلى سيارتنا لنقله إلى المشفى؟

- السيارة سياري بالمناصفة، وأنا أريدها!

ردت أختها «كاري» بتؤدة وهدوء:

- لا أظني سأسمح بذلك، نحن لا نعرف الوجهة التي ستذهبين إليها

ولا أي رفقة ستصحبـين.. هل نعرف؟ لا! لا أظـنـي سأترك سيارـتي لكـ.

- لكنـها سيـارـتي بالـمنـاصـفة!

- لا.. لن أسمـعـ لكـ بـأخذـها.

- صـحـيحـ، كـما قـالـتـ «ـكـاريـ»، نـحنـ نـحـتـاجـ إـلـيـهاـ.

قاـلـهـا زـوـجـ الأـخـتـ بـثـقـةـ.

ابتـسـمـتـ «ـكـاريـ» وأـرـدـفـتـ:

- لنـ أـسـامـعـ نـفـسيـ إنـ تـرـكـتـ لـكـ السـيـارـةـ وـحدـثـ خـطـبـ ماـ، كـيفـ لـنـاـ

انـ ثـقـ بـذـلـكـ الدـكـتـورـ؟ مـازـلـتـ اـمـرـأـةـ صـغـيرـةـ وـالـسـيـارـةـ تـسـاـوـيـ الكـثـيرـ!

- لقدـ تـقـصـيـتـ بـدـقـةـ عنـ الدـكـتـورـ «ـموـنـتـاجـيوـ» وـعـرـفـتـ أـنـهـ رـجـلـ

ثـقـةـ يـعـمـلـ فـيـ جـامـعـةـ...ـ

قاـاطـعـتـهاـ «ـكـاريـ»:

- بـالـطـبعـ لـدـيـكـ أـسـبـابـ الـجـاهـزـةـ لـافـتـراـضـ حـسـنـ سـمعـتـهـ، لـكـ

الـعـزـيزـةـ «ـإـلـيـانـورـ» لـمـ تـخـبـرـنـاـ إـلـىـ أـيـ مـكـانـ سـتـذـهـبـ أـوـ كـيفـ نـصـلـ إـلـيـهاـ إـذـاـ

احـتـجـنـاـ إـلـىـ السـيـارـةـ..ـ رـبـيـاـ يـحـدـثـ لـكـ مـكـرـوـهـ وـلـاـ نـعـرـفـ بـهـ أـبـدـاـ.ـ حـتـىـ لـوـ

كـانـتـ الصـغـيرـةـ «ـإـلـيـانـورـ» عـلـىـ اـسـتـعـدـادـ لـبـلـوغـ آـخـرـ الـأـرـضـ تـلـبـيـةـ لـدـعـوـةـ

رـجـلـ غـامـضـ،ـ فـلـاـ يـوـجـدـ سـبـبـ أـبـدـاـ لـاقـتـراـضـ سـيـارـتـناـ.

- إـنـهـاـ سـيـارـتـيـ بـالـمـنـاصـفـةـ!

- اـفـتـرـضـيـ أـنـ الصـغـيرـ «ـلـيـنيـ» مـرـضـ فيـ الجـبـلـ فـيـ أـثـنـاءـ إـجـازـتـنـاـ وـلـمـ

نـجـدـ مـنـ يـنـجـدـهـ،ـ أـلـنـ نـحـتـاجـ إـلـىـ السـيـارـةـ وـقـتـهـ؟ـ

- على أي حال يا صغيرتي «إليانور»، أنا أفعل ما كانت أمي ستفعله لو كانت مكانني.. كانت أمي تثق بي وتعرف أنني لن أترك لك الجبل على غاربته، تذهبين حيث شئت بسيارتك.

- هببي أنني أنا شخصياً مرضت في الجبل في أثناء إجازتنا...

- أنا متأكدة أن أمي كانت ستحبذ رأيي يا «إليانور».

قال زوج اخت «إليانور» متھمساً وكأن فكرة مقاومة هبطت عليه من السماء:

- كيف سنعرف أنها ستعيد السيارة بحالة جيدة حتى؟ هه؟

\* \* \*

- لا بد من مرة أولى دائمة.

قالت لها «إليانور» لنفسها وهي تنزل من سيارة الأجرة في الصباح الباكر، تعطى السائق بقشيشاً وافراً وتنظر خلفها في قلق متسائلة ما إذا كانت اختها وزوجها يتبعانها، يقفنان عند المتعطف ويتهامسان:

- ها هي ذي اللصنة، بالضبط كما ظننا.

انعطفت «إليانور» بسرعة نحو جراج المدينة الكبير، حيث يحتفظون بسياراتهم المشتركة.. ظلت تنظر خلفها في حذر نحو نهاية الشارع فاصطدمت بسيدة ضئيلة فتناثرت محتويات أكياسها البلاستيكية في كل اتجاه. أبصرت «إليانور» شرائح الطماطم وقطع كعك الجبن وبقايا لفائف المخبوزات تنحدر تحت أقدامهما.

صاحت السيدة الضئيلة وهي تدفع وجهها تجاه وجه «إليانور»:

ـ عليك اللعنة، عليك اللعنة! كنت سأخذها للبيت، عليك اللعنة،  
عليك اللعنة!

انحنت «إليانور» محاولة جمع ما تناول، لكن بدا جمع شرائح بطاطس  
وفقات مخبوزات أمراً مستحيلاً. بينما راحت السيدة تجمع باقي أكياسها  
السليمة بعيداً عن متناول يد «إليانور».. أخيراً استقامت «إليانور»  
واقفة باسمة في حرج:

ـ أنا آسفة، أنا آسفة فعلاً.

ـ عليك اللعنة.

قالتها العجوز وأضافت في عجلة:

ـ كنت آخذها للغداء، والآن.. بفضل رعوتك...

ـ ربما أمكنني تعويضك..

قالتها «إليانور» وهي تفتح حفظتها، بينما وقفت السيدة ثابتة تماماً  
تفكر، ثم انفرجت شفتها العجوز عن غضب جم، هاتفة:

ـ لن أستطيع أخذ المال هكذا.. لم أشتري تلك الأشياء كما ترين، لقد  
كانت مجرد بقايا..

لو كنت رأيت اللحم هناك، لكن أحدهم قد استولى عليه قبلي.  
وكتل الشوكولاتة، وسلطنة البطاطس.. وتلك الحلوي في الأطباق  
الورقية الصغيرة.. لقد تأخرت كثيراً عن هذا كله.. والآن..

نظرت كلتاهما إلى الفوضى على الرصيف وهتفت العجوز:





## ك

كان يوماً صيفياً بهيجاً، من نوعية الأيام التي تعيد «إليانور» إلى ذكريات طفولتها، حين كان العالم يندو في صيف أبدي. لا تستطيع تذكر أي شتاء قبل موت أبيها في يوم مطير. ولطالما تساءلت فيما بعد عرّا أضاع تلك الأيام الصيفية كلها، كيف أهدرتها كهذا؟ كنت ساذجة، وأنا الآن ناضجة وأعرف قيمة الأشياء جيداً.

لم يهدر شيء أبداً، حتى طفولة المرء، لكن في كل عام مع نفحات رياح الصيف الصباحية الدافئة، يمس عقلها خاطر مرير: كيف تركت الأيام كلها تذهب سدى؟

في ذلك الصباح، وهي تقود السيارة المملوكة لها ولاختها بالمناصفة، ابتسمت حين تخيلت تخطي أختها وزوجها حين يعرفان ما فعلته بالسيارة. تكاد ترى هلهلها ومحاولة تتبع الطرق التي قد تكون سلكتها في هروبها. تبتسم حين ترى نور الشمس يلمع على الطريق أمامها، لقد اتخذت خطوةً ما أخيراً، أنا أتحرر!

حين حصلت من اختها على موافقة على قيادة السيارة الصغيرة، قالت تقود بحرص شديد حتى لا تُتلف السيارة أو تعرّضها لخدش، ما كان سيثير حفيظة اختها ومن ثمّ تمنعها من القيادة مرة أخرى. لكن اليوم - مع صندوق حاجياتها على المعد الخلفي وحقيقتها جوارها، مع فنازيرها ومعطفها الخفيف ومحفظتها - السيارة مملوكة بالكامل لها، عالم صغير يحتويها. أنا حقاً أتحرر.

مع آخر إشارة مرور في المدينة، ومع دخولها إلى الطريق السريع، أوقفت السيارة وأخرجت خطاب دكتور «مونتاجيو» الذي يحوي تعليمات الطريق. فكرت: غالباً لن أحتاج إلى خارطة، لا بدّ أنه رجل مدقق حريص.

«الطريق ٣٩ إلى آشتون»، كما ذكر الخطاب «ثم انعطفي يساراً إلى طريق ه المتوجه غرباً وستصلين إلى قرية هيلزديل الصغيرة. اقطععي هيلزديل حتى تصلي إلى حيث الكنيسة على اليمين ومحطة الوقود على اليسار، ثم انعطفي يساراً إلى ما سيدو لك طريقاً ريفياً ضيقاً، سوف يصعد بك الطريق نحو التلال حيث يسوء الطريق أكثر فأكثر. اتبعي الاتجاه ذاته حتى تصلي إلى آخر الطريق - حوالي ستة أميال - وستصلين إلى بوابة «هيل هاووس». أكتب لك تلك التفاصيل حتى لا تضطري إلى التوقف في هيلزديل والسؤال عن الاتجاهات؛ فأهل القرية غلظاء وفحرون مع كل من يسأل عن «هيل هاووس».

أنا سعيد بحضورك لرفقتك في «هيل هاووس»، وسيسرني استقبالك في يوم الخميس الحادي والعشرين من يونيو..

انفتحت إشارة المرور، فدلفت إلى الطريق السريع متخرجةً من وطأة المدينة، همست لنفسها: لن يستطيع أحدُ اللحاق بي الآن، ولن يعرف أحدٌ أي طريق سلكت.

لم تقدِّ «إليانور» لمسافة كهذه من قبلٍ، لكنها قسمت الطريق إلى محطات تسهيله عليها. كانت الرحلة في حد ذاتها هي الفعل الإيجابي التي طالما تمنته.. وجهتها الغامضة غير المتخيلة، وربما غير الموجودة من الأساس.

تعمدت الاستمتاع بكل تفصيلة في طريقها، الأشجار والمنازل والقرى الصغيرة القبيحة. تتسلل باغاظة نفسها بفكرة قد تطرأ على باحها في أي وقت تجعلها توقف السيارة في أي مكان - على الرغم من كون ذلك غير مسموح - وتحمّل على قدميها بين الأشجار إلى البقاع الريفيية الرائعة الكامنة خلفها. ربما تحول حتى تتعب، تطارد الفراشات وتتبع الجداول، وتحضي ليلتها في كوخ حطّاب فقير يعرض عليها أن تُحضي ليلتها عنده.

ربما تُحضي بقية حياتها في شرق بارينجتون أو ديزموند أو تلك القرية المنشقة عن برج.

ربما لا تترك الطريق أبداً، مستمرة في القيادة حتى تبلِّي عجلات السيارة وتصل إلى نهاية العالم.

وفكّرت «إليانور»: ربما أذهب إلى «هيل هاوس»، حيث أحدهم يتظرني ويمنحني الإقامة والطعام والتعويض المادي مقابل تركي مهامي في المدينة وتطوعي في هذه التجربة. ترى كيف يبدو الدكتور «مونتاجيو»؟



كيف يبدو «هيل هاوس»؟ أتساءل: من سيكون هناك برفقتنا؟

كانت قد ابتعدت عن المدينة الآن، مقبلة على مدخل الطريق ٣٩، ذلك الطريق السحري الذي اختاره لها دكتور «مونتاجيو» من بين جميع الطرق في العالم، كي يقودها إليه وإلى «هيل هاوس». ليس ثمة طريق آخر يأخذها من حيث كانت إلى حيث ت يريد سوى هذا الطريق.

الطريق - صديقها المقرب الآن - تلوى وانعطف تحت عجلات سيارتها، كاشفاً عن مفاجآت صغيرة: بقرة تحدق إليها من وراء سور أصين، كلب فضولي، الحقول والبساتين تشي باقتراب القرية الصغيرة عند سفح التلال..

في الطريق الرئيسي للقرية، يتصب منزل بسيط جليل، مغلقة نوافذها بمساريع خشبية، يحرس سلامته الحجرية تمثالان لأسدين. خطط لها أن تسكن هنا في يوم ما، تنظف الأسدin من التراب كل صباح، وتربيت على رأسيهما متميزة لها ليلة طيبة في المساء. بدا لها وكأن الزمن نفسه قد بدأ صبيحة اليوم، لقد عشت عمرًا كاملاً في لحظات، أنظف الأسدin من الغبار صباحاً وأربت على رأسيهما ليلاً متميزة لها ليلة طيبة. ومرة في الأسبوع أغسل وجهيهما وخالفهما بالماء والصودا، وأنظف أسنانهما بخرقة. وفي داخل المنزل، كل الحجرات ذات سقف عالي، وأرضية لامعة نظيفة ونوافذ ناصعة. سيدة رقيقة عجوز تعتنى بي، تتحرك في المنزل ب أناقة حاملة صحفة عليها طاقم الشاي الفضي، وتحضر لي كأساً من النبيذ المعتق كل ليلة لأجل صحتي. أتناول عشائي وحدي في هدوء على منضدة العشاء المصقوله. وعلى الحواشط تضيء الشموع. يتكون عشائي من لحم الطير والفجل من الحديقة، مع مربي البرقوق متزلية الصنع.

وَحِينَ أَنَامْ، أَسْتَلِقِي تَحْتَ سِيَاءَ مِنَ الْأُورْجَانْزَا الْبَيْضَاءَ عَلَى حِينْ  
بِحْرِسْنِي ضَوءَ خَافِتَ مِنَ الصَّالَةِ. يَنْحَنِي النَّاسُ لِي فِي الطَّرْقَاتِ فَخُورِينَ  
بِأَسْدِيَّ، وَحِينَ أَمُوتَ...

كَانَتْ قَدْ تَرَكَتِ الْبَلْدَةُ الصَّغِيرَةُ خَلْفَهَا الْآنَ، وَتَتَجَهُ نَحْوَ طَاوُلَاتِ  
وَكَرَاسِيٍّ وَلَافَاتٍ مَهْرَئَةٍ مَكْسُورَةٍ، يَبْدُو كَأُنْهَا مُخَلَّفَاتٍ مِنْ مَهْرَاجَانِ  
كَانَ هُنَا يَوْمًا. كَانَتِ الْلَّافَاتُ تَحْمِلُ أَجْزَاءَ مِنْ كَلِمَاتٍ مُتَنَاثِرَةً: «جَسُورًا»  
وَ«شَيْطَانًا».. لَا بُدَّ أَنْ سَبَاقَاتِ الدَّرَاجَاتِ النَّارِيَّةِ الَّتِي تَحْمِلُ اسْمَ «الشَّيْطَانِ  
الْجَسُورِ» كَانَتْ تُقامُ هُنَا أَيْضًا. ضَحَّكَتِ «إِلَيَّانُورُ» عَلَى مَسْخَفِ تَفَكِيرِهَا،  
وَكَيْفَ أَنْهَا تَرَى النُّذُرَ فِي كُلِّ شَيْءٍ. «الشَّيْطَانِ الْجَسُورِ» بِعِرْدَاسِمِ سَبَاقَاتِ  
يَا «إِلَيَّانُورِ»، وَلَا شَيْءَ آخَرَ مَا تَظَنِّيهِ.

قَامَتْ يَابْطَاءَ سَرْعَتْهَا قَلِيلًا كَيْ لَا تَبْلُغُ «هِيلِ هَاوْسِ» قَبْلَ موَعِدِهَا،  
ثُمَّ أَوْقَفَتْهَا تَمَامًا عَلَى جَانِبِ الطَّرِيقِ وَرَاحَتْ تَرْمِقُ مَا حَوْلَهَا فِي ذَهَولٍ؛  
فَعَلَى الرَّغْمِ مَا أَبْصَرَتِهِ فِي طَرِيقِهَا مِنْ مَرَاعٍ وَبِسَاطَاتٍ وَحَقولَ أَزْهَارِ  
الْدَّفْلَةِ الْقَرْمِيَّةِ وَالْبَيْضَاءِ فِي صَفَوْفَهَا الْبَدِيعَةِ، وَصَلَّتْ الْآنَ إِلَى بُوَابَةِ  
تُنْهِيَّ هَذَا الْجَمَالِ وَتَقْطُعَهُ، مَحْمُولَةَ بَيْنِ عَمُودَيْنِ صَخْرَيْنِ، مِنْ خَلْفِهَا  
حَقولَ خَاوِيَّةٍ مَحَاطَةٍ بِحَرَسَيْنِ مِنْ أَزْهَارِ الدَّفْلَةِ. وَفِي هَذَا الْخَوَاءِ يَمْخُرُ  
طَرِيقُ مَوْحِشٍ نَحْوَ نَهَايَةِ الْجَدُولِ.

مَا الَّذِي كَانَ هُنَا وَلَمْ يَعُدْ كَذَلِكَ؟ مَاذَا سِيَكُونُ لَوْ جَدَ شَيْءًا مَا فِي  
هَذَا الْجَدُولِ؟ مَنْزَلٌ، حَدِيقَةٌ، مِزْرَعَةٌ؟ وَهَلْ اخْتَفَتْ مِنْ هُنَا لِلْأَبْدِ أَمْ  
سَتَعُودُ مَرَةً أُخْرَى؟

أَزْهَارُ الدَّفْلَةِ سَامَةٌ، أَعْرَفُ ذَلِكَ، هَلْ يَمْكُنُ أَنْ تَكُونَ هُنَا حَارِسَةً  
لِشَيْءٍ مَا؟ هَلْ أَخْرَجَ مِنْ سِيَارَتِي وَأَسْيَرَ نَحْوَ مَرْبِعِ الدَّفْلَةِ السَّحْرِيِّ

وأجد أنني قد توغلت في أرض خيالية محمية بالسم من أعين المارين؟  
هل أعبر إلى منطقة محرمة عند ولو جي بين الأعمدة لأجد أنني قد  
كسرت تعويذةً ما؟ هل أجد نفسي في وسط حدائق غناء والنافورات بين  
المقاعد المنخفضة المرصعة بالأزهار؟ سأجد مشى وحيداً بمهدًا بالياقوت  
والزمرد، خلق لتمشي عليه ابنة ملك بقدميها الدقيقتين في صندها الرقيق،  
وسيفودي المشى إلى القصر المسحور. أسير مارةً بالنافورات، صاعدة  
السلام الحجرية التي يحرسها ثالاثان ضخمان لأسدين، لأجد الملكة  
لانتظاري، تبكي الأميرة المفقودة. وحين تبصرني ستسقط من فوق  
لخدتها قطعة التطريز، وتنادي الخدم ليعدوا لي مأدبة أسطورية؛ لأن  
السحر قد زال وانفكَّت اللعنة وعاد القصر إلى سابق طبيعته. وسنحينا  
سعاده معًا للأبد.

بالطبع لا، تعود «إليانور» لتشغل سيارتها، لو انفكَّت لعنة القصر  
فسيزول السحر كله، وسيعود كل ما أحاط بالقصر إلى أصله. تلك  
الحدائق والقرى والأبقار كلها سترجع مروجًا خضراء يانعة كلوحة  
من قصة خيالية، ثم سيأتي الأمير راكبًا على جواده وسط المئات من  
الشّابين من جهة التل، تلتلمع في الشمس جواهرهم ودروعهم.  
ضحكت «إليانور» وودعت أزهار الدفلة السحرية: يومًا آخر،  
ربما، سأعود لأكسر تعويذتكم.

توقفت للغداء بعد أن قادت مئات الأميال. وجدت مطعمًا ريفيًّا  
صغيرًا يعلن عن نفسه تحت اسم «الطاحونة القديمة». وجدت لنفسها  
مقعدًا بجوار شرفة تطل على جدول متدافع.

ظلت ترمق الصخور المبتلة والماء الثقي يتکسر عليها وهي تأكل من طبق من الجبن القرיש وأعواد الذرة. ولأنها الآن في أرض الأمنيات الممكنة، ظلت تفكّر دوماً في «هيل هاووس» الذي يتّظرها في نهاية اليوم المرهق.

الوحيدون في الجوار كانوا عائلة مكونة من أم وابن وابنة، وكانوا يتّبادلون حديثاً هامساً ورقيناً. التفت الفتاة الصغيرة ونظرت إلى «إليانور» بفضول جاد للحظات، ثم ابتسمت. انعكس ضوء الشمس على مياه الجدول والمناضد اللامعة وحط على شعر الفتاة الملتف فزاده بريقاً. قالت الأم:

- هي فقط تريده كوب النجوم خاصتها.

نظرت «إليانور» متعاجلةً، كانت الفتاة تغوص في كرسيها رافضة تناول الحليب، بينما يعبس أبوها ويقهقه أخوها وتكرر الأم:

- هي فقط تريده كوب النجوم خاصتها.

بالتأكيد، أنا أيضاً أريده، كوب النجوم خاصتي!

ابتسمت الأم في حرج وراحت توضّح للمضيفين الذين صُعقوا لظنهم أن حليب الطاحونة القديمة لم يُرق للطفلة:

- تريده كوبها الصغير، المنقوش على قاعه من الداخل نجوم صغيرة، ذاتها ما تشرب اللبن فيه في المنزل وتشاهد النجوم الصغيرة المنقوشة في قلبه تظهر رويداً رويداً وهي تشرب؛ لذا تسميه كوب النجوم.

هزَ النادل رأسه غير مقنع، بينما همست الأم للفتاة:

ـ ستشرين الليل في كوب النجوم حين نعود إلى المنزل.. لكن  
الآن، كوني فتاة طيبة وأشربه من هذا الكوب.

لا تفعل ذلك! صمّمي على كوب النجوم خاصتك! حين يخدعونك  
يكلّاهم كي تكوني مثل أي شخص آخر، لن تري كوب النجوم مرة  
أخرى!

نظرت الفتاة الصغيرة نحوها وابتسمت ابتسامة متفهمة وهزت  
راسها رافضةً في عناد أن تشرب الحليب على طريقتهم.

**فتاة شجاعة! فتاة شجاعة حكيمة!**

صاحب الأب مقطعاً جبينه:

ـ أنتِ تفسدينها بالدلائل.. لا ينبغي لها التعلق بتلك التفاهات.  
وضعت الأم زجاجة الحليب وقربت الآيس كريم من الفتاة العابسة:  
ـ هذه المرة فقط، كلي الآيس كريم إذا.

وحيث همت الأسرة بالرحيل، لوحّت الفتاة الصغيرة مودعة «إليانور»،  
وبادلتها «إليانور» الوداع. شرعت «إليانور» تنهي قهوةها في فخر وهي  
الفكر أنها في متصرف طريقتها إلى «هيل هاووس»، تراقص في عقلها  
لحمة من أغنية قادتها لقولة من مسرحية لا تذكر اسمها: «في التأخير  
لا يكمن الكثير»؛ فالمتأخر دوماً ما يخسر ملذات البدايات.

كادت تمكث أبداً خارج آشتون، مجرد أنها أبصرت كونها صغيراً  
مندساً في حديقة: يمكنني أن أعيش هنا للأبد.

تنظر إلى باب الكوخ الأزرق الموصد في شرود: لن يجدني أحد هنا أيضاً، خلف تلك الزهور كلها. سأتأكد من زراعة بعض أزهار الدفلة السامة أيضاً. سأشعل النار في الليالي الباردة وأشوي التفاح على هيبيها. سأربى القطط البيضاء وأحيك الستائر البيضاء للتوافد. وأحياناً سأخرج لأنبعض بعض الشاي والقرفة والخيوط. يأتي لي الناس لقراءة طالعهم وسأحضر وصفات الحب للعذاري الحزينات. سأحصل على عصفور أبي الحن... .

لكن الكوخ كان بعيداً ولا يزال الطريق أمامها طويلاً، وقد آن الأوان لتعود إلى إرشادات دكتور «مونتاجيو».

«انعطفي يسراً إلى طريق ه المتوجه للغرب».. هكذا يذكر خطاب دكتور «مونتاجيو» وكأنه يحرّكها عن بعد بأدوات تحكم في يديه.

كانت على طريق ه وقد شارت رحلتها على الانتهاء، ويدلّاً من أن تُكمل إرشاداته بحذافيرها قررت التوقف لدقيقة في هيلزديل؛ فقط لأنها لم تتحمل أن تستهني برحلتها بهذه السرعة. فلتتناول كوبًا من القهوة هناك. فهي لم تعصِّي الدكتور على أي حال؛ فقد ذكر الأخير أن التوقف في هيلزديل «غير محبّذ» للسؤال عن الطريق. لكنه لم يذكر أن تناول القهوة منزع هناك.

ظهرت هيلزديل أمامها قبل أن تنهي تفكيرها، كمجموعـة من البيوت القدرة المتأثرة بعشوائية. كانت قرية صغيرة للغاية، فـما إن دخلتها حتى أبصرت في نهاية الطريق الكنيسة ومحطة الوقود كما وصفهما دكتور «مونتاجيو» لها في الخطاب.

ووجدت مكاناً وحيداً صالحاً لاحتساء القهوة، وهو مكان منفرد، لكن «إيلانور» كانت قد قررت التوقف في هيلز ديل أياً ما كانت الظروف؛ لذا أوقفت سيارتها جوار رصيف مهشّم وترجلت منها. بعد دقيقة من التفكير أغلقت سيارتها وهي قلقة بشأن حاجياتها القابعة في داخلها: لن أمكث طويلاً في هيلز ديل..

نظرت إلى الطريق المقفرة المظلمة في وسط النهار، كلب يتعس في ظل حائط، سيدة تقف في مدخل منزل عبر الطريق وتحدق في «إيلانور». دلفت «إيلانور» إلى المقهى سريعاً قابضةً على محفظتها ومحفظتها ومفاتيح السيارة في ذراعها.

في الداخل، وجدت خلف «الكاونتر» فتاة ملولاً ورجلًا يأكل أمامها. ساءلت: إلى أي مدى قد يكون الرجل جائعاً كي يأتي إلى هنا ويأكل بهذه الشهية؟ فقد كانت الأدوات مبقعة بالدهن والمكان غير معتنى به. - قهوة.

طلبتها «إيلانور» من الفتاة خلف «الكاونتر». التفتت الفتاة في ملل وتناولت كوبًا من كومة الأكواب خلفها.

سألتها هذه القهوة لأنني قلت إنني سأتناولها. لكن في المرة السابقة سأصلني إلى نصائح دكتور «مونتاجيو».

للة دعابة كانت تدور بين الفتاة والرجل، حين وضعت لـ«إيلانور» قهوة أمامها نظرت إلى الرجل وابتسمت نصف ابتسامة، فقهقه، فضحكـت الفتاة، نظرت إليها «إيلانور» فوجـدت الفتـاة تحـملـقـ فيـ أـظـفارـهاـ منـشـغـلةـ،ـ والـرـجـلـ يـمـسـحـ الطـبـقـ بـلـقـمـةـ مـنـ الـخـبـزـ.

فَكَرْت «إيلانور» في احتمالية أن تكون قهوتها مسمومة، احتمال وارد.. لكنها قررت خوض التجربة للنهاية وطلبت كعكة «دونات». نظرت الفتاة إلى الرجل ووضعت قطعة الكعك في طبق ودفعته لـ«إيلانور» ثم ضحكت عندما تلاقيت عيناهما وعينا الرجل.

سألت «إيلانور»:

ـ هذه بلدة صغيرة جميلة، ما اسمها؟

حلقت الفتاة فيها؛ فلم يجرؤ أحدٌ من قبل على نعت هيلزديل بالجمال.. نظرت الفتاة إلى الرجل مرة أخرى كأنها تطلب الموافقة وردت:

ـ هيلزديل.

ـ هل تعيشين هنا منذ زمن؟

لن أذكر «هيل هاووس». فقط أريد تزجية الوقت.

ـ نعم.

ـ يبدو لي أنه من الشائق أن يعيش المرء في بلدة لطيفة كهيلزديل.  
أنا قادمة من المدينة.

ـ طبعاً، لكن لا شيء يمكن للمرء أن يفعله هنا.

ثم نظرت الفتاة إلى الرجل الذي كان يصغي.

ـ كم تبلغ مساحتها؟

ـ صغيرة للغاية.. هل تزيد المزيد من القهوة؟

كان السؤال موجهاً للرجل الذي كان يتسلّى بخط فنجانه في الطبق.

أصدت «إليانور» أول رشقة من قهوتها ولدهشتها كانت جيدة بالفعل.

- هل يأتي زوار إلى هنا، سائحون؟

ملأت الفتاة الفنجان وعادت تتكئ على الأرفف خلفها.

- ولماذا قد يأتون؟ لم قد يأتي أي شخص إلى هنا؟

نظرت نحو الرجل وأردفت:

- حتى إنه لا توجد دار سينما واحدة هنا.

- لكن التلال مبهرة، خاصةً من خلال الوجود في بلدة صغيرة معزلة مثل هذه.. ربما هناك من أتوا من المدينة وبنوا لأنفسهم منازل على التلال طلباً للخصوصية..

ضحكـت الفتـاة ضـحـكة مـبـورة وـغـمـغـمة:

- ليس هنا..

- ربما يوجد من يجدد منازل قديمة...

- طلباً.. للخصوصية..

رددتها وراحت الفتاة تضحك في مرارة.. قالت «إليانور» بحذر:

- كنت أفكر في أن أبحث في الجوار عن متزل يصلح لأشترائه وأجددـه.. المنازل القديمة تكون أرخص كما تعلمين..

- لا توجد منازل هنا..

- إذاً، لا توجد منازل قديمة في الجوار.. أو على التلال!

- لا توجد..

نهض الرجل وأخرج من جيده عملاً ووضعها أمام الفتاة وتحدى  
لأول مرة:

- الناس يغادرون هيلزديل وليس العكس..

بعد أن انغلق الباب خلف الرجل، أدارت الفتاة عينيها الباردين  
نحو «إليانور» وهمست:

- هو على حق، الجميع يغادر، المحظوظون منهم.

- ولماذا لا تغادرين أنت أيضاً؟

- وهل سيكون حالي أفضل بعيداً؟

تناولت الفتاة المال من «إليانور» بلا اهتمام وأعادت لها الباقي، ثم  
بنظرة خاطفة نظرت نحو الأطباق الفارغة على نهاية «الكاونتر» وقالت:

- هو يأتي كل يوم..

عندما ابتسمت «إليانور» إليها وشرعت في الحديث، كانت الفتاة  
قد أولتها ظهرها وتشاغلت بالأكواب على الأرفف.

شعرت «إليانور» وكأنها طردت، فقامت شاكرةً من أمام قهوتها  
وتناولت محفظتها ومحفظتها:

- وداعاً..

ومن دون أن تلتفت الفتاة ردت:

- حظ سعيد لك، أتمنى أن تجدي متزلاً أحلامك.



## ٥

كان الطريق البدوي من محطة الوقود والكنيسة فقيراً للغاية، غير  
له ولحياناً بالأحجار.. راحت سيارة «إليانور» الصغيرة تتأرجح وتهتز  
معارضةً على الخوض في ذلك الطريق المؤدي إلى التلال البعيدة، حيث  
يخترب اليوم من نهايته تحت تشابك الأشجار الكثيفة فوق السيارة.  
أدانت «إليانور» عجلة القيادة سريعاً متحاشيةً صخرة بارزة على الطريق  
وهي تفكّر: ستة أميال أخرى على طريق كهذا حتى تستدمر السيارة.  
لاحظت أنها تذكرت أختها لأول مرة منذ أن بدأت رحلتها فضحت.  
لا بد أنها هي وزوجها قد اكتشفا الآن أنها قد أخذت السيارة ولكن  
لن يخمنا أبداً إلى أين. بالتأكيد يلومان أنفسهما على ثقتها بـ«إليانور».  
الحق أنتي لن أظن في نفسي أبداً أنتي قادرة على فعلة كهذه، كل شيء  
قد اختلف، أنا شخص جديد، بعيداً عن كل ما أنته.

شهقت «إليانور» حين صدر من السيارة صوت تكسر وصريح وزحفت فوق صخرة على الطريق، مادت بالسيارة عن مسارها للحظات. حاولت «إليانور» تدارك الأمر، لكن السيارة ولجت بها وسط الأغصان المتشابكة وأظلمت نوافذ السيارة لثوانٍ.

لا بد أن «هيل هاووس» يحب التسويق، تساءلت «إليانور» عَمَّا إذا كانت الشمس تُشرق على هذه البقاع. شقَّت السيارة طريقها بعناء حتى عبرت الأغصان الجافة والأوراق الميتة، إلى حيث يتجلِّي «هيل هاووس» بالمساحات الشاسعة من حوله.

لماذا أنا هنا؟ تساءلت في بؤس: لماذا أنا هنا؟

كانت البوابة الحديدية مهيبة وثقيلة ومشرومة، يحفرها من الجانبين سور صخري يمتد حتى يختفي بين الأشجار. من مكانها داخل السيارة كانت تستطيع أن ترى القفل والسلسلة الحديدية الغليظة تلف وترتبط جناحي البوابة.. أما الطريق الذي كانت تسلكه فبقيته تمتد نحو ظلمات الأشجار المتشابكة اللامنهائية.

كانت البوابة مغلقة، مغلقة بقوة وإمعان. فتساءلت «إليانور» عَمَّن يريد اقتحامها بتلك الاستماتة حتى يتم منعه بهذه القوة. لم تحاول أن تخرج من السيارة، فقط أطلقت النفير فارتجت الموجودات من الصوت المفاجئ. بعد دقيقة أطلقت النفير مرة أخرى ورأت رجلاً قادماً نحوها من خلف البوابة. كان كثيباً وغير مرحب، تماماً كالقفل على السلسلة الحديدية القابع أمامها. حشر رأسه بين القضبان صائحاً بصوت حاد

مززعج:



- لماذا تريددين؟

- أريد أن أدخل لو سمحت.. هلا فتحت القفل!

- من قال إنني سأفعل؟

- لماذا؟ لا بد أن أدخل!

- لأي غرض؟

- هناك من يتوقع وصولي اليوم.

الابو جد من يتوقع وصولي فعلاً؟ هل هذا هو متى رحلتني؟

- من يتوقع وصولك؟

كانت تعرف أنه يمارس سلطاته بسادية واستمتاع لا أكثر؛ لأنه إن  
فتح البوابة سيفقد حينها كل سلطة يظنها له عليها.

لكن أي سلطة أمتلكها أنا؟ أنا خارج البوابة بالفعل!

شعرت بنفاذ صبر - وهو أمر نادر الحدوث لاعتقادها أنه غير مُجد  
ـ لكنها كبّلت شعورها كي لا يتركها الرجل ويرحل. بافتراض حسن  
بيته، إلا يمكن أن تكون لديه أوامر بعدم فتح البوابة؟ ألا يكون حينها  
غيره رجل يؤدي مهام وظيفته؟

نظر لها وكأنه يعاينها، ثم صاح:

- الأفضل أن تعودي في وقت لاحق.

واستدار في انتصار واضح عائداً من حيث أتي، فحاولت أن تبدو  
عادلة قدر المستطاع وهتفت:

- اسمع، أنا واحدة من ضيوف دكتور «مونتاجيو»، هو يتوقع حضوري الآن، رجاءً افتح لي.

التفت بابتسامة صفراء قائلًا:

- لا ييدو أن أحدهم يتذكرك، فلا أحد عُنِّ تزعمين قد جاء! لا أحد سوالك.

- هل تقصد أنه لا أحد في المنزل؟

- لا أحد أعلم بوجوده.. فقط زوجتي ترثي؛ لذا فلا أحد فعلياً يتذكر في الداخل، أليس كذلك؟

استندت بظهرها إلى كرسي السيارة وأغمضت عينيها.

«هيل هاوس».. أنت عسير المثال كالفردوس!

- أفترض أنك تعرفين ما أنت مُقدمة عليه بطلبك الدخول؟ لم يخبروك بشيء في المدينة؟ هل سمعت أي معلومات عن هذا المكان؟

- سمعت أنني مدعوة هنا كضيفة الدكتور «مونتاجيو» وأنك ستفتح لي الباب حين أطلب الدخول.

- سأفتح البوابة.. حتى أفعل، فقط كنت أريد التأكد من كونك تعرفين ما يتذكرك في الداخل. هل أتيت إلى هنا من قبل؟ هل أنت قريبة لأحد من العائلة؟

نظر لها وهو يتوجه إلى القفل والسلسلة مردفاً:

- لن يمكنني السماح لك بالدخول من دون أن أتأكد. قلت لي ما اسمك؟



- «إليانور فانس».

قالتها زافرة، ضيقية الصدر.

- لست من العائلة إذا، هل سمعت شيئاً عن هذا المنزل؟

هذه فرصتي، لقد منحت فرصة أخيرة، يمكنني أن أستدير بسيارتي الآن أمام تلك البوابات وأفرأ، لن يلومني أحد.

أخرجت رأسها من نافذة السيارة وهتفت في غضب:

- اسمي «إليانور فانس»، ومتوقع وصولي اليوم إلى «هيل هاوس».  
اقنع البوابة.

- حسناً، حسناً.

ظل الرجل يصلصال بالمفاتيح ويتظاهر بصعوبة مهمة فتح القفل.  
لما فتح البوابة بمقدار يسمح فقط بمرور السيارة. دخلت «إليانور» ببطء  
وهمت أن تصدمه بالسيارة فتراجع للخلف. ضحكت «إليانور» في  
اللهب، فقد أثارت حفيظته بالفعل. اقترب من السيارة من الناحية  
الأمنة وانحنى على النافذة فتوقفت.

- لن تخبي ما استجد فيه في الداخل، وستذهبين على فتحي البوابة لك.

- ابتعد عن طريقي من فضلك؛ فقد عطلتني بما فيه الكفاية.

- هل تظنين أن بمقدورهم استبدال شخص آخر ليفتح البوابة؟  
هل تظنين أن أحداً سواي أنا وزوجتي سيصمد تلك الفترة كلها؟ هل  
تظنين أننا لا نقدر على إدارة المكان كييفاً نشاء مقابل عنایتنا به وفتح

البوابات لأبناء المدينة الذين يظنون أنهم يعرفون كل شيء؟

- رجاءً، ابتعد عن السيارة.

لم تجرؤ «إليانور» على الاعتراف لنفسها أنه قد أرعبها ثقته بنفسه وظنه أنه يملك كل ما خلف الأسوار. عاد إليها اسم ذكره دكتور «مونتاجيو» في خطابه..

- هل أنت «ددي»، حارس المنزل؟

قللها في سخرية:

- نعم أنا «ددي»، حارس المنزل! من قد يكون هنا غيري؟  
خادم العائلة الوفي المعتمد بنفسه.

- أنت وزوجتك فقط من يعتنian بهذا المنزل كله؟

- ومن غيرنا؟

قاها وكأنه فخره ولعنته وعقبته.

تحركت «إليانور» بالسيارة مبتعدة، محاذرة أن تبدو مدعورة في ابتعادها..

- أنا واثقة بأنك ستبدل قصارى جهدك في جعل إقامتنا طيبة، أنت وزوجتك بالطبع.

ثم أضافت بطريقة تقطع عن الحديث إياها:

- لكتني أريد الدخول إلى المنزل في أسرع وقت ممكن.  
ابتعد عن طريق سيارتها متحملاً وقال:

- أنا.. أنا لا أملك على مقربة من المنزل بعد حلول الظلام.  
وأنفرجت شفتيه عن ابتسامة فخور ووقف بعيداً عن السيارة.  
شعرت «إلياتور» بالراحة والقلق في آن.

لن أستطيع التحرك بحرية في أثناء مراقبته لي هكذا، قط «تشيشاير»  
المهم المستهزئ.

ولتؤكد لنفسها أن نظرات «ددي» لم تؤثر فيها، راحت تصفر،  
ولا حظلت في غيظ أن الأغنية ذاتها راحت تفرض نفسها على عقلها  
(ما يجلب التسلية يجلب معها السعادة).

قالت لنفسها إن عليها أن تفكر جاهدة في شيء آخر، كانت واثقة بأن  
باقي الكلمات لن تكون مناسبة. فلتبعد قليلاً عن سيدرها بياضيها،  
والتلمس الوقار في حضرة «هيل هاووس».

لمحت ما بين الأشجار والتلال ما بدا وكأنه سقف «هيل هاووس»،  
أو ربما برجه، لا بد أنه يعود إلى ذلك الزمن الذي كان للمنازل فيه أبراج  
ودعائم للزوايا مزداناً بزخارف خشبية، وربما تناثر الطابع القوطي في  
أركانه بتوءاته ونهائياته المدببة ومخلوقاته الخرافية المرعبة، لن يكون ثمة  
هوامش من دون زخارف.

ربما يكون في «هيل هاووس» نمرات سرية تقود إلى البلدة، ربما استخدمها  
المهربون في عصور قديمة. لكن، ما عسى المهربون أن يهربوا في هذا  
المكان القفر؟

ربما أقابل مهرباً وسيماً و... .

انعطفت بسيارتها إلى آخر الممشى، الذي سيسعها وجهًا لوجه مع «هيل هاوس». أوقفت السيارة وأطفلات المحرك وراحت تحدق في المنزل. كان المنزل وضيئًا، دينيًّا إن جاز أن يُطلق على منزل مثل تلك النعوت، ارتعدت وراحت الأفكار تدور بحرية في عقلها.

«هيل هاوس» دنيء، مريض، اهرب من هنا.. الآن!

# ٦

لا يمكن لعين بشرية أن تخطئ هذا الجتون العجيب في تصميم «هيل هاوس»، الزوايا غير المتناسقة والخطوط المائلة حيث وجبت عليها الاستقامة، هذا كله حول «هيل هاوس» إلى مكان يشير القنوط والرعب. حتى إن واجهة المنزل تعطي انطباعاً بأنه يراقبك بتوافقه المحمقة ونقوشه التي تبدو كحاجبين. أي منزل يمكن أن يعطي ذلك الانطباع إذا شوهد من موضع إضاءة معينة، لكن «هيل هاوس» كان من عنا من الزوايا كلها ومع مختلف الإضاءات، وكأنه لم يُبنَ، بل كون نفسه بنفسه على تلك الهيئة، يشمخ برأسه إلى السماء مزدرياً ما حوله. كان منزل بلا رحمة، لم يُعد أبداً للسكنى، لم يُعد للحب والأمل. حتى طقوس طرد الأرواح الشريرة لن تفلح في تغيير ثنياه، منازل مثل «هيل هاوس» ستظل على خلقتها إلى أن تُدمر.

كان على الهرب وأنا بعد عند البوابة.

مرَرَتْ عينيها على الواجهة محاولةً أن تعرّف إلى مكمن شعورها المقيت نحو المنزل. ارتعدت كفافها وهي تُخرج سيجارة؛ فعلى الرغم من كل شيءٍ هي خائفةٌ من ذلك الهمس في عقلها الذي يدفعها دفعاً للهرب.

اهربِ من هنا.. اهربِ!

لكن هذا من جئت من أجله، لن أستطيع الفرار. لكم ميسخر مني «هيل هاوس» لو ولَّتُ الأدبار

محاولةً ألا تنظر نحو المنزل - فهي حتى لن تستطيع أن تصف لك طرازه أو لونه بالنظر إليه، كل ما تعرفه أنه ضخمٌ وحالك - أدارت محرك السيارة مرةً أخرى متوجهةً نحو سلامه المؤدية إلى نقطة الالرجعة بالنسبة لها.

حول المنزل، يدور المر الذي قادت فيه سيارتها، ربما في وقت آخر ستدور بسيارتها فيه بحثاً عنَّا يصلح كمرأب لها.

كانت سيارتها هي العلامة الوحيدة للقادمين بعدها على أن هناك بشرياً هنا، ربما يطمحون ذلك نوعاً. خرجمت من السيارة وحملت حقيقتها وطوت معطفها على ذراعها.

حسناً، ها أنا ذي!

كان عملاً بطولياً أن تنقل قدمها إلى درجة السلالم الأولى، كانت المرة الأولى التي تمس فيها «هيل هاوس»، وشعرت خلاها أن المنزل في استقبابها، ينتظرها في خبث وصبر.

«انتهت الرحلات بلقاء الأحبة»، كانت تلك هي بقية الأغنية التي جاهدت كي تنساها منذ قليل. ضحكت على عتبة «هيل هاووس». ثبّتت كلتا قدميها على خشب أرضية الشرفة، التي كانت تُحيط بالمنزل وتحدر منها السلام المؤدية إلى المشى والحدائق.

صوت قدميها متضخم في السكون الذي يلف المكان، حتى إنه أثار قشعريرة في جسدها.. رفعت كفها إلى مطرقة الباب الحديدية، التي كانت تحمل نقش وجه طفل، ناوية أن تحدث ضجيجاً أكبر هذه المرة؛ فربما كان «هيل هاووس» محتاجاً إلى تنبيه أو وضع! انفتح الباب فجأة بلا أي تمدد، ووجدت «إليانور» نفسها تحدق في وجه امرأة لا يمكن أن تكون سوى زوجة الرجل على البوابة. التقطت «إليانور» أنفاسها سائلة:

- السيدة «ددلي»؟ أنا «إليانور فانس»، متوقع قدومي اليوم.

في صمت، تنحّت المرأة عن المدخل. كانت مريولتها نظيفة، وشعرها منسقاً، لكنها كانت تفوح بضائع من القذارة بلا أدنى سبب. كانت ملامحها العابسة الكثيبة وسوء الطبع المتبدّي على تقسيمها عائلة لذاك الذي يظهر على زوجها.

هذا حكم خاطئ بالتأكيد، من جهة لأن كل شيء حولها كثيف مظلم، ومن جهة أخرى لأنني قد توقعت أن تكون مثل زوجها في كل شيء. لو كنت قابلتها بعيداً عن «هيل هاووس»، هل كنت سأملك الانطباع نفسه عنها؟

كانت القاعة التي تقفان فيها مفعمة بالزخارف الخشبية الداكنة، مظللة بثقل السلام العظيمة على الجهة بعيدة من المكان. هناك رأت

ما بدوا وكأنه رواق آخر بعرض المنزل ينخفض قليلاً عن باقي المساحة.  
وعبر بشر السلم، رأت أبواباً مغلقة بطول البهو العلوي.

على جانبي موضعها الآن ببابان مزدوجان ضخمان، مزدانان بنقوش الفواكه والحبوب وأشياء أخرى لم تتبينها. كل الأبواب التي استطاعت أن تراها حتى الآن كانت مغلقة.

حين حاولت الكلام، غرق صوتها الواهن في غياب الصمت المحيط، وكان عليها أن تحاول مرة أخرى بصوت أقوى:

- هل يمكنك أن تصحبيني إلى غرفتي؟

رأت بعينيها نحو حقيقتها على الأرض، في محاولة لحت السيدة «ددلي» على حملها، ورأت انعكاس ذراعها على الأرضية الخشبية البراقة فاجفلت للحظة.

- أعتقد أنني أول من يصل اليوم.. قلت لي إنك السيدة «ددلي»؟

أظنتي سأبكي كطفل وأصرخ: «لا أريد المكوث هنا!»

التفت السيدة «ددلي» ونظرت نحو الدرج، فالتنقطت «إليانور» حقيقتها في طاعة وتبعتها؛ فقد كانت هي الشخص الحي الوحيد سواها في «هيل هاووس».

انعطفت السيدة «ددلي» في نهاية الدرج إلى اليمين، وأدركت «إليانور» أن من صمم المنزل لم يبذل جهداً في سبيل إضفاء طابع موحد مريح، وكأنه كان يبغى الانتهاء من بنائه بأي طريقة، وقد أدرك أن للبيت إرادة ما وسيصبح كما يشاء هو لا كما تم تصميمه.

في الطابق الثاني، تراشت أبواب الحجرات على جانبي رواق متسع، وقد تأكّد لها أن الطابقين الثاني والثالث قد تم الانتهاء من بنائهما على عجلة، متبعين أيسر التصميمات الممكنة.

على الناحية اليسرى من الرواق درجات أخرى، ربما تصل حجرات الخدم بالدور الثالث إلى الطابقين السفليين. وفي نهاية الرواق من جهة اليمين، غرفة موصدة أخرى، لا بدّ أنها اضممت كي تحظى بأوفر قدر من ضوء الشمس.

باستثناء النقوش الخشبية الداكنة والمنمنمات غير المتقنة على حوائط الرواق، لا يكسر شيء آخر حدة استرساله بلا هدف كشكل مستطيل عمل سوى صفات الأبواب الموصدة.

عبرت السيدة «ددلي» الرواق وفتحت باباً، ربما بشكل عشوائي:  
- هذه هي الغرفة الزرقاء.

من التفاف الدرج، حسبت «إيلانور» أن الحجرة ستكون مطلة على مقدمة المنزل. فتحركت نحوها مهتمّة بالضوء المنبعث منها.

- يا لجميلها!

قالتها وهي بعد واقفة عند المدخل، تستشعر ضرورة أن تقول شيئاً ما، فلم تُكُن الغرفة جميلة بأي مقياس. بالكاف تُطاق! كانت تحوي بين حواياها انعدام التنااغم نفسه الذي يعم «هيل هاووس».

تنحَّت السيدة «ددلي» عن الباب كي تدخل «إيلانور»، وبدأت في الحديث موجّهةً كلامها، على ما يبدو، إلى الحائط:

- أضع العشاء على الخوان في حجرة الطعام في تمام السادسة مساء، يمكنكم أن تخدموا أنفسكم وتأكلوا كما تشاورون؛ فأننا أرفع العشاء في الصباح التالي. سأحضر لكم الإفطار في تمام التاسعة صباحاً. هكذا تم الاتفاق معي. بالطبع لا يمكنني أن أراغي هندام الغرف؛ فأننا لا أخدمن أحداً.. هكذا تم الاتفاق معي، ليس عليَّ أن أخدم أحداً.

أومأت «إيلانور» وهي بعده واقفة متربدة على عتبة الباب. أردفت السيدة «ددلي»:

- لا أمكث في المنزل بعد أن أضع طعام العشاء، لا أمكث بعد زحف الظلام، أنا أنصرف قبل حلوله.

- أعرف ذلك.

- نحن نعيش في البلدة، على بُعد ستة أميال من هنا.

- نعم.

وتذكرت «إيلانور» بلدة هيلزديل. قالت السيدة «ددلي»:

- لن يكون ثمة أحد على مقربة لو احتجتم إلى المساعدة.

- أتفهم ذلك.

- لن يمكننا حتى سماع استغاثتكم في الليل.

- لا أعتقد أننا سن...

- لن يسمعكم أحد. لا يوجد من يعيش بالقرب من هنا، ولن يجرؤ أحد على الاقتراب أكثر من مسافة البلدة.

- أعرف.

قالتـها «إليانور» في تعب. أضافـت السيدة «دـلـي» في غـمـوضـ:

- في اللـيلـ، في الـظـلـمـاتـ.

قالـتها السـيدـة «دـلـي» في غـمـوضـ وـانـصـرـفـتـ مـغـلـقـةـ الـبـابـ خـلـفـهـاـ.

كـادـتـ «إليـانـورـ» تـنـفـجـرـ ضـاحـكـةـ وـهـيـ تـتـخـيـلـ نـفـسـهـاـ تـسـتـغـيـثـ بـالـسـيدـةـ «دـلـيـ».

- سـيدـةـ «دـلـيـ»، أـنـاـ أـحـتـاجـ إـلـىـ إـغـاثـتـكـ فـيـ الـظـلـمـاتـ!

ثم اـرـتـعـدـتـ خـوـفـاـ.

## V

وقفت «إليانور» وحيدة تعسة جوار حقيبتها، معطفها لا يزال مطرويَا على ذراعها. تمنى نفسها بأن الرحلات تستهوي بلقاء الأحبة، تمنى لو تعود إلى بيتها.

خلفها يقع الدرج الداكن، والرواق اللامع، وباب المدخل الضخم، والسيد والسيدة «ددلي» الضاحكان عند البوابة، والأقفال والسلالس وهيلزديل، وكوخ الأزهار وحدائق الدفلة والأسدان على المدخل. هذا كله قادها - تحت إشراف دكتور «مونتاجيو» - إلى الحجرة الزرقاء في «هيل هاووس».

كانت الحجرة بغيضة، تحاشت أن تتخذ خطوة أخرى إلى داخلها فتحسب عليها علامة للقبول.

الحجرة بغيضة وأنا لا أريد المكوث هنا، ما من مكان آخر يمكنني  
الذهاب إليه.

وصلها خطاب الدكتور «مونتاجيو» إلى هنا، ولا يمكنه إيصالها إلى مكان أبعد.. بعد هنีهة، تنهدت وخطت إلى داخل الحجرة واضعة حقيبتها على الفراش.

أنا هنا في حجرة «هيل هاوس» الزرقاء.

قالتها بصوت شبه مسموع لتأكد لنفسها أنها الحقيقة.

كانت الحجرة زرقاء بحق، ستائر زرقاء تغطي النوافذ الكبيرة المطلة على الشرفة السفلية المؤدية إلى المشى. الخوائط مزданة بنقوش خشبية قديمة تصل إلى مستوى الكتف تقريباً، يعلوها ورق حائط مزيّن بورود أزرق صغير، ربما رغب أحدهم في تخفيف القاتمة السائدة بورق حائط لهذا، لكن يبدو أن أملاً كهذا قد واده «هيل هاوس» ببراعة.

نظرت «إليانور» إلى الغرفة ككل، تصمميمها يشي بخطأ فادح يمكنها أن تدركه كلما نقلت بصرها من زاوية لأخرى. دائمًا ما تبدو الخوائط مائلة ولبدو الزوايا على غير ما يصح. تشوهات جعلت الحجرة لا تحتمل.

هذا هو المكان الذي يريدونني أن أمضي ليلاً فيـ؟! أي كوابيس تتظرب في تلك الأركان الظلية؟ أي أنفاس قلقة ستشمل إلى رئتي؟ حقاً؟ سأبيت هنا؟ حقاً؟

فتحت حقيبتها فوق السرير العالي، ووضعت حذاءها مستشعرة الراحة. بدأت في وضع حاجياتها في الخزانة وهي تفك في أن راحة الجسم تبدأ من القدمين، فانتعلت حذاء خفيفاً، واختارت سروالاً يناسب أجواء المنازل الريفية المتعزلة كما تراءى لها، سروال كهذا لم ترتدي مثله منذ زمن طويل، دائمًا ما كانت تلك النوعية من الملابس تثير حنق

أمهما، حتى إنها دسته في قاع حقيقتها كي لا تخيبن في آخر لحظة وترى من ناحية، ومن ناحية أخرى كانت تخشى فعلاً أن يراه أحد في حقيقتها.

وضعت فساتينها على المشاجب وألقت بحذائهما الذي جاءت به إلى غياض المخزانة، ثم وضعت الحقيقة الفارغة بجواره.

لن يكلفني جمع حاجياتي مرة أخرى سوى دقائق.

لاحظت أنها تضع حقيقتها في الركن بهدوء كي لا تصدر أي صوت، كما لاحظت خفة حركتها وخطوتها، وكان الصمت هو قانون «هيل هاوس» غير المكتوب. تذكرت أيضاً أن السيدة «ددي» كانت تسير بلا صوت. حين وقفت أخيراً متتصبة وسط الحجرة، أطبق عليها سكون «هيل هاوس» بكل قوته.

أبدو كمخلوق صغير قد ابتلعه وحش عملاق، ويستشعر الوحش حرکاتي الضئيلة في أحشائه.

- لا.

قالتها بصوت عالٍ فتردد صداها. تحركت بسرعة نحو الستائر وساعدت بينها، لكن الضوء الداخلي إلى الحجرة كان شحيحاً. استطاعت أن تُبصر في الخارج سقف الشرفة السفلية وجزءاً من المشي. في مكان ما في الأسفل تغفو سياراتها، وسiletها الوحيدة للفرار.

«انتهي الرحلات بلقاء الأحياء»..

لقد كان قراري أن آتي إلى هنا.

ثم أدركت أنها تخشى أن تعبر الحجرة مرة أخرى.

كانت تقف مولية ظهرها شطر النافذة، تنقل بصرها من الخزانة إلى الباب، ومنه إلى المرأة إلى الفراش، وتهمس لنفسها أنها ليست خائفة على الإطلاق.

سمعت من بعيد صوت باب سيارة يُغلق، ثم صوت خطوات سريعة راقصة تعبر الشرفة الخارجية أسفلها.

ثم دوى صوت مطربة الباب.

هناك من أتى! لن أظل وحيدة هنا هنا.

ثم جرت عبر الحجرة متوجهة إلى الرواق، نزلت الدرج مهرولة حتى وصلت إلى القاعة. صاحت «إليانور» وهي تحدق وسط العتمة:

- أشكر الله أنك هنا! أشكر الله أن أحدهم قد جاء أخيراً.

وادركت أنها تتحدث وكأن السيدة «ددي» لا تسمعها. وقفت الأخيرة متتصبة شاحبة وسط القاعة لا تبالي بما قيل، بينما تقف شابة فاتنة أمام الباب المفتوح وسط حقائبها الضخمة. هتفت «إليانور»:

- أصعدني معك إلى الأعلى، لن يتوجب عليك أن تحمل حقيبك بنفسك.

نهضت أنفاس «إليانور» حاسماً وبدا كأنها لن تستطيع التوقف عن الكلام قريباً، وكان خجلها الطبيعي كان قد ذاب.

- اسمي «إليانور فانس»، وأنا جد سعيدة لأنك هنا!

- أنا «ثيودورا»، «ثيودورا» فقط.. ما هذا البيت؟

- وهو بهذا السوء أيضاً في الأعلى، تعالى. أجعلها تعطيك الحجرة المجاورة لحجرتي.

صعدت «ثيودورا» خلف السيدة «دديلي»، وهي تحدق في الموجودات حولها: الحجرة الرخامية في الركن، السجعاد المنقوش..

كانت حقائبها أكبر من حقيبة «إيلانور» بمراحل وأكثر فخامة، فعاجلتها «إيلانور» بالمساعدة وقد شعرت بالراحة أن حاجياتها المتواضعة قد توارت عن الأنظار. قالت لرفيقتها:

- انتظري حتى ترى حجرات النوم، أعتقد أن حجرتي كانت حجرة التخييط!

- هذا هو منزل أحلامي! منعزل حيث يمكنني الانفراد بأفكارِي.. فقط لو كانت أفكارِي تدور حول القتل أو الاتتحار أو...

قالت السيدة «دديلي» في بروء، وفهمت «إيلانور» أن أي حديث انتقادِي أو سلبي عن المنزل يضايق السيدة إلى حد كبير.

- تفضيلي.. الحجرة الخضراء.

هل تظن أن بإمكان المنزل سعادنا؟

ارتعدت «إيلانور» للفكرة، استدارت «ثيودورا» وربت على كتفها في تفهم. «ثيودورا» فاتنة، لا تبدو كشخص يليق بالوجود في مكان مقبض كهذا.

أنا أيضاً لا أنتهي إلى هنا، لست من الطراز الملائم لـ«هيل هاوس» ولا يبدو أن ثمة شخصاً يليق بهذا المكان.

فضحكت «ثيودورا» وهي تشاهد رد فعل «إليانور» عن مرآها الحجرة المخضراء. قالت وهي تنظر بطرف عينها إلى «إليانور»:

ـ يا إلهي ! يا سحرها .. إنها تعج بالطاقة الإيجابية !

ـ أضع العشاء على الخوان في حجرة الطعام في تمام السادسة مساء، سكنكم أن تخدموا أنفسكم وتأكلوا كما تشاورون، فأنا أرفع العشاء في الصباح التالي. سأحضر لكم الإفطار في تمام التاسعة صباحاً. هكذا تم الاتفاق معى.

قالت «ثيودورا» وهي تحدّق في «إليانور»:

ـ أنت مرتبعة !

أكملت السيدة «ددي» تقريرها بشكل آلي:

ـ بالطبع لا يمكنني أن أراعي هندام الغرف؛ فأنا لا أخدم أحداً. هكذا تم الاتفاق معى، ليس عليَّ أن أخدم أحداً.

هست «إليانور»:

ـ كنت خائفة فعلاً حين ظننت أنني سأكون بمفردي طيلة الليل.

واستمرت السيدة «ددي» مردفة:

ـ لا أملك في المنزل بعد أن أضع طعام العشاء. لا أملك بعد رحف الظلام، أنا أنصرف قبل حلوله.

هست «ثيودورا» بصوت رقيق:

ـ أنا هنا، لا تخافي يا «إليانور».

- «ثيودورا»، الحمام مشترك بين حجرتين، حتى إن الحجرتين متطابقتان. مصادفة ممتازة!

كانت حجرة «ثيودورا» بنفس تفاصيل حجرة «إليانور» فيها عدا اللون فقط.

- «ثيودورا»... لم أر مكاناً بهذه البشاشة في حياتي.

- كأنه فندق أو معسكر فتيات يا «إليانور».

أكملت السيدة «ددلي» عباراتها كأنها لا تهتم إن كانت الشابتان تسمعانها:

- أنا أنصرف قبل حلول الظلام...

صاحكة قالت «إليانور» لـ«ثيودورا»:

- لا أحد سيسمع استغاثتك في الليل.

لاحظت «إليانور» أنها ما زالت قابضة على مقبض الباب. وأمام عيني «ثيودورا» الساخرتين تركت المقبض وتوجهت نحو النافذة:

- علينا أن نجد طريقة لفتح تلك التوافذ.

- لذا، لن يكون هناك أحد حولكم لو احتجتم إلى المساعدة، لن نسمعكم في الليل، لن يسمعكم أحد.

- «إليانور»، هل تشعرين أنك أفضل؟

- لا أحد يعيش بالقرب من هنا، ولن يقترب أحد أكثر من مسافة البلدة.

وضعت «ثيودورا» حقيقتها على الفراش وخلعت حذاءها قائلةً  
لطفولة:

- لا بد أنك جائعة، أنا أتضور جوغاً، لا شيء يزعجني قدر الجوع!  
- في الليل.

وابتسمت السيدة «ددلي» مردفة:  
- في الظلامات.

ثم أغلقت الباب خلفها.

بعد دقيقة هتفت «إيلانور»:

- إنها تسير من دون أن يصدر من خطواتها أي صوت.  
- جسدها عجوز رقيق.

التفت «ثيودورا» إلى غرفتها متفرضةً:

- أسحب تشبّهي للغرفة بغرف الفنادق، هي أقرب لـ لـ لـ الطلبة  
الذى كنت أقيم فيه لفترة.

- تعالى وشاهدى حجري.

فتحت «إيلانور» باب الحمام المشترك وقادت «ثيودورا» إلى الغرفة  
الزرقاء.

- كنت أفرغ حقائبى وأفكّر أن أحزمها مرة أخرى قبل مجئك مباشرةً.

- صغيري البائسة! كل ما خطر بيالي وقت أن وقعت عيناي على

المترجل أنه من الممتع بحق مشاهدته يحترق ويتحول إلى رماد! ربما نفعلها قبل أن نغادر..

- البقاء وحيدة هنا كان مفرضاً بالنسبة لي.

- لا بد أن ترى سكن الطلبة في الإجازات إذا.

استدارت «ثيودورا» عائدة إلى حجرتها. مع الصوت والحركة اللذين غمرا الغرف، شعرت «إليانور» بمزيد من البهجة. علقت «ثيودورا» ملابسها على المشاجب ورتبت كتبها على الكومود.

نادت «ثيودورا» من حجرتها:

- هل تعلمين؟ يذكرني الوضع هنا بأول يوم في المدرسة، كل شيء مقيد وغريب، لا يعرف أحد أحداً، وقطنين أن الجميع سيسيخرون من ملابسك.

ضحكـت «إليانور» وألقت بسروالـها على الفراش.

- «ثيو»، هل أفهم حقاً أن السيدة «ددلي» لن تأتي لنجدهـنا لو احتجـنا إليها ليلاً؟

- ليس هذا ضمن اتفاقـ عملـها، هل قابلـتـ الحرـاسـ اللطـيفـ عندـ الـبوـابةـ؟

- دارـ بينـناـ حـديثـ شـائقـ، قالـ إنـيـ لنـ أـسـتـطـيعـ الدـخـولـ، وـقـلتـ إنـيـ أـسـتـطـيعـ، ثـمـ حـاوـلتـ أنـ أـدـهـمـ بـسيـارـتيـ لـكـنهـ تـفـادـاـهـاـ. أـلاـ تـعـقـدـيـنـ أنـ عـلـيـنـاـ خـرـوجـ مـنـ حـجـرـتـنـاـ قـلـيلـاـ؟ـ ماـ رـأـيـكـ؟ـ

- لنـ أـخـرـجـ إـذـاـ لمـ تـخـرـجـيـ.

- لن أخرج إن لم تخرجي أنت! لن يستطيع أحد الوقوف أمامنا معاً، لذهب لاستكشاف المكان، لكم أود أن أخلص من هذا السقف فوق رأسي.

- الظلام يحل مبكراً في تلك التلال ومع هذه الأشجار كلها..  
وألقت «إليانور» نظرة عبر النافذة مرة أخرى، فوجدت أن الضوء لا يزال يغمر المكان.

- لن يعم الظلام قيل ساعة، أريد الخروج والتدحرج على الحشائش أغلقت «إليانور» قميصها الصوفي الأحمر وهي تفكّر كيف أن القميص والصندل الأحمر يتعاركان مع تلك الزرقة القاتمة حولها كلها. نظرت إلى انعكاسها في المرأة وظلت أن عليها ارتداء مثل تلك الألوان التي لم ترتديها من قبل؛ فقد بدت جميلة عليها. سالت «إليانور»:

- هل تعرفين من سيكون في صحبتنا أيضاً، أو متى يصل؟

- الدكتور «مونتاجيو»، لكنني كنت أعتقد أنه سيكون هنا قبل الجميع.

- هل تعرفين دكتور «مونتاجيو» منذ زمن؟

- لم أقابله من قبل. وأنت؟

- وأنا أيضاً.. هل أنت مستعدة؟

- جداً..

خرجت «ثيودورا» من باب الحمام المشترك إلى حجرة «إليانور».

إنها بهية، لكم وددت لو أكون مثلها.

كانت «ثيودورا» ترتدي قميصاً أصفر فاقعاً مبهجاً. صاحت «إليانور» باسمة:

- لقد أدخلت الضياء إلى تلك الحجرة أكثر مما تدخله النافذة!

تأكدت «ثيودورا» من بعائدها في مرآة «إليانور» وهتفت في حماس:

- أظن أنه من واجبنا في مكان كثيب كهذا أن نضفي بعض البهجة، يعجببني اختيارك الأحمر. كل منا ستكون مرئية من آخر «هيل هاووس» لأوله.

ظللت «ثيودورا» تدقق في هيئتها في المرأة وأردفت:

- هل كتب لك دكتور «مونتاجيو»؟

- نعم، في البداية لم أستطع أن أحدد إن كانت مزحة أم لا، لكن زوج أخي تأكد من صفة دكتور «مونتاجيو».

قالت «ثيودورا» ببطء:

- حتى آخر لحظة - عندما وصلت إلى بوابة المترزل - لم أُكُن أتصور أن يكون هذا هو «هيل هاووس». لا يتوقع المرء أن يذهب بالفعل إلى أماكن كهذه.

- لكن بعض الأشخاص قد يأملون في مكان كهذا.

التفتت «ثيودورا» ضاحكةً أمام المرأة وأمسكت بيدي «إليانور»:

- لنذهب للاستكشاف يا صغيرتي ..

- لا يمكننا الابتعاد كثيراً عن المترزل ..

- أهدك ألا أبتعد خطوة أكثر مما تحددينه أنت. هل تظنين أن علينا  
الاستدان من السيدة «ددلي»؟

- غالباً ما تراقبنا على أي حال، يبدو أن ذلك جزء من اتفاقها..

- اتفاقها مع من؟ «كونت دراكيلولا»؟

- هل تعتقدين أنه يحيى في «هيل هاووس»؟

- أعتقد أنه يمضي عطلات نهاية الأسبوع هنا، أقسم إني رأيت  
رطاريط في الزخارف الخشبية بالأسفل.. هلمّي..

عروفتنا نازلتين، تحرّكَان كبقعتين من الضوء الملون والحياة عبر  
الدوش الداكنة والضوء المغير للمكان، تشاهدُهما السيدة «ددلي» في  
صمت.

- سنذهب للإستكشاف يا سيدة «ددلي»، سنكون بالخارج في مكان ما.

قالتها «ثيودورا» في مرح، وأضافت:

- وسنعود بالطبع قبل الظلام.

قالت السيدة «ددلي» وهي تنظر للاشيء:

- أضع العشاء على الخوان في حجرة الطعام في تمام السادسة مساء.

جذبت «إيليانور» الباب الأمامي بقوة حتى فتحته، كان ثقيراً كما  
يذا تماماً. ووجب عليها أن تجد وسيلة أخرى سواه للدخول. قالت  
من خلف كتفها لـ«ثيودورا»:

- اتركي الباب مفتوحاً، إنه ثقيل بحق.. ضعي في فرجته إحدى

تلك المزهريات الضخمة لتبقيه مفتوحاً.

جرت «ثيودورا» مزهريّة حجريّة من ركن القاعة ووضعتها أمام الباب ثم خرجتا. كان الضوء الشاحب في الخارج يبدو ساطعاً مقارنة بظلام المنزل، وكان الهواء على طيباً. من خلفهما، حركت السيدة «دللي» المزهريّة مرة أخرى إلى موضعها القديم، وانغلق الباب الضخم.

- سيدة لطيفة!

قالتُها «ثيودورا» موجّهةً حديثها للباب المغلق. للحظة بدت غاضبة، وتمنت «إيلانور» ألا تنظر لها «ثيودورا» بهذا الحنق أبداً. كيف تغيرت «إيلانور» هكذا وقد عاشت حياتها خجولاً منطوية، بينما في نصف ساعة اعتبرت «ثيودورا» مقرية ومهمة، شخصاً يهمها غضبه أو رضاها؟

قالت «إيلانور» في تردد:

- أعتقد...

التفتت إليها «ثيودورا» باسمةً فهدأ روع «إيلانور» وأكملت:

- أعتقد أن في النهار، وفي أثناء وجود السيدة «دللي» في المنزل، يجب علينا أن نجد مكاناً بعيداً عنها.. ربما في ساحة الجولف أو داخل الصويرة.

- يمكنك أن تساعدني «دللي» في حراسة البوابة.

- أو أبحث عن قبور مجهولة وسط نباتات القرابض.

كانت تقفان عند حاجز الشرفة، حيث تربان المشى المتوجه إلى الأشجار، والأخر المتوجه إلى التلال ومنه إلى الطريق الرئيسي، عدا أسلاك الكهرباء التي تتصل بالمنزل، لم يكن «هيل هاوس» من هذا العالم الذي تتمنيان إليه.

التفت «إليانور» واتبع التفاف الشرفة الخارجية حول المتزل بالكامل وهتفت:

- انظري!

انعطفت «إليانور» عند الزاوية، خلف المتزل، تكوّنت التلال في كل ضخمة، تكسوها خضرة الصيف الغنية، ثم قالت غير متأكدة:

- لهذا يسمونه منزل التل؟

- كل شيء هنا من الطراز الفيكتوري، حيث يتمرّغ الجميع في طوفان من القطيفة والزخارف. أي شخص قد يأتي بعدهم أو قد جاء قبلهم سببع متزلاً كهذا أعلى التلال حيث يتتمي، بدلاً من أن يدسه وسط مكان كهذا عند السفح.

- إنّ تَبُوَاً مكاناً على فوق التلال سيصبه الجميع.. أنا مع إيقائه شيئاً حيث هو.

- طيلة الوقت الذي سأمضيه هناك سأكون مرتعبة ظناً أن واحداً من تلك التلال سينهار فوقنا!

- لن تنهار فوقك يا «ثيو». التلال تنزلق ببطء وهدوء وسرية خلفك وأنت تحاولين الهرب منها.

- شكرًا!

ردت «ثيودورا» بصوت مرتعد ساخر.

- ما بدأه السيد «ددلي» أنهيته أنت ببراعة، وجب على الآن جع حاجياتي والعودة إلى داري.

انطلت على «إليانور» دعابة «ثيودورا» وردها الساخر للحظة، التفت إليها وحدقت في وجهها فرأى نظرة السخرية على وجهها وفكرة هي أكثر شجاعة مني. لاحقاً ستكون الشجاعة هي المرادف لكلمة «ثيودورا» في ذهن «إليانور».

القطط «ثيودورا» أفكار «إليانور» وعاجلتها بجواب سؤال لم تأسه:

- لا تكوني خائفة هكذا طيلة الوقت.

مدّت يدها إلى خد «إليانور» ولمسته بإصبعها:

- لا نعرف أبداً مصدر شجاعتنا.

نزلت «ثيودورا» الدرجات واندفعت نحو الأشجار:

- أسرعي، أريد أن أعرف إن كان ثمة جدول في مكان ما.

- لن نستطيع التوغل بعيداً.

تبعتها «إليانور» وبدت كطفلتين تعدوان بين الأعشاب، ترتجان براح المكان وبهجته بعد جهامة «اهيل هاووس». تسعد أقدامهما بلمسات الخشائش بعد صلابة الأرضيات الخشبية.

بغريرة شبيهة بغريرة الحيوانات، تبعتا صوت الماء ورائحته، هتفت «ثيودورا»:

- هنا طريق صغير.

قادهما الطريق إلى تصاعيد مستمر في صوت الماء. وصلتا إلى مرج ذي صخور، حيث استطاع ضوء الشمس أن يغمرهما كلياً على الرغم من ميل الوقت للغروب.

مع اقترابها من سفوح التلال نادت «ثيودورا»:  
- أتبعيني.

وبحرت، فتبعتها «إليانور» منقطعة الأنفاس. توقفت «ثيودورا» فجأة عند حافة الجدول فكادت تسقط وتسحب «إليانور» معها. استلقت الشابتان عند الضفة المائلة وراحتا تضحكان. قالت «ثيودورا» وهي تهب الهواء:  
- هذا مكان يجب أن يقاجئنا!

- كنت تركضين كأنك على وشك الغطس في الجدول!  
- جميل، أليس كذلك؟

ثموجت مياه الجدول الرقراقة بجوار الأزهار الزرقاء والصفراء عند الضفة، وبدا عند الأفق المزيد من المر الوح والتلال المنخفضة والعالية التي ما زالت تعكس ضوء الشمس.. همست «إليانور» شاردة:  
- أنا متأكدة من أنني كنت هنا من قبل.. دببا في كتاب حكايات عالية.

- بالطبع.. هل يمكنك التقافز فوق الصخور وسط الماء؟  
- هذا هو المكان حيث تلتقي الأميرةُ الأمير المسحور على هيئة سمكة ذهبية..  
- كيف ستحيا سمكتك الذهبية في ماء لا يتجاوز عمقه ثلاثة بوصات؟

- الأسماك الضئيلة تستطيع.. أسماك المُنْوَة ربيا.

- وكلهم أمراء مسحورون؟

تعلّت «ثيودورا» فاردةً ساقيها مضيقـة:

- ربـيا شـراـغـيفـ الضـفـادـعـ منـ تـسـطـيعـ العـيـشـ هـنـاـ.

- لا.. أسماك المُنْوَة.. ما زال الوقت مبكرـاً على فـقـسـ بـيـضـ الضـفـادـعـ،  
أـرـاهـنـ أـنـنـاـ سـنـجـدـ بـعـضـهـاـ لـوـ بـحـثـنـاـ.ـ اـعـتـدـتـ وـأـنـاـ صـغـيرـةـ أـنـ أـمـسـكـ أـسـمـاـكـ  
المـنـوـةـ فـيـ يـدـيـ وـأـطـلـقـ سـرـاحـهـاـ بـيـطـءـ فـيـ المـاءـ.

- يـلـيقـ بـكـ دـورـ زـوـجـةـ الـمـزارـعـ.

- هـذـاـ مـكـانـ مـنـاسـبـ لـلـتـرـهـاتـ الـخـلـوـيـةـ،ـ معـ غـدـاءـ بـجـوارـ الـجـدـولـ  
وـبـعـضـ الـبـيـضـ الـمـلـوـقـ.

ضـحـكـتـ «ثـيـودـورـاـ»ـ ضـحـكـةـ رـائـقةـ:

- وـسـلـطـةـ الدـدـاجـ وـكـعـكـ الشـوـكـوـلـاتـةـ.

- وـ«ـلـيمـونـادـةـ»ـ فـيـ تـرـمـوسـ صـغـيرـ..

تلـحـرـجـتـ «ـثـيـودـورـاـ»ـ عـلـىـ العـشـبـ وـكـانـهـ عـلـىـ سـرـيرـ فـاخـرـ وـهـتـفتـ:

- كـانـواـ مـخـطـئـينـ بـصـدـدـ النـمـلـ،ـ لـاـ يـوـجـدـ نـمـلـ هـنـاـ إـطـلاـقاـ.ـ رـبـياـ بـعـضـ  
الـأـبـقـارـ أـوـ الـثـيـرـانـ،ـ لـكـتـنـيـ لـمـ أـرـ قـطـ نـمـلـةـ وـاحـدـةـ فـيـ رـحـلـةـ خـلـوـيـةـ.

فـتـحـتـ «ـثـيـودـورـاـ»ـ عـيـنـيـهـاـ وـاعـتـدـلتـ:

- هلـ لـدـيـكـ وـاحـدـ منـ هـؤـلـاءـ الـأـعـامـ خـفـيـفـيـ الـظـلـ؟ـ كـانـ لـدـيـ عـمـ

بحسني بآلا أخاف إن طار دني ثور، كل ما على فعله هو جذب حلقة  
الله فيهدأ.

طوحت «إليانور» زلطة صغيرة في الماء وراحت ترقبها وهي تختفي:

- هل لديك الكثير من الأعماام؟

- آلاف.. وأنتِ؟

بعد هنีهة ردت «إليانور»:

- الكثير بالتأكيد، من جميع الأعماام والأشكال والأوزان!

- لديك حالة تُدعى «إدنا»؟

- الحالة «مولى»..

- نحيفة نوعاً؟ ذات عوينات بلا إطار؟

- وبروش من العقيق.

قالتها «إليانور» باسمة.

- وترتدي دوماً فستانًا ورديةً في حفلات العائلة؟

- فستانًا ورديةً ذا أساور من «الدانيل»..

- أعتقد إذاً أننا أقارب! هل كنتِ ترتدين تقويمًا للأسنان؟

- لا.. فقط نمش في وجهي.

- أنا التحقت بمدرسة خاصة من تلك النوعية التي تعلم الفتيات

كيفية أداء تحية رسمية بانحناءة وكل شيء.

- كنت أُمِّرَض بالبرد طيلة الشتاء، كانت أمي تجبرني على ارتداء جوارب صوفية طويلة.

- أما أمي أنا فكانت تجعل أخي يصبحني إلى الرقص، و كنت أحب أداء التحية الرسمية بشكل جنوني، لا يزال أخي يكرهني لهذا!

- انكفات في أثناء مراسم التخرج ..

- نسيت دوري في مسرحية المدرسة ..

- كنت أكتب الشعر ..

- أنا الآن متأكدة من أننا أبناء عمومة!

ضحكـت «ليودورا» بصوت مجلجل، فالتفتـت إليها «إليانور» وهـست:

- أخفـضـي صـوـتكـ، ثـمـةـ ماـ يـتـحـركـ هـنـاكـ ..

حلـقـتـاـ حيثـ أـشـارـتـ «إـلـيـانـورـ»ـ وـهـماـ مـتـجمـدـتـانـ مـتـلاـصـقـتـاـ الـكـتـفـينـ،ـ يـتـحـركـ العـشـبـ هـنـاكـ خـلـفـ الـأـشـجارـ وـكـأـنـ هـنـاكـ كـيـانـاـ مـاـ غـيرـ مـرـئـيـ يـسـيرـ عـلـىـ العـشـبـ وـيـدـاعـبـ الـحـشـائـشـ وـيـحـجـبـ ضـوءـ الشـمـسـ.

- ماـ هـذـاـ؟

نـطـقـتـهاـ «إـلـيـانـورـ»ـ بـالـكـادـ،ـ فـأـمـسـكـتـ «ليـودـورـاـ»ـ مـعـصـمـهاـ بـقـوـةـ.

- لـقـدـ ذـهـبـ.

وـعـادـتـ الشـمـسـ لـلـسـطـوـعـ مـرـةـ أـخـرىـ وـسـادـ الدـفـءـ.

- ربـماـ كـانـ مـجـرـدـ أـرـنـبـ.

- لـمـ أـرـ أـيـ مـخـلـوقـ ..

- أنا رأيته لحظة نبهتني.

قالتها «ثيودورا» في حسم كي لا ترك «إليانور» فريسة للخوف.

- كان أربنا وتواري خلف الأشجار.

نظرت «إليانور» للشمس المائلة للمغيب وهتفت:

- لقد تأخرنا.

وقامت شاعرةً بمقابلتها متيسّة من كثرة الجلوس.

- تخيلي شابتين رائعتين مثلنا في رحلة خلوية خائفتين من أرب!

مدت «إليانور» يدها لتساعد «ثيودورا» على النهوض:

- علينا العودة سريعاً.

ثم أضافت مُبرّرةً تعجلها:

- لعل الآخرين قد وصلوا إلى «هيل هاووس».

- علينا العودة للغداء هنا في وقت لاحق، رحلة خلوية على الطراز القديم على ضفاف الجدول.

- ويمكننا أن نطلب من السيدة «ددلي» بعض البيض المسلوق كذلك.

توقفت «إليانور» عن السير، ومن دون أن تلتفت أردفت:

- «ثيودورا»، لا أظنتنا نستطيع المجيء إلى هنا مرة أخرى.

وضعت «ثيودورا» ذراعها حول كتفي «إليانور» الخامسة:

- «إليانور»، هل ستتركينهم يفرقوننا الآن بعد أن اكتشفنا أننا أبناء

عمومة؟

## ٨

غربت الشمس بنعومة خلف التلال، انزلقت خلف كتلها الشبيهة بالوسائل. امتدت الظلالة طويلة على المشي حين وصلت «إيلانور» و«ثيودورا» إلى الشرفة الخارجية لـ«هيل هاووس».

ـ هناك من ينتظر.

أسرعت «إيلانور» خطاهما ورأت «لوك» للمرة الأولى (تشهي الرحلات بلقاء الأحبة). سالت «ثيودورا»:

ـ هل تبحث عنا؟

تقدم «لوك» من حاجز الشرفة، ونظر إليهما في ضوء الغسق الشحيح ثم انحنى في تحية أنيقة مُرحبة.

ـ إن كتما من الأشباح التي تسكن «هيل هاووس»، فأننا سأسكن هنا إلى الأبد..

لغيرت «إليانور» بسخفه، بينما قالت «ثيودورا»:

- آسفه أنا لم نُكُن هنا للترحيب بك، كنا نستكشف المكان.

- شمطاء عتيقة بوجه شبيه باللين المتاخر رحّبت بنا، شكرًا! ألت

ل وجهي عبارة ترحيب تبعتها بما ذكر أنه «أتمنى أن أجده حيًّا حين

أعود في الصباح» و«عشاؤك على الخوان» ثم غادرت.

- لا بد أنك رأيت زوجها السيد «ددي»، حريٌ بـ«الكونت دراكيلولا»

الانسجام إلى تلك العائلة اللطيفة.

- بما أن وقت التعارف قد حان، فأنما «لوك ساندرسن».

بدأت «إليانور» أخيرًا في الحديث بعد تردد طال:

- أنت إذاً من العائلة المالكة للمنزل! ظننتك من ضيوف دكتور

«مونتاجيو».

- أنا بالفعل من العائلة المالكة، يومًا ما ستُؤول إلى كومة الحجارة

ذلك. حتى هذا اليوم، فأنما مثلكما، ضيف من ضيوف دكتور «مونتاجيو».

ضحكـت «ثيودورا» ثم أردفت:

- نحن «إليانور» وـ«ثيودورا»، شابتان كانتا تخاططان لنزهة خلوية

بعجوار الجدول وأربعهما أرب.

- لدى خوف عميق من الأرانب.

قاـها «لوك» موافقاً في أدب.

- لكن، هل يمكنني المجيء معكما لو حملت لكم سلة الطعام؟

- يمكنك أن تداعب أوتار قيثارتك وتعزف لنا بينما نأكل شطائر الدجاج. هل الدكتور «مونتاجيو» في الداخل؟

- هو في الداخل، يتباهى بمنزله المسكون.

صمت الجميع للحظات شعروا فيها بحاجتهم إلى الاقتراب من بعضهم البعض، ثم قطعت «ثيودورا» السكون بصوت راجم:

- لا يدرو أن عبارة «المنزل المسكون» مضحكة الآن، أليس كذلك؟ خاصة أن الظلام قد بدأ يسود.

انفتح الباب الضخم المظلم بغتة من خلف «الوكر».

- أصدقائي.. مرحبًا بكم، أنا الدكتور «مونتاجيو»، تفضلوا بالداخل!

وقف أربعتهم، للمرة الأولى، وسط البهوج الرئيسي لـ«هيل هاوس». بحسب المترجل أنفاسه من حولهم محاولاً أن يحدد مكانهم، ومن فوقهم تغفو العلال يقظة. دوامت صغيرة من الهواء والنسمة تحوم حولهم وتهمس، في مركزها وقف أربعة أشخاص غرباء واثقين ببعضهم البعض. هتف دكتور «مونتاجيو»:

ـ أنا سعيد بوصول الجميع سالمين وفي موعدهم بدقة، مرحباً بكم جميعاً في «هيل هاوس»، ولو أني أرى أن هذا الترحيب لا بدّ أن يصدر منك أيها الفتى كوريث للمترجل. على أي حال، أهلاً بك يا بني، هل يمكنك تحضير شراب «المارتيني»؟

## ١٠

رفع دكتور «مونتاجيو» كأسه إلى شفتيه ورشف آملاً في مذاق معتدل.

- مقبول، مقبول أيها الفتى..

ورفع كأسه محياً:

- على شرف نجاح تجربتنا في «هيل هاووس».

سألت «ثيودورا»:

- كيف يمكن للمرء أن يستوثق من النجاح في مكان كهذا؟

ضحك الدكتور وأردف:

- حسناً، سأسحب النخب.. أتفى أن نحصل جميعاً على إقامة ممتازة، ويحظى كتابي بنجاح ساحق. لا أستطيع أن أطلق على إقامتنا هنا لفظة «عطللة» على الرغم من كونها كذلك لدى بعضنا، لكننا هنا في إقامة عمل من نوع ما.

ولنذهب في راحة، على الرغم من بحثه عن أرض صلبة وسط طوفان  
من الأفكار:

- ستركتب ملاحظاتنا عن المكان.. أعتقد أنها مهمة مقبولة وسهلة.

قالت «ثيودورا» متهدمة:

- ما دام لن يكتب أحدنا تورية عن «روح» العمل...

- روح...

نظر الدكتور إلى «ثيودورا» وأكمل:

- الروح.. آه، بالطبع.. لن يجعلها أحدنا..

وتتردد قبل أن يكمل:

- بالطبع لن يستخدم أحد توريات عن الأرواح.

رشف دكتور «موتا جيو» ثلاث رشقات متلاحقة من مشروبه الذي  
«لن نظره فيه». هتفت «إليانور»:

- كل شيء هنا غريب، أعني: في الصباح كنت أتساءل عن «هيل  
هاوس» وكيف سيبدو، والآن لا أصدق أن هذا كله حقيقي وأننا بداخله.

كانوا يجلسون في حجرة صغيرة من اختيار الدكتور الذي ضل طريقه  
إليها أكثر من مرة، ولم تكن حجرة مريحة. كانت ذات سقف شاهق  
ومدفأة ضيقة تبعث البرد على الرغم من النيران المضرمة بداخلها.  
كانت المقاعد زلقة غير مريحة، تزحف عليهم الظلال الملونة الكئيبة  
عبر أقمشة الأجاجورات المتأيرة.

كانت الحجرة تعطي انطباعاً عاماً باللون البنفسجي، السجاد وورق الحائط وذلك التمثال الذي يمثل «كيوبيد» يطل عليهم من فوق رف المدفأة، الكل يحمل طابعاً بنفسجيّاً ما.

عندما يصمت الجميع، ولو للحظات، يطبق عليهم سكون المنزل من الجهات الأربع. تتساءل حينها «إليانور» إن كانت حقاً في هذا المكان وليس في حلم ثقيل تحلمه في مكان بعيد آمن. تنظر إلى الحجرة حولها وتخبر نفسها أن هذا كلّه حقيقي، من النقوش على الحوائط حتى تمثال «كيوبيد». هؤلاء الأشخاص سيصبحون أصدقاءها.

كان دكتور «مونتاجيو» واثقاً مشرقاً ملتحياً، كأنه خلق كي مجلس أمام مدفأة في حجرة لطيفة، وعلى فخذه قط ناعس. تُحضر له زوجته الخلوى في جلسته تلك. وكان كذلك - الدكتور «مونتاجيو» - المحنّك، الذي جاء بـ«إليانور» إلى هنا، رجلاً حسن الاطلاع، عينياً.

على الجهة الأخرى من المدفأة، كانت «ثيودورا»، التي جلست على أكثر المقاعد راحة في المكان، ساقاها تدلّيان من فوق المستند ورأسها مرکون على ظهر المبعد. كانت تبدو كقطعة تتّظر عشاءها.

أما «لوك» فلم يسكن في مكان واحد لحظة؛ استمر في الجيئنة والذهب عبر الغرفة مخترقاً الظلال، يملاً الكؤوس ويقلب حطب المدفأة ويداعب تمثال «كيوبيد». كان مشرقاً في ضوء النيران، مشرقاً وقلقاً.

عم الجميع الصمت وراحوا ينتظرون لاضطرام النيران، شاعرين بتعب سفرهم. قالت «إليانور» لنفسها: أنا رابع أربعة في الغرفة، أنا واحدة منهم.

قال «لوك» فجأة، وكان حديثهم لم ينقطع بالصمت من قبل:

ـ حيث إننا جميعا هنا، ألا يجب أن نتعارف؟ فنحن لا نعرف عن بعضنا سوى الأسماء حتى الآن. أعرف أن هذه «إليانور»، ترتدي الأحمر؛ لذا فتلك «ثيودورا» ذات القميص الأصفر.

ـ دكتور «مونتاجيو» ملتحٍ.

قالت «ثيودورا»، ثم أردفت:

ـ لذا فلا بد أنك «لوك».

ـ وأنت «ثيودورا» ما دمت أنا «إليانور»!

من يتحدث بطلاقه الآن؟ من يشعر بالامتناء والراحة؟ من يجلس جوار المدفأة مع الأصدقاء؟ «إليانور»؟ أنا؟ أنا؟

ـ لست ملتحيا؛ لذا فأنا «لوك» وأنت الدكتور «مونتاجيو».

نظر دكتور «مونتاجيو» حوله في سعادة وقال:

ـ أنا ملتحٍ، زوجتي تحب الرجل ذا اللحية، على جانب آخر، بعض النساء يكرهن اللحي ويفضلن رجلهن حليقاً نظيفاً. لا تؤاخذني يا بني؛ فزوجتي ترى الرجال غير الملتحين وكأنهم شبه عرايا.

ثم رفع كأسه نحو «لوك»، فقال الأخير:

ـ والآن، بما أنتي عرفت أيها منا أنا، فلا أعرفكم ببعضي أكثر.. أنا، اعتبر نفسي مصارع ثيران.

ـ أنا أفضل الرجال الملتحين.





أضاف «لوك»:

- إن كنّا سنجتمع هنا، فأقترح أن نحضر شيئاً أكثر راحة للجلوس، فكل شيء ذلق غير مريح.

أجابه دكتور «مونتاجيو» بلهجة قاطعة:

- غداً سنتكتشف باقي المنزل ونحرك أثاثه بما يناسبنا، والآن أقترح أن نرى ماذا حضرت السيدة «دولي» للعشاء.

توقفت «ثيودورا» وسط خطواتها في حيرة وغمغمت:

- لا بدّ أن يرشدي أحداً إلى حجرة الطعام، لا أستطيع تحديد مكانها من هنا. هذا الباب يقود إلى الصالة الرئيسية؟

- لا يا عزيزتي، هذا الباب يؤدي إلى حجرة الموسيقى.

نهض دكتور «مونتاجيو» وقاد الثالثة:

- لقد درست جيداً خريطة المنزل، وأعتقد أننا سننالف من هذا الباب ونسير عبر الطرفة، ثم نصل إلى وهو الرئيسي فنعبره إلى حجرة البلياردو ومنها إلى حجرة العشاء. ليس صعباً كما ترون عندما تعتادون الطريق.

صاحت «إليانور»:

- ولماذا هذا التعقيد كله وتلك الغرف الغريبة كلها؟

قال «لوك» ساخراً:

- ربما يحبون الاختباء من بعضهم البعض.

- ولا أفهم لم يحيطون أنفسهم بتلك الألوان الداكنة كلها!

تبعت «ثيودورا» و«إليانور» دكتور «مونتاجيو» عبر الطرقة ومن  
خللها «لوك» يتوقف كل فترة ليفتح درجًا أو ينظر داخل ضلفة مغلقة،  
وتساءل بصوت عالي عن غرام ملاك المنزل بتنقوش رأس «كيوبيد»  
عن على الستائر. قال دكتور «مونتاجيو»:

- بعض تلك الحجرات متداخلة، أي حجرة تحوي داخلها حجرة  
أخرى؛ لذا فأغلبها بلا نوافذ أو أبواب مباشرة تقود إلى خارجها من  
دون المرور بحجرات أخرى. لكنه أمر شائع في منازل ذلك العصر.  
الأغرب أنهم يغطون النوافذ الموجودة بالستائر الثقيلة طيلة الوقت.  
فتح دكتور «مونتاجيو» باب الطرقة الضخم وترك الثلاثة يعبرون  
بینها يمسك بضلفيه.

- وللمنزل أيضًا غرائبه، «لوك»، تعال وأمسك هذه الضلفة حتى  
أجد حجرة العشاء.

قطع دكتور «مونتاجيو» الردهة الرئيسية وفتح باباً عملاقاً لتفوح  
 منه رائحة طعام زكية.

- أهني نفسي؛ فقد قدمتكم إلى التحضر عبر غياحب «هيل هاووس»!  
نظرت «ثيودورا» حوالها وقالت:

- علينا أن نترك كل الأبواب مفتوحة؛ فأنا أكره التجوال في الظلام  
هكذا.

علقت «إليانور» وهي تدلُّف إلى حجرة العشاء:

- يجب أن تضع في فرجات الأبواب ما يمنع انفلاتها، كل باب هنا

ينغلق من تلقاء نفسه لو تركته لحظات.

قال دكتور «مونتاجيو»:

- غداً، سأذكر أن نضع موانع انغلاق على الأبواب.

ثم اقترب بسعادة إلى حيث تركت السيدة «ددي» صفة مغضي من الأطعمة الدافئة زكية الرائحة.

كانت المائدة معدة لأربعة أشخاص، تحيط بالأطباق أدوات المائدة الفضية والشمعون. رفع «الوك» شوكة وحدق بها بمحض كل خاوف عمنه قائلًا لـ«ثيودورا»:

- فضة خالصة!

- أعتقد أن السيدة «ددي» فخور بالمتزل.

قال دكتور «مونتاجيو» وهو ينظر إلى الطعام.

- لقد أبى إلا أن تقدم لنا أفحى مائدة.

- والأفضل أن السيدة «ددي» أعدت الطعام وانصرفت، ما يحرر منا من صحبتها غير المرحب بها! فلنستمتع بالعشاء.

راح «الوك» يضع كميات كبيرة من الطعام في طبقه ويقول:

- أعتقد أنني قد ظلمت السيدة الطيبة، فقد ثمنت أن تجذبني حيًّا في الصباح وقد ظننت في أمتيتها السوء، لكنها كانت تعد لي ميزة أفضل بسبب التخمة.

تساءلت «إيليانور»:

- ما الذي يجعلها هي وزوجها يمكثان هنا وحدهما؟

أجاب دكتور «مونتاجيو»:

- كما سمعت، فإن عائلة «ددي» توارث خدمة المنزل منذ إنشائه،

وكانت عائلة «ساندرسن» مرحّبة بالإبقاء عليهما، غداً...

فهكذا قاتلة: ثيودورا

- أعتقد أن المنزل يليق بالسيدة «ددي» أكثر من أي مالك آخر. ربما تتطلّر موت آخر الورثة - أعني أنت يا «لوك» - بأبشع الميتات، لترتّل منزل وما فيه من كنوز غبّاء في الحجرات السرية.

- لا توجد حجرات سرية في «هيل هاووس».

قالها دكتور «مونتاجيو» بلهجة حاسمة.

- كانت فرضية الحجرات السرية مطروحة من قبل، لكننا تأكّدنا من خطئها، غداً...

- معك حق، لا شيء يمكن اكتشافه في مثل تلك الأبنية العتيقة.

قاطع «لوك» دكتور «مونتاجيو» وأكمل:

- لا يمكن للسيدة «ددي» خنقـي ما لم يكن هناك يورانيوم مخفي في المنزل في مكان ما.

ضحكـت ثيودورا قاتلة:

- أو تخنقـك مجرد أنها تجد ذلك ممتعـاً!

تساءلت إلينور:

- حسناً، لكن لماذا نحن هنا؟

لدقائق كاملة، حدق ثلائتهم في وجوهها، ثم أردفت «ثيودورا»:

- كنت على وشك السؤال: لماذا نحن هنا؟ ما خطب «هيل هاووس»؟  
- غداً...

قاطعت «ثيودورا» دكتور «مونتاجيو»:

- لا، نحن ثلاثة من البالغين الأذكياء، وقد قطعنا مسافات طويلة  
لتلبية دعوتك يا سيدى، «إليانور» ت يريد معرفة سبب اجتماعنا، وأنا كذلك.  
- وأنا أيضاً.

فاطها «لوك».

- لماذا دعوتنا إلى «هيل هاووس»؟ ولماذا أنت نفسك هنا؟ ماذا سمعت  
عن هذا المكان؟ ولمَ هذه السمعة الملتبسة به؟ ماذا سيحدث هنا؟

قطب دكتور «مونتاجيو» جيئه في همّ وقال:

- لا أعرف.. أعرف القليل عن المنزل، وبالفعل أتمنى أن أنقل لكم  
كل ما أعرف. أما بالنسبة لسؤالكم عن المتوقع حدوثه هنا فانا ما زلت  
في الظلام مثلكم. غداً قريب وستتحدث عن كل شيء في ضوء النهار...

قاطعته «ثيودورا»:

- لا أخاف الظلام..

- أؤكد لكم، «هيل هاووس» سيكون هادئاً الليلة. هناك نسق عام  
لما متوقع حدوثه؛ فالظواهر النفسية تخضع لقواعد معينة خاصة بها.

ـ اعتقد أن علينا أن نعرف كل شيء الليلة.  
ـ قالها «لو ك» قاطعاً.

لستا خائفين.

لنجد دكتور «مونتاجيو» مرة أخرى وأردف:

- لنفترض أنكم سمعتم قصة «هيل هاوس» الليلة وقررتم عدم البقاء، فكيف سترحلون؟

أدار نظره بينهم وأكمل:

- البوابات مغلقة، وعامة «هيل هاوس» مشهور يأصر ارته على استضافته  
سيوفه في المساء بأي طريقة، يبدو أنه يكره أن يتركهم يهربون منه  
ليلاً، آخر شخص حاول مغادرة «هيل هاوس» في الليل، حدث هذا  
منذ ثانية عشر عاماً، وُجد قتيلاً عند منعطف الطريق، حين اصطدم  
حصانه بشجرة ضخمة وسحقه. فهذا ستفعلون لو حكى لكم عن  
«هيل هاوس» ورغبتם في المغادرة؟ غداً أحكى لكم، على الأقل الرحيل  
سيكون آمناً في النهار.

صاحب «ثيودورا»:

لڪنَا مِنْ نَاتٍ كي نهرب.. أنا لن أفعل، وكذلك «إليانور» و«لوك».

- يالكم من مساعدين مزعجين! حسناً، بعد العشاء نعود إلى حجرة اجتياعنا وسيحضر لنا «لوك» بعض «البراندي» وسوف أخبركم كل شيء عن «هيل هاوس». والآن، فلتتحدث عن الموسيقى أو الرسم أو حتى السياسة!

## ١١

أدار دكتور «مونتاجيو» كأس «البراندي» بين راحتيه وقال:

- أنا لم أقرر بعد ماهية الطريقة المثل لتحضير ثلاثكم مقابلة «هيل هاوس». بالتأكيد لم أستطيع الكتابة لكم عنه في خطاباتي، ولا أرغب في إفهام عقولكم بتفاصيل تاريخية قبل أن تسمح لكم فرصة أن تستكشفوه بأنفسكم.

كانوا جالسين في القاعة الصغيرة، ناعسين، وقد فقدت «ثيودورا» كل أمل في أن ترتاح على أي كرسي، فاستلقت على وaci السجادة أمام المدفأة متربعة الساقين.

فكرت «إليانور» في مشاركة «ثيودورا» المكان، لكنها خشيت أن تلفت الأنظار إليها إن تحركت من فوق كرسيها الزلق غير المريح.

أذاب عشاء السيدة «ددلي» الشهي والدافئ وطول الحديث إحسان الغربة بينهم، وقد بدأ الجميع في اعتياد أصوات وضحكات بعضهم

البعض، فوجئت «إليانور» أنها قد أمضت حوالي خمس ساعات فقط في «فيل هاوس» والآن يبدو كل شيء مألوفاً لها كأنها عاشته منذ أعوام. ابتسمت وهي تشعر ببرودة كأسها بين أناملها، ودفع الكرسي من تحتها، واحتكاك الهواء الراكد ببشرتها. الظلال ما زالت تقع في الأركان، وتمثال «كيوبيد» يطل عليهم مبتسمًا بخديه المكورين الشهرين.

هتفت «ثيودورا»:

ـ يا الله من وقت مثالي لقصة مرعبة!

رد عليها دكتور «مونتاجيو» بحدة:

ـ إذا سمحت، لست أطفالاً يحاولون إخافة بعضهم البعض هنا.

ابتسمت «ثيودورا» وهمست:

ـ معذرة، أنا فقط أحاول أن اعتاد وضعني الجديداً هنا.

ـ دعونا نعتمد على الخذر في انتقاء كلماتنا.. لا مجال لمصطلحات مثل الرعب والأشباح والأرواح...

قاطع «لوك» دكتور «مونتاجيو»:

ـ أو الأيدي المبتورة في الحساء.

ـ يا عزيزي، لو سمحت، أنا أحاول أن أوضح أن مهمتنا ذات طبيعة علمية استكشافية، فلا بد من الابتعاد عن تبني الأقاويل والحكايات غير المؤكدة والتأثر بها في أحكامنا.

ابتسم دكتور «مونتاجيو» راضياً عما قال ونظر للموجودين حوله مردفاً:

- كحقيقة مجردة، أبحاثي خلال السنوات الماضية أو صلتني إلى نظريات محددة عن بعض الظواهر النفسية التي أجد الفرصة ملائمة الآن لكي أختبر مدى صحتها؛ لذلك لا يجب عليكم أن تعرفوا أي شيء عن تاريخ «هيل هاوس» كي لا يؤثر على حياد التجربة.

غمغمت «ثيودورا»:

- فقط تكتب ملاحظاتنا..

- بالطبع، الملاحظات مهمة جداً. في الواقع، بعد تفكير، وجدت أنه من الأفضل عدم ترككم بلا أي خلفية من أي نوع عن المنزل، خاصةً أن أغلب الناس لا يستطيعون مواجهة مواقف جديدة مفاجئة من دون أي تحضير. أنتم ثلاثة أطفال نزقين لن تكوني وشأنك من دون قصة ما قبل النوم!

قهقهت «ثيودورا» فنظر لها الدكتور مبتسمًا راضياً عن كسر حدة كلماته التي بدأ بها الجلسة. ثم قام ووقف أمام المدفأة في وضعية التدريس التي يألفها. وشعر الجميع بانتقاهم إلى مرحلة جديدة من مغامراتهم.

- دعونا نذكر أن المنازل ذُكرت في سفر اللاويين بصفة «بيوت مجذومة»، أو كما وصف «هوميروس» المنازل بـ«بيوت حادس» أو «منازل الموت». ادعاء البعض أن البيوت، لأسباب عده، قد تكون نجسة أو محظوظة كما قلت آنفًا هو ادعاء قديم قدم الإنسان نفسه. كما أن هناك أماكن تعطى عليها صفة الطهارة والقداسة. لن أكون منصفًا لو قلت إن هناك منازل معينة تولد ملعونة. «هيل هاوس»، على سبيل المثال، لم يكن أبداً ملائمة للسكنى أياً ما كان السبب. ربما أثرت طباع ساكنيه

الأوائل أو ما فعلوه هنا أو حتى طبيعته الخاصة في كونه مكاناً بغيضاً،  
لأستطيع أن أجزم أبداً بالسبب؛ لذا، أأمل أن نجد بعض الإجابات  
قبل رحيلنا، فلا يعرف أحد حتى لم قد تُنعت بعض البيوت بالبيوت  
المسكونة.

سأل «لوك»:

- وماذا تدعوا «هيل هاووس» إن لم تستخدم وصف «بيت مسكون»؟

ـ أدعوه بالبيت المزعج.. ربما البيت المريض، المجنون، المخذول..  
منزل ختل مغزور، هو الوصف الأقرب.. هناك تفسيرات علمية لما  
يطلق الناس أشباحاً أو كيانات نجسة. البعض يفسر تلك الظواهر  
النفسية الغريبة المرتبطة ببعض المنازل بوجود تiarات مائية تحتها أو  
tiارات كهربائية، أو هلاوس مرتبطة بهواء ملوث. البعض يفسر كل  
شيء باختلاف الضغط الجوي، أو البقع الشمسية. تلك التفسيرات  
كلها لها مریدوها في أواسط المشككين في الظواهر النفسية. هم فقط  
يسمحون إلى الصاق أسماء وتفصيلات ذات رنين علمي بكل شيء.  
بعض النظر عن صحتها.

تنهد دكتور «مونتاجيو» ونظر إليهم متلهكـاً ثم أردف:

- منزل مسكون! هكذا اضطررت إلى استخدام تلك العبارة عندما  
أخبرت زملائي عن وجهتي هذا الصيف.

قالت «ثيودورا»:

- أنا أخبرت أصدقائي أنتي سأشارك في تجربة علمية، لم أخبرهم  
بالطبع عن وجهتي أو طبيعة التجربة.

- لا بد أن أصدقائك أكثر تقبلاً من أصدقائي لفكرة التجارب العلمية. لو أخبرتهم أنني ذاهب للتخييم في سنّ كستني، لن يصدقني أحد. المهم، سمعت لأول مرة عن «هيل هاوس» منذ عام تقريباً من ساكن سابق له. بدأ حديثه معي بأنه غادر «هيل هاوس» لأن عائلة لم تحب السكنتى بعيداً عن المدينة، وأنهى حديثه بقوله إن المنزل لا يحرق ويُثر الملح في موضعه. علمت من مستاجرین آخرين لهيل هاوس» أن أحداً لم يقم في المنزل أكثر من عدة أيام ولم يكمل أحد مدة إيجاره فقط. كانت أسبابهم تتراوح ما بين الرطوبة المرتفعة في المكان وهو أمر عارٍ عن الصحة - وحاجتهم الملحة للمغادرة من دون سبب.

كل من سكن «هيل هاوس» غادره في عجلة، متعللاً بأسباب واهية، حاولت أن أعرف تفاصيل أكثر، لكن أحداً منهم لم يبدأ متحمساً للكلام، فضلاً عن زعم بعضهم أنهم لا يتذكرون تفاصيل الأيام التي قضوها في «هيل هاوس». لكنهم أجمعوا على نصحي بالابتعاد قدر المستطاع عن ذلك المنزل. لم يجرؤ أحدٌ منهم على الاعتراف بأن «هيل هاوس» مسكون، لكنني عندما زرت هيلزديل وراجعت الصحف التي ...

قاطعته «ثيودورا»:

- صحف؟ هل تشر شيء في الصحف عن المنزل؟

- بالطبع، خبر شائق يحوي بعض الفضائح: انسحار وجنون وملائج قضائية. وعرفت أن السكان المحليين للمنطقة لا يشكرون أبداً في كون «هيل هاوس» مكاناً مسكوناً. تعرفون كم من الصعب أن يجمع المرء حقائق من حكايات القررويين؛ لذا لم أجد مفرّاً من زيارة السيدة «ساندروسن»،

ـ «لوك»، وأُوْجِر منها المَنْزَل، وكانت واضحة وصريحة بشأن المكان  
ـ هو المرحوب فيه... .

ـ قاطعه «لوك»:

ـ حرق المنازل أصعب مما تظن..

ـ لكنها وافقت على تأجيره لي لمدة قصيرة تتبع في إنهاء أبحاثي على  
ـ مخطط اصطحاب أحد ملاك المنزل معه في أثناء إقامتي فيه.

ـ أضاف «لوك» لكلام الدكتور «مونتاجيو» ساخراً:

ـ يأملون في أن أمنعك من اكتشاف الفضائح اللطيفة الخاصة بالمكان.

ـ الآن، وقد شرحت لكم كيف وجدت هذا المكان وسبب وجود  
ـ «لوك» بيننا، يجب أن أضيف أنكما هنا يا سيدق لأنني كتبت لكما وقبلتها  
ـ «موسى». أعني أن تبذل قصارى جهدي لكم لمساعدتي في بحثي. «ثيودورا»  
ـ أثبت أنها تحمل موهبة تخاطرية من نوع ما، بينما واجهت «إليانور» في  
ـ طفولتها حادثاً مرتبطاً بظاهرة التحرير عن بُعد ربيها أو «البولتر جايبشت».

ـ تساءلت «إليانور» مندهشة:

ـ أنا؟!

ـ بالطبع.. في طفولتك.. هل تذكرين الأحجار التي أمطرت منزلكم؟

ـ هزت «إليانور» رأسها نافية، ارتعشت أناملها حول كأسها وغمغمت:

ـ كان ذلك بسبب الجيران، قالت لي أمي إن الجيران هم من فعلوا

ـ ذلك بسبب غير تهم منا.





قاها «لوك» بأسماها.

- أعتقد أننا كنا متواترين جيئاً اليوم، شخصياً فزعت حين نظرت  
بشكل مدقق إلى واجهة المنزل.

شارك «لوك» دكتور «مونتاجيو» رأيه مضيفة:

- وأنا كنت سأصطدم بشجرة من هول طلة المكان.

قالت «ثيودورا»:

- لكتني الآن شجاعة، في حجرة دافئة وبصحبة أصدقاء جدد.

- لا أعتقد أن بوسعنا المغادرة الآن حتى لو أردنا.

قالت «إيلانور» العبرة الأخيرة قبل أن تدرك ما يجب قوله، وما سيبدو عليه كلامها أمام الجميع. رأتهم يحدقون بها فضحكت في حرج مضيفة:

- لن تغفر لنا السيدة «ددلي» أبداً إن فعلناها.

تساءلت ما إن اقتنعوا بالفعل أنها غزير، لكنها أرادت حقاً أن تقول إن المنزل لن يسمع لنا بالرحيل أبداً.

- دعونا نشرب المزيد من «البراندي».

قاها دكتور «مونتاجيو» وعاد إلى وضعية التدريس مرة أخرى أمام المدفأة. بصوت محайд متعمّد أردف:

- سأخبركم الآن قصة «هيل هاوسم». يعني «هيل هاوسم» منذ ما يقارب الشهرين عاصماً. بناء رجل يُدعى «هيرو كرين» كمنزل لعائلته، ليرى

أباها وأحفاده يحيون في بيت فاخر جيلاً بعد جيل، وتوقع الرجل  
في حياته فيه ويموت في سلام بين جنباته. للأسف، كان «هيل  
هاوس» متزلاً حزيناً منذ أن وضع أول لينة فيه. ماتت زوجة «هيل  
هاوس» بعد دقائق من رؤيتها للمنزل تحت عجلات العربية التي أتت  
إليه «هيل هاوس». دخلت المنزل الذي بناء زوجها لها فارغاً من  
الحياة. تركت له ابنتين ليرعاهم وحيداً مكسور الفؤاد، لكنه لم يغادر  
«هيل هاوس».

سالت «إيليانور» في فزع:

- هل عاش أطفال هنا؟

- المنزل جاف كما قلت آنفاً، لا يوجد بالقرب منه مستنقعات تحجب  
السمى للطفلتين، الهواء نقي وصحي، المنزل نفسه يعتبر فاخراً. أعتقد  
أن طفلتين يمكنهما اللعب هنا في سعادة على الرغم من كونهما منعزلتين.

قالت «ثيودورا»:

- ألمى أن تكونا قد لعبتا في المروج وقطفتا الأزهار، المسكبيتان!

- تزوج والدهما مرة أخرى، كحقيقة مجردة، تزوج مرتين، لكن  
يبدو أنه لم يكن محظوظاً في زيجاته. توفيت زوجته الثانية إثر سقطة من  
علي، ليس لدى معلومات عن تفاصيل أكثر. أما الزوجة الثالثة فقد  
توفيت في أوروبا جراء إصابتها بالسل. في مكان ما في المكتبة توجد  
مجموعة من كروت «البوستال» المرسلة من «هيل كرين» إلى ابنته من  
رحلته مع زوجته إلى أوروبا أملأاً في الاستشفاء. فقد ترك الطفلتين هنا  
مع مربيه حتى توفيت زوجة أبيهما. بعدها قرر «كرين» أن يغلق المنزل

وأرسل ابنته للعيش مع قريب لأمها حتى كبرتا.

قالت «ثيودورا» وهي ترمي نيران المدفع:

- أتخى أن قريهما كان أكثر مرحاً من العجوز «هيو»، من الصعب ابتلاع حقيقة أن طفلتين قد عاشتا كالفطر في الظلام.

- لم يكن هذارأي الفتاتين؛ فقد قضتا باقي حياتهما تصارعانهما أحق بـ«هيل هاووس»؟ فقد مات «هيو كرين» مباشرةً بعد زوجته وذهابه في أوروبا مع حلمه القديم بمتنزل عائلة توارثه الأجيال. ترك «كرين» المتنزل لابنته اللتين أصبحتا شابتين. ظل «هيل هاووس» خالياً لعدة أعوام في انتظار عودة «هيو كرين»، أو ابنته، وفي تلك الفترة تم الاتفاق بين الأختين على أن ملكية المتنزل ستؤول إلى الكبرى، تزوجت الأخت الصغرى...

قاطعت «ثيودورا» دكتور «مونتاجيو»:

- آها، سرقت الأخت الصغرى حبيب اختها.. لا شك في هذا.

- كنت أقول: إن الحب تخطى الأخت الكبرى، خاصة أنها تعيش في عزلتها في «هيل هاووس». كانت الأكثر شبهاً بآبيها، وعاشت في المتنزل لسنوات كثيرة، حتى إن الجميع في هيلزديل كانوا يعرفونها. أحبت «هيل هاووس» بصدق، وكانت تراه كمتزل عائلتها. انتقت شابة صغيرة من قرية مجاورة كي ترافقها وتخدمها وتقوم على أعمال المتنزل. قام نزاع بين الأختين وقتها، زعمت فيه الصغرى أنها لم تتلق أي مال نظير تركها «هيل هاووس» للأختها الكبرى. كما لم تتقاسم الأخنان مجوهرات العائلة ومقتنياتها الثمينة، ما أثار حتى الأخت الصغرى أكثر.

البلدة «ساندرسن» بـ«اللقاء نظرية على مجموعة خطابات بين الأخرين»،  
باب فيها الصغرى بحقوقها وتكرر طلبها طاقتها من الأطباق المذهبية  
لـ«أودا». ماتت الأخت الكبرى بعد أعوام تأثيراً بالتهاب رئوي و بلا رفقه  
على حادمتها الشابة. قيل وقتها إن طلب الطيب قد تأخر إهمالاً من  
المادمة التي كانت برفقة شاب في الحديقة تاركة سيدتها وحيدة. أيّاً ما  
كان، أعتقد أن تلك التفصيلة محض شائعات، لكن الثابت أن الأخت  
الصغرى لم ترتع قط وازداد غضبها المجنون بعد وفاة أختها.

قالت «ثيودورا» في غضب:

ـ لا أحب الأخت الصغرى، في البداية تسرق حبيب اختها، ثم  
ـ سلط لسرقة أطباقها! لا... لن أحبها أبداً.

- لـ«هيل هاوس» قائمة طويلة من المأساة التي حدثت فيه، لكن أحلب المنازل القديمة لها مأساتها؛ فالناس دائمًا ما تحيا وتحموت في مكانها، وقد ظل المنزل في مكانه ثمانين عامًا ولم يمُت أحد بين جدرانه سوى الأخت الكبرى. بعد موتها كان هناك تزاع على ملكية المنزل؛ فقد رسمت الخادمة أن سيدتها أوصت لها بالمنزل، بينما وقفت لها الأخت الصغرى وزوجها بالمرصاد، زاعمين أن الخادمة قد خدعت المرأة العجوز وجعلتها تتنازل لها عن المنزل الذي لطالما كانت تنووي أن تعهد به إلى أختها الصغرى بعد موتها.

أمام المحكمة وتحت القسم، زعمت الخادمة أن الأخت الصغرى جاءت إلى «هيل هاوس» في مساء يوم وسرقت بعض الأشياء الثمينة، منها بعض الفضيات، وبالطبع الأطباق المذهبية إياها. من ناحية الأخت الصغرى، فقد صعدت الأمر إلى اتهام الخادمة بقتل مخدومتها وسرقتها،

وطالبت بالتحقيق في الأمر. لا أعرف تفاصيل تلك القضيـاـ، لكن النهاية كسبت الخادمة قضيتها وأصبح المترـل ملكـها بالقانون.

تابعت الأخـت الصغرـى تحـرسـتها وتهـديـدهـا للـخـادـمة، ولاـجـدـها بالـشـائـعـاتـ المـهـينـةـ فيـ كلـ مـكـانـ. وـمـسـجـلـ لـدـىـ الشـرـطـةـ طـلـبـ منـ الـخـادـمةـ بـحـماـيـتهاـ منـ تـهـديـدـاتـ الـأـخـتـ الصـغـرـىـ.

قرأتُ خطابـاـ كـتـبـتهـ الـخـادـمةـ تـقـولـ فـيـ إـنـهـاـ لمـ تـنـعـمـ بـدـقـيقـةـ سـلامـ مـنـ وـفـاةـ مـخـدـوـمـتـهاـ، خـاصـةـ أـنـ أـهـلـ القرـىـ الـمـجاـوـرـةـ كـانـواـ مـتـعـاطـفـينـ معـ الـأـخـتـ الصـغـرـىـ، وـاقـعـينـ تـحـتـ سـيـطـرـةـ شـائـعـاتـهاـ الـمـحـبـوـكـةـ. رـبـيـاـ اـنـصـاعـواـ لـتـلـكـ المـزـاعـمـ غـيرـةـ مـنـ الـخـادـمةـ الـتـيـ أـصـبـحـتـ سـيـدـةـ فـيـ لـيـلـةـ وـضـحـاهـاـ. يـصـدـقـ أـحـدـ أـنـهـ قـتـلـتـ مـخـدـوـمـتـهاـ، لـكـنـهـمـ كـانـواـ عـلـىـ أـتـمـ اـسـتـعـداـدـ لـتـصـدـيقـ التـشـكـيكـ فـيـ شـرـفـهـاـ، حـتـىـ قـتـلـتـ الـخـادـمةـ الـبـائـسـةـ نـفـسـهـاـ..

صـاحـتـ «ـإـلـيـانـورـ»ـ فـيـ صـدـمةـ:

- قـتـلـتـ نـفـسـهـاـ؟ـ هـلـ كـانـ لـاـ بـدـ هـاـ مـنـ الـانـتـهـارـ؟ـ

- إنـ كـنـتـ تـعـنـيـنـ أـنـهـ لـاـ بـدـ مـنـ حلـ أـقـلـ تـرـاجـيـدـيـةـ، فـلاـ أـعـتـقـدـ أـنـهـ رـأـتـ حـلـاـ كـهـذاـ. ظـنـ الـجـمـيعـ أـنـهـ اـتـهـرـتـ بـسـبـبـ إـحـسـاسـهـاـ بـالـذـنـبـ تـجـاهـ مـاـ فـعـلـتـهـ. أـمـاـ أـنـاـ فـأـعـتـقـدـ أـنـهـ كـانـتـ وـاحـدـةـ مـنـ النـسـاءـ الـخـائـبـاتـ الـلـاـقـيـ لـاـ يـسـطـعـنـ التـمـثـيـلـ بـحـقـوقـهـنـ فـلاـ تـحـتـمـلـ أـعـصـابـهـنـ الـصـرـاعـ وـالـضـغـطـ الـنـفـسيـ. بـالـطـبعـ لـمـ تـكـنـ تـمـلـكـ مـاـ تـرـدـبـهـ عـدـاءـ الـأـخـتـ الصـغـرـىـ وـلـاـ حـلـتـهـاـ لـتـشـويـهـ سـمـعـهـاـ، وـلـاـ عـلـىـ أـصـدـقـائـهـاـ فـيـ الـقـرـيـةـ الـذـيـنـ انـقـلـبـوـاـ عـلـيـهـاـ، وـيـدـوـ أـنـ الـجـنـونـ تـسـلـلـ إـلـيـهـاـ وـلـمـ تـمـنـعـهـ الـأـقـفالـ وـلـاـ الـمـزالـيجـ الـتـيـ ظـنـتـ أـنـهـاـ تـمـنـعـ بـهـاـ تـسـلـلـ السـارـقـينـ إـلـىـ بـيـتـهـاـ لـيـلـاـ.

ـ سفـت «إيلانور»:

ـ كان يمكنها الفرار وترك المنزل..

ـ الله هربت بالفعل، الفتاة شنت نفسها بحبل على برج المنزل.  
ـ بما ذلك متزلاً ذا برج فلا يبدو أن الانتحار بطريقة أخرى خيار  
ـ ناج. بعد وفاتها، انتقل المنزل إلى ملكية عائلة «ساندرسن»، الأقارب  
ـ الوحدون لها من ناحية الأب. أخبرتني السيدة «ساندرسن» أن وقت  
ـ اليوم العائلة لسلم المنزل وجدوا الأخت الصغرى على قارعة الطريق  
ـ مطهـرـهم في جنون، ولم يجدوا حلاً سوى إبلاغ الشرطة، وبيـدو أنها  
ـ الـرة الأخيرة التي تظهر فيها الأخت الصغرى في تلك القصة. لكنـها  
ـ الآخر يوم في حياتها كانت مصممة على أنها لم تسرق شيئاً من المـنزل  
ـ ولم تتسلـل إليه.

ـ وهـل حقـاً ثـبت سـرقة شيء؟

ـ الخادمة كانت مصرة على أن شيئاً أو اثنين قد سـرقـا، لكنـها لم تـكـن  
ـ مـتأكـدة تماماً من ما هيـتها، لكنـ، كما تـرونـ، قصة المتسلـل اللـيلي تلك  
ـ عـزـزـت الأـقاـوـيلـ فيها بـعـدـ عن «ـهـيلـ هـاوـسـ». لم يـقـمـ «ـآلـ سـانـدرـسـنـ»  
ـ في المـنزلـ قـطـ، فـقطـ أمـضـواـ بـضـعـةـ أيامـ وـقـيلـ لأـهـلـ القرـيةـ إنـهـمـ يـعـدـونـ  
ـ المـكانـ لـلسـكـنىـ، لـكتـهـمـ رـحـلـواـ فـجـأـةـ وأـغـلـقـواـ المـنـزلـ عـلـىـ حـالـتـهـ. قـالـ «ـآلـ سـانـدرـسـنـ»ـ  
ـ إنـ عـمـلـهـمـ يـحـتـمـ عـلـيـهـمـ العـيـشـ فـيـ المـدـيـنـةـ، لـكـنـ أـهـلـ القرـيةـ  
ـ كـانـواـ يـعـرـفـونـ الـحـقـيقـةـ. لم يـقـمـ أحدـ فـيـ هـذـاـ المـنـزلـ أـكـثـرـ مـنـ بـضـعـةـ أيامـ،  
ـ وـقـدـ تـمـ عـرـضـهـ للـبـيعـ أوـ الإـيجـارـ مـنـ وـقـتهاـ.. هـذـهـ قـصـةـ طـوـيـلـةـ، أـحـتـاجـ  
ـ إـلـىـ المـزـيدـ مـنـ «ـالـبـرـانـديـ»ـ.

نظرت «إليانور» إلى النار وقالت:

- تلك الفتايات المسكينة، لا أستطيع أن أخرجها من مخيلتي، أكاد أراهما تسيران عبر الأروقة المظلمة لـ«هيل هاوس»، تحاولان أن تجدان مكاناً مناسباً للعب بالعرائس.

داعب «لوك» تمثال «كيوبيد» بإصبعه مضيقاً:

- وهكذا، ظل المتنزّل على ما هو عليه، لم يُمس في شيءٍ، لم يستعمل فيه شيءٌ، لم يرده أحد، ظل قابعاً في مكانه يفكّر...  
- ويترقب.

قالتـها «إليانور».

ردد دكتور «مونتاجيو»:

- ويترقب.. الشر الكامن في هذا المتنزّل قيّد ساكنيه ودمّر حيواناتهم، غداً تفَحَّص المتنزّل بالكامل. أدخل «آل ساندرسن» الكهرباء وأصلاحوا السباكة، كما يوجد هاتف أيضاً.. عدا ذلك، لم يتغيّر شيءٌ.

بعد هنيهة صمت قال «لوك»:

- حسناً، أعتقد أن إقامتنا هنا ستكون مريحة.

## ١٣

وَجِدَتْ «إِلِيَّانُورْ» نفْسَهَا فجأةً تَنْظَرْ بِإعْجَابٍ إِلَى قَدْمِيهَا، وَقَدْ نَامَتْ «ثِيُودُورَا» أَمَامَ المَدْفَأَةِ عَنْدَ أَطْرَافِ أَصَابِعِهَا. كَانَ الرَّضَاءُ عَنْ شَكْلِ الْمَدْمِيَّةِ يَغْمُرُهَا، خَاصَّةً فِي ذَلِكَ الصِّندَلِ الأَحْمَرِ. كَائِنٌ مُتَكَامِلٌ مُتَفَصِّلٌ أَنَا، كُلُّ شَيْءٍ فِي يَدِي وَقَاتِلًا بِحدِّ ذَاتِهِ، وَلَا سَبِيلٌ لِانسِجَامِهِ مَعَ الْكُلِّ. أَرْتَدَيْ صِندَلًا أَحْمَرَ، هَذَا يَتَّبَاعُهُ مَعَ كُونِي «إِلِيَّانُورْ». أَكْرَهُ السُّلْطَانُونَ، وَأَنَامَ عَلَى جَانِبِيِّ الْأَيْسِرِ، وَأَطْرَقَ بِأَصَابِعِي حِينَ أَتَوْتَرْ. أَمْسَكَ كَأسًا مِنْ «الْبِرَانِديِّ»، كَأْسِيِّ الْخَاصَّةِ؛ لِأَنِّي هُنَا وَأَنَا أَسْتَخْدِمُهَا، وَلِلَّدِيِّ مَكَانٌ خَاصٌّ بِي فِي هَذَا الْمَنْزِلِ. لِلَّدِيِّ صِندَلٌ أَحْمَرٌ وَسَاسْتِيقَظُ غَدًا الْأَجَدُ نَفْسِي مَا زَلْتُ هُنَا.

- لِلَّدِيِّ صِندَلٌ أَحْمَرٌ.

هَمَسَتْ بِهَا «إِلِيَّانُورْ» فَالْتَّفَتَتْ إِلَيْهَا «ثِيُودُورَا» نَاعِسَةً مُبَتَّسِمةً. سَأَلَ

دَكْتُورُ «مُونْتاجِيو» فِي حَمَاسٍ:

- هل منكم من يلعب «البريدج»؟

ردت «إليانور»:

- أنا ألعب «البريدج».

أنا ألعب «البريدج» ولديّ فقط اسمه «دانسر»، وأستطيع السباحة

- للأسف، أنا لا أعبه!

التفت الثلاثة إلى «ثيودورا» متعجبين وسألهما الدكتور:

- لا تلعبينه أبداً؟

- يمكنكم أن تعلّموني، أنا ماهرة في تعلم الألعاب.

قالت «إليانور»:

- لنفعل شيئاً آخر إذاً.

أنا أستطيع لعب «البريدج»، ويمكنني السباحة، وأحب فطيرة التفاح بالقشدة الحامضة، وقد قدت سيارتي بنفسى إلى هنا.

اقترح دكتور «مونتاجيو» الشطرنج، فوافقه «لوك» متھمساً:

- أنا لاعب شطرنج ماهر.

عقدت «ثيودورا» حاجبيها وهتفت:

- لا أعتقد أننا هنا لنتلعب!

- نحن فقط نحاول الاسترخاء.

لم تقنع «ثيودورا» برد دكتور «مونتاجيو»، هزت كتفيها ناظرةً إلى النار مرة أخرى.

قال «لوك»:

ـ أخبرني أين الشطرنج وسأحضره.

ـ دعني أحضره أنا؛ فقد حفظت خريطة المنزل جيداً. لو تركناك  
ـ أنت وحدك لن تجدك مرة أخرى على الأغلب!

ـ صرخ الدكتور وانغلق الباب خلفه، فالتفت «لوك» إلى «ثيودورا»  
ـ وأمهلا إياها بنظرة سريعة ثم اقترب من «إليانور» سائلاً:

ـ أنت متوتة، أليس كذلك؟ هل أزعجتك القصة؟

ـ هزت «إليانور» رأسها نافحة، فأردف «لوك»:

ـ تبددين شاحبة.

ـ أنا فقط متعبة، أريد النوم، فأنما لم أُقدّم مسافة طويلة كالتي قدمتها  
ـ اليوم من قبل.

ـ أمسك «لوك» برجاجة «البراندي» وقال:

ـ تناولي بعض «البراندي»، سيساعدك على النوم.

ـ ثم أردف وهو ينظر إلى «ثيودورا»:

ـ وأنت أيضاً.

ـ أجبت «ثيودورا» ببرود من دون أن تلتفت له:

ـ شكرًا، لا أجده صعباً في النوم.

ـ ابتسم «لوك» لـ«إليانور» وانفتح الباب ليدخل منه دكتور «مونتاجيو».





وفي وهج النيران، أضاءت عيناً «ثيودورا» بالابتهاج.  
- أنتِ حفقاء.

قالتْها «إليانور» في طاعة، كفُّ «ثيودورا» على كفها تُشعرها بالحرج  
لطالما كرهت التلامس الجسدي. لكنها كانت طريقة «ثيودورا» في التعجب  
عن تعاطفها. هل أظفارِي نظيفة؟ جالت الفكرة بعقل «إليانور» لثوانٍ  
ومن ثم سُحبَتْ كفها ببطء.  
- أنا حقيرة.

عادتْ لـ«ثيودورا» خفة ظلها المعتادة.  
- أنا حقيرة وشريرة ولا أحد يطيقني. الآن أحكى لي عن نفسك  
- أنا حقيرة وشريرة ولا أحد يطيقني!  
- لا تسخري مني!

ضحكَتْ «ثيودورا» وأردفتْ:

- أنتِ لطيفة والجميع يحبونك، حتى إن «الوك» وقع في حبك من  
أول نظرة. أشعر بالغيرة! أريد معرفة المزيد عنك، هل راعيتْ أمك  
لسنوات طويلة؟  
- نعم.

بالفعل كانت أظفار «إليانور» متسخة، وكفها غريبة الشكل،  
و«ثيودورا» تلقى الدعابات عن الحب لأنها مضحكة.

- أحد عشر عاماً، حتى توفيتْ منذ ثلاثة أشهر.

- هل حزنت لموتها؟ هل يجب أن أعبر لك عن حزني لذلك؟

- لا، لم تكن سعيدة في حياتها.

- وانت أيضاً؟

- وأنا أيضاً.

- ماذا فعلت عندما تحررت أخيراً؟

- بعث المترزل، قسمتنا بعض مقتنياتها بيني وبين اختي، مجرد أشياء بسيطة، بضع قطع من الخلي وساعة يد، لست أنا اختي «هيل هاووس»!

- وبيعت كل شيء آخر؟

- كل شيء، وفي أسرع وقت.

- تلك السنوات الضائعة كلها! هل ذهبت في نزهة بحرية، بحثت عن رفقاء أو أحباء، اشتريت ملابس باهظة؟

- للأسف، لم يكن هناك مالٌ يكفي أبداً من هذا، وضعث اختي نصيها من المال في وديعة بنكية لابنها. وأنا اشتريت بعض الملابس وأتيت لـ«هيل هاووس».

فكرت «إلينور» في أن الناس تعشق إجابة أسئلة عن نفسها، يمكنها أن تجيب أي سؤال الآن، هذا يبعث سعادة غريبة في نفسها.

- وماذا ستفعلين حين تعودين؟ هل لديك وظيفة؟

- لا، لا أعرف ماذا سأفعل..

- أنا أعرف ما سأفعل، سأضيء كل أنوار المترزل وأحتفل!

- كيف تبدو شقتك؟

- لطيفة، وجدنا شقة قديمة وأصلاحناها بأنفسنا. صالة كبيرة وحمراء صغيرتان للنوم ومطبخ جيد. طليناها بالأحمر والأبيض وابتعدنا بعض الأثاث المستعمل. نحب أن نبحث عن الأشياء الجيدة معاً.

- هل أنت متزوجة؟

كانت هناك برهة من الصمت ثم ضحكت «ثيودورا» وقالت:

- لا.

- محذرة!

شعرت «إليانور» بحرج بالغ:

- لم أكن أريد التعلل.

- أنت مضحكة!

لمست «ثيودورا» خد «إليانور» بأناملها.

هناك تجاعيد جوار عيني.

أشاحت «إليانور» بوجهها بعيداً عن ضوء النار. سألتها «ثيودورا»:

- أين تسكنين؟

فكَرَت «إليانور» وهي ترمق كفيها غريبتي الشكل خشتي الملمس: كان في إمكاننا أن نشتري غسالة كهربائية، هذا ليس عدلاً، كفائي كريهتان!

- لدى مكان صغير خاص بي، شقة صغيرة، ليست كشقتك بالطبع.

لما أعيش وحدي. مازلتأشتري أثاثها قطعة تلو الأخرى. يجب عليَّ أن أتأكد أنني اخترت كل شيء بشكل صحيح ودقيق. أمضيت شهرين سلة حتى وجدت مثالين لأسدين من الحجر. وضعت واحداً على كل ركن من أركان المدفأة، لدىٌ قط أبيض.. حتى كتبى وتسجيلات الوسيقى خاصتي يجب أن تكون بالضبط كما أحب. كان عندي كوب مرسوم في قاعه الداخلي نجوم جميلة، عندما تشربين الشاي تجدين نجوماً صغيرة تشع من خلاله. أتمنى أن أجده كوباً كهذا مرة أخرى.

- ربما أجده يوماً ما في متجرٍ، سوف أرسل لك مع بطاقة صغيرة يكتب فيها: إلى «إيلانور»، مع حبي، صديقتك «ثيودورا». وأؤكد لك أنه سيكون كوباً أزرق مليئاً بنقش النجوم.

- كش ملك!

صاح «لوك» متصرراً.

- مجرد حظ، لا تبتهس يا دكتور.. «إيلانور»، «ثيودورا»، هل نمتا هناك جوار المدفأة؟

ردت «ثيودورا»:

- كنا على وشك ذلك.

عبر «لوك» الحجرة تجاههما ومدد لكل واحدة كفأ ليعينها على النهوض. قامت «إيلانور» بسرعة حتى كادت تسقط، بينما تحطت «ثيودورا» هامسة:

- «ثيو» تريد أن تنام!

قال دكتور «مونتاجيو»:

- سأقودك للطابق العلوي، وغداً يجب أن نعرف جيداً وجهاتنا داخل المنزل والطرق المؤدية إليها. هلا أطفأت النار يا «لوك»؟

- علينا أن تتأكد أيضاً أن الأبواب مغلقة، السيدة «ددي» أغلقت الباب الخلفي عند رحيلها، فماذا عن باقي الأبواب؟  
قالت «ثيودورا»:

- لا أعتقد أن هناك من يجرؤ على التسلل، على كل حال الخادمة الشابة اعتادت غلق الأبواب، بماذا أفادها ذلك؟  
أضافت «إليانور»:

- هب أننا أردنا الهرب سريعاً!  
نظر إليها دكتور «مونتاجيو» نظرة سريعة متواترة وقال:

- لا حاجة لإحکام غلق الأبواب.. وعلى أي حال، أنا لن أنام قبل ساعة أو اثنتين. في سني، القراءة قبل النوم طقس أساسى، وقد جلبت معي رواية «باميلا». لو واجه أحدكم الأرق فلديّ مجموعة روايات شائقة يمكنني قراءتها عليكم بصوت عالٍ، فلم يخلق بعد من لا يسقط في النعاس عندما أقرأ له.

قادهم دكتور «مونتاجيو» عبر الردهة الضيقة إلى الصالة الكبيرة والدرج. تبعـت «إليانور» «ثيودورا» صعوداً على الدرجات، ولم تدرك كم هي متعبة سوى الآن. ظلت تذكر نفسها أنها في «هيل هاووس»، حتى إن الغرفة الزرقاء المفزعـة لم تكن تعنى لها الآن سوى السرير والنوم.

توجهـت «ثيودورا» إلى الغرفة الخضراء ثم التفت إلى «إليانور» مبتسمـة:



- إذا شعرتِ بأي شيء يضايقك تعالى إلى غرفتي.

- سأفعل، شكرًا لك، تصبحين على خير.

هتف دكتور «مونتاجيو»:

- حجرتاي أنا و«لوك» على الجهة الأخرى من الدرج.

- ما ألوان حجرتكم؟

سالت «إليانور» غير قادرة على مقاومة فضولها.

أجاب دكتور «مونتاجيو»:

- صفراء.

وتبعه «لوك»:

- وردية.

قالت «ثيودورا»:

- حجرين خضراء، وحجرة «إليانور» زرقاء.

- سأكون في حجرق أقرأ وسترك بابي مواريـاـكي أسمع أي صوت بسهولة.. طابت ليـلـتـكـمـ.

ما إن أغلاقت «إليانور» باب الحجرة الزرقاء خلفها حتى خطر لها أن ظلام «هيل هاووس» هو ما أرهقتها إلى هذا الحد. كان الفراش ناعمًا بشكل لا يصدق. الغريب بشأن هذا المنزل هو عدم الاتساق، فكيف شيء بهذه البشاشة والظلمة أن يكون مريحاً جيداً في الوقت نفسه؟!

بدأت الأفكار تجول في عقل «إليانور» على فراشها: أنا وحدي تماماً.. لماذا «لوك» هنا؟ لماذا أنا هنا؟ تنتهي الرحلات بلقاء الأحبة كلهم رأوا الخوف في عيني اليوم..

ارتعدت، فاستوت جالسة على الفراش كي تجذب الغطاء. ثم تركته وعبرت الغرفة كي تغلق بابها بالفتح: لن يعرف أحد أنني أغلقت بالفتح. ثم عادت إلى فراشها وتدثرت حتى عنقها بالغطاء. نظرت بصرها من الباب إلى النافذة: ليت معي قرصاً منوّماً. نظرت خلفها مدققة في الأركان المظلمة، ثم عادت تنظر إلى النافذة والباب: هل انفتح الباب؟ لكنني أحكمت إغلاقه!

قررت أخيراً أنه من الحكمة أن تغطي رأسها بالكامل، ضحكت ضحكة خافتة على تصرفها الطفولي. لو رآها أحد ملائكت ضحكتا. هي لم تخاف قط في حياتها من أي شيء، فهل جاءت تلك المسافة كلها حتى تخاف؟

ثم غابت في نوم عميق، وفي الحجرة المجاورة نامت «ثيودورا» تاركة أصوات حجرتها مضاءة. على الجانبي الآخر من الردهة، جلس دكتور «مونتاجيو» في حجرته يقرأ «باميلا»، يصغي السمع كل فترة لما خارج الحجرة، يجول في المكان لدقيقة ينظر خلاها من النافذة، ثم يعود لقراءته مرة أخرى.

في الردهة، يسطع ضوء مصباح ينبع شيئاً من بحيرة الظلام الممتدة. في حجرته ينام «لوك» واضعاً كشافاً صغيراً على الكومود جوار تحية الخط التي يتفاعل بها.

من حولهم، يرتعد المترزل ويهمهم ويفيق من سباته ببطء.  
هل بعد ستة أميال، استيقظت السيدة «ددلي» قلقة، ونظرت إلى  
نافذتها، فكررت في «هيل هاوس» فازاحت الفكرة سريعاً وأغمضت  
عينيها.

أغلقت السيدة «جلوريا ساندرسون»، صاحبة المترزل، القصة البوليسية  
التي كانت تقرؤها وتثناء بت. أغلقت أنوار بيتها وأحکمت مزلاج بابها.  
كما نامت صديقة «ثيودورا» وزوجة دكتور «مونتاجيو» وأخت  
«إليانور». وفي مكان ما أعلى الأشجار المحيطة بهـ «هيل هاوس»، نعفت  
برume وبدأت أمطار خفيفة في الظهور.

استيقظت «إليانور» لتجد الغرفة الزرقاء رمادية جزءاً الغيوم والأمطار. ووجدت أنها أطاحت الغطاء بعيداً في أثناء نومها كعادتها. فوجئت أنها نامت حتى الثامنة صباحاً وأن ليلتها الأولى في «هيل هاووس» المقيت هي أهداً ليلة نامتها منذ أعوام.

مستلقة على الفراش الأزرق، راحت ترمي السقف المزخرف وتسأل نفسها نصف نائمة: ماذا فعلت ليلة أمس؟ هل جعلت من نفسي أضحوكة؟ هل سخروا مني؟

لم تستطع أن تذكر شيئاً من ليلة أمس سوى أنها كانت سعيدة سعادة طفولية. هل أدرك الآخرون مدى بساطة تفكيرها؟ لقد قلتُ أشياء غبية سخيفة ولا بد أنهم لاحظوا ذلك.

اليوم سأكون أكثر تحفظاً وحرصاً.

هزت «إليانور» رأسها طاردة أي أثر للنعاس وتنهدت، وقالت إنها سخيفة كعادتها كل صباح.

بدت الغرفة أكثر حياءً حولها الآن، الستائر تتحرك بفعل النسيم، صوت الماء القادم من دورة المياه المشتركة يشي بحمام «ثيودورا» الصباحي.

قالت لـ«ثيودورا» عبر باب الحمام المغلق:

- صباح الخير.

شهقت «ثيودورا» وصاحت في مرح:

- صباح الخير، سأنهي حامي سريعاً وسأمالئ حوض الاستحمام بالماء.. هل أنت جائعة؟ أنا أتضور جوعاً!

هل تظن أنني لن أستحم إلا إذا تركت لي حوض الاستحمام عائلاً؟  
بعدت «إليانور» الخاطر عن رأسها وأقنعت نفسها أنها جاءت إلى هنا  
كي تكتفُّ عن التفكير بهذه الطريقة الملتوية.

نظرت من النافذة للحشائش الخضراء اللامعة بفعل الأمطار، هي  
أمطار صيفية على كل حال من نوعية الأمطار التي تجلو الهواء وتجعل  
النباتات أكثر إشراقة. المكان بالفعل ساحر، فكرت «إليانور» أنها ربما  
تكون الوحيدة التي ترى «هيل هاووس» ساحراً، أم ثم الجميع يراه  
كذلك في أول صباح لهم فيه!

ارتعدت بلا سبب واضح وتبخر الشعور الطيب سريعاً، فلم تعد  
تذكر لمْ كانت تشعر بالبشر والسعادة.

طرقت «ثيودورا» على باب الحمام هاتفة:

- أنا أتصور جوعاً.

سجّبت «إليانور» رداء الحمام وجاءها صوت «ثيودورا» من غرفتها

- حاوي أن تشرقي اليوم يا عزيزتي، إنه يوم غائم، فلا بد أن يندو  
مشرقتين أكثر.

«غنى قبل الإفطار، تبكي بعد العشاء» مقوله سخيفه تذكرها «إليانور»  
لأنها كانت تدندن بصوت خافت «في التأخير لا يكمن الكثير».

صاحت «ثيودورا» عبر الباب المغلق:

- ظنت أني كسول، لكنك أسوأ مني بكثير. لفظة الكسل لن تصفك بدقّة. كان حريّا بك أن تكوني قد انتهيت الآن من حاملك.

- السيدة «اديلي» تحضر الإفطار في التاسعة، ماذا سيكون رد فعلها  
عندما نجدنا مشرقتين مبتسمتين؟

- ستبتلع خيبة أملها في صمت، لم يصرخ أحد ليلاً طلباً لنجدتها.

نظرت «إليانور» إلى ساقها المغطاة بالصابون نظرة متقنة وقالت:

- لقت نمت كالكلب ليلة أمس.

- وكذا أنا، إن لم تنهي حاملك خلال ثلاث دقائق سأدخل وأغررك  
في الخوض! أنا جائعة!

كانت من المرات النادرة التي شعرت فيها «إليانور» بشوق للطعام  
أو حاولت أن ترتدي ملابسَ تجعلها أجمل وأكثر إشراقة، حتى إنها  
غسلت أسنانها باهتمام قليلاً تفعله.

- هل انتهيت؟

- أنا آتية!

قالتـها «إليانور» وجرت نحو الباب الذي لم يزال موصداً بالمفتاح.  
كانت «ثيودورا» تنتظرها في الردهة، مبهجةً وسط عتمة الموجودات.  
بالنظر إلى بعائـها، رأـت «إليانور» أنها لم تستمتع بأي شيء في حياتـها  
لـنـطـ قـدـرـ استـمـتـاعـ تلكـ الشـابـةـ التيـ لاـ تـكـرـتـ لـماـ يـقـولـهـ الآخـرونـ عنـهاـ.

- «إليانور»، هل تدرـكـينـ أنـ أـمـامـناـ نحوـ ساعـةـ حتـىـ نـجـدـ حـجـرةـ  
الـطـعـامـ؟ـ لكنـ رـبـاـ تـرـكـواـ النـاخـريـطةـ فـيـ مـكـانـ ماـ.ـ هلـ تـعـلـمـينـ أنـ الدـكـتورـ  
وـ«ـلوـكـ»ـ مـسـتـيقـظـانـ مـنـذـ سـاعـاتـ؟ـ كـنـتـ أـتـحدـثـ إـلـيـهـاـ عـبـرـ النـافـذـةـ.

لـقـدـ بـدـؤـواـ يـوـمـهـمـ مـنـ دـوـنـ،ـ غـدـاـ سـأـتـيقـظـ مـبـكـراـ وـأـتـحدـثـ إـلـيـهـمـ  
عـبـرـ النـافـذـةـ.

وـصـلـتـاـ إـلـىـ نـهـاـيـةـ الـدـرـجـ نـازـلـتـينـ،ـ وـعـبـرـتـ «ـثـيـودـورـاـ»ـ القـاعـةـ المـظـلـمةـ  
وـوـضـعـتـ كـفـهـاـ عـلـىـ مـقـبـضـ الـبـابـ الضـخـمـ.

- منـ هـنـاـ.

فـتـحـتـ «ـثـيـودـورـاـ»ـ الـبـابـ فـيـ ثـقـةـ لـتـجـدـ خـلـفـهـ قـاعـةـ كـثـيـبةـ لـمـ تـرـيـاـهـاـ  
مـنـ قـبـلـ.

أـشـارـتـ «ـإـلـيـانـورـ»ـ إـلـىـ بـابـ آـخـرـ عـبـرـ روـاقـ ضـيقـ:

- مـنـ هـنـاـ.

لـكـنـ الـبـابـ الـذـيـ اـخـتـارـتـهـ قـادـهـاـ إـلـىـ حـيـثـ أـمـضـتـاـ لـيـلـتـهـاـ السـابـقـةـ  
أـمـامـ المـدـفـأـةـ.

هفت «ثيودورا»:

- فلنعبر الردهة عبر هذا... .

قطعت كلامها وتلفت حولها في حنق:

- «لوك».. دكتور.

من بعيد سمعنا جواب النداء خافتًا مكتومًا، فتحت «ثيودورا» بابا آخر:

- لن أنتظر في هذه الردهة للأبد.

- أعتقد أن ذاك هو الباب الصحيح، خلفه سجدة حجرة صغيرة مظلمة ثم حجرة الطعام.

صاحت «ثيودورا» حانقةً مرة أخرى، وركلت قطعة أثاث صغيرة، أطلقت سبة ثم انفتح باب من خلفها وظهر من فرجته دكتور «مونتاجيو»:

- صباح الخير.

دَلَّكت «ثيودورا» قدمها متآلمة:

- متزل عفن غبي.. صباح الخير!

- لن تصدق ما سوف أقوله، منذ ثلاث دقائق تركت لكما هذا الباب مفتوحًا كي لا تضللاً الطريق. ورأينا بأعيننا ينغلق بيضاء قبل أن تناديا علينا بشوان!

مزح «لوك» مع الشابتين فأدركت «إليانور» أنهم قد أصبحوا عائلة

واحدة بشكل ما، أمضوا الليلة أمام المدفأة، واجتمعوا صباحاً حول مائدة إفطار يعرف كل منهم مكانه حوطها.

قال «لوك» ملوحاً بالشوكة:

- إفطار فاخر هو ما صنعته لنا السيدة «ددلي»، كنت أتساءل حينما أخرنا إن كتنا من النوع الذي يفضل شرب القهوة والتقلُّب في الفراش.
- كنا سنصل في موعدنا لو كنا في منزل عادي.

سألت «إيليانور»:

- هل تركت الباب مفتوحاً بالفعل؟

أجاب «لوك»:

- لقد عرفنا أنكما آتيتان عندما انغلق الباب.

قالت «ثيودورا»:

- اليوم سثبتت الأبواب وتركها مفتوحة. بالمناسبة، تركت أنوار غرفتي مضاءة طيلة الليل ولم يحدث شيء.
- كان كل شيء هادئاً بالفعل.

تساءلت «إيليانور»:

- هل كنت تحرسنا طيلة الليل يا دكتور؟

- حتى الثالثة صباحاً. لم يكن هناك صوت حتى بدأت الأمطار في المطرول. إحداكم صاحت خلال نومها...

قاطعته «ثيودورا» بلا حرج:

- لا بد أنها أنا، كنت أحلم بالأخت الصغرى إياها تدق أبواب المنزل  
- أنا أيضاً حلمت بها.

قالت «إليانور» وهي تنظر للدكتور في حرج:

- شعور مقين أن تشعر بالخوف.  
- كلنا نشعر بالخوف.

وضعت «ثيودورا» كفها على كتف «إليانور» مطمئنة.  
أضاف الدكتور:

- الأسوأ هو أن تخفي هذا الشعور.

ضحك «لوك» بضم محتلى بالسمك هاتفاً:

- املؤوا بطونكم بالطعام، وسيصعب بعدها أن تشعروا بأي شيء!  
شعرت «إليانور»، كما شعرت ليلة أمس، أن الحوار يُقاد بذكاء  
بعيداً عن الحديث عن الخوف. كانت تتحدث عيناً تشعر به، وصادف  
أن يكون هو ما يشعر به الجميع؛ لذا فاسكاتها هو إسكات لصدى  
الخوف والقلق في قلوبهم.

أبعدت طبقها عنها وتنهدت. قالت «إليانور» لدكتور «مونتاجيو»:

- قبل أن أخلد للنوم الليلة، يجب أن أرى كل شبر في المنزل. لن  
أتحمل أن أقضي ليلة أخرى أتساءل فيها عيناً يكون فوق رأسي أو أسفل

مني، يجب علينا أيضاً أن نفتح النوافذ ونثبت الأبواب مفتوحة، لن  
نسمك في هذا الظلام طويلاً.

اقتراح «لوك» تثبيت بعض اللوحات الإرشادية الصغيرة لتسهيل  
معرفة الوجهات. قالت «إليانور» متوجهة بربما لأن «ثيودورا» نظرت  
إليها في فضول فأريكتها:

- أولاً فلنبدأ في استكشاف المنزل.. لا أريد أن أجده نفسي معزولة  
في مكان ما وحدي.

عاجلتها «ثيودورا» قائلة:

- لن يتركك أحد وحيدة أبداً.

- أقترح إذاً أن نتهي القهوة كلها ثم نجلس لنضع خطة لاستكشاف  
المكان، ثبّت الأبواب مفتوحة في أثناء تحركنا.

هز «لوك» رأسه وأردف:

- لم أتخيل قط أن أرث منزلًا يتوجب عليَّ فيه أن أجده طريقني خلاله  
عن طريق لافتات إرشادية!

قالت «ثيودورا»:

- علينا أيضاً أن نطلق أسماء على الغرف، لفترض مثلاً أنني أريد  
أن أقابلك في حجرة بعينها فكيف أخبرك عنها؟

- يمكنني أن تصقرُّي حتى أصل إلى مكانك..

ارتجفت «ثيودورا» قائلة:

- ستمع صفارق، وستسمعني أنا ديك بينما تجول بين الحجرات  
وتفتح الأبواب بحثاً عنِي بلا جدوى، ربما تضل طريقك أنت نفسك  
- ولن تجد ما تأكله.

أضافت «إيلانور» في قسوة، فنظرت إليها «ثيودورا» ملقطة خطط  
الحديث:

- وبلا شيء تأكله، إنه منزل محظوظ، الحجرات كلها تفتح على بعضها  
البعض، الأبواب تنغلق خلفك من تلقاء نفسها. أراهن أن المنزل مليء  
بالمرايا التي توهّمك بأشياء تتحرك خارج مجال نظرك. ربما تخيل شيئاً  
غير واقع تجاهك ضاحكاً مرعوباً..

قطعت «ثيودورا» كلامها فجأة وأمسكت بكوب القهوة الذي  
انسكب أغلبه جراء توترها.

- الأمر ليس بهذا السوء.

قالها دكتور «مونتاجيو» وأردف:

- في الواقع، الدور الأرضي يتكون من حجرات مصنفوّقات في  
دواوير متعددة المركز. في المنتصف توجد الحجرة التي اجتمعنا فيها الليلة  
الماضية. من حولها سلسلة من الحجرات.. حجرة البلياردو على سبيل  
المثال، وخدع مفروش بالكامل بقمash الستان الوردي....

- حيث سندھب أنا و«إيلانور» في كل صباح للتطريريز.

- ومن حولهم ما أطلق عليه أنا الحجرات الداخلية؛ لأنها بلا مخرج  
مبادر إلى الخارج. تحيط بتلك الحجرات حجرات أخرى خارجية مثل

حجرة الرسم والمكتبة. وتطوق الشرفة الخارجية المترجل بالكامل. هناك أبواب تُفتح عليها من حجرة الرسم وحجرة الموسيقى وحجرة المعيشة.  
هناك غرفة أيضًا من ...

قاطعته «ثيودورا» ضاحكة وهي تهز رأسها:

- كفى، كفى.. هذا منزل حقير عفن لا أكثر.

انفتح الباب في ركن غرفة الطعام، ووقفت في فرجته السيدة «ددلي» لمسك الباب بيدها وهي تحملق بلا تعبير على وجهها في الإفطار على المنضدة.

- أنا أرفع الطعام في العاشرة..

قال «لوك»:

- صباح الخير يا سيدة «ددلي».

أدانت السيدة «ددلي» عينيها نحوه وكررت:

- أنا أرفع الطعام في العاشرة. عليَّ أن أعيد الأطباق إلى أرفقها، ثم أخرجها مرة أخرى وقت الغداء. أنا أضع طعام الغداء على الطاولة في الساعة الواحدة. لكن أولاً عليَّ أن أعيد الأطباق إلى أرفقها.

قام دكتور «مونتاجيو» ووضع منشفته على الطاولة:

- بالطبع، هل أنت مستعدون؟

أمام عيني السيدة «ددلي»، رفعت «ثيودورا» كوب القهوة إلى شفتيها وأنهت آخر قطرة فيه، ثم مسحت شفتيها بالمنشفة وأراحته ظهرها إلى مقعدها:

- إفطار رائع، هل تلك الأطباق تعود إلى ملائكة المنزل الأصليين؟ أجابتها السيدة «ددلي»:
- تلك أطباق تذهب إلى الأرفف، إليها تعود.
- والأكواب والفضيات والمفارش؟ أشياء ثمينة حقاً.
- المفارش تعود للخزائن، الفضيات تعود لخزانة الفضيات، الأكواب تعود للأرفف.
- يبدو أننا قد أزعجناك.
- قالت لها «ثيودورا» فصممت السيدة «ددلي» برهة ثم قالت:
- أنا أرفع الإفطار في العاشرة، وأضع طعام الغداء في الواحدة.
- ضحكـت «ثيودورا» وهتفـت:
- هيا بـنا نفتح الأبواب إذا.

كانت البداية مع بـاب حجرة الطعام، فأبـقوه مفتوـحاً بـوضع كرسي ضخم أمامـه. الغرفة التالية كانت غرفة الألعـاب. تعـثرت «ثيودورا» في منـضدة خـفـيـضـة وهي شـارـدـة في الرـكـن القـصـي من الحـجـرة، الـذـي تـراـصـت فـيـه كـرـاسـي وـمـنـضـدـة عـلـيـهـا بـطـاقـات لـعـبـ، وـخـزـانـة فـاـخـرـة طـوـيـلة تـحـوي رـقـعـة الشـطـرـنج الـتـي لـعـبـاـها مـنـ قـبـلـ، مـعـ عـدـدـ مـنـ كـرـاتـ الـكـرـوـكيـهـ وـلـوـحةـ لـعـبـ «الـكـريـدـيجـ».

- يـالـهـ منـ مـكـانـ لـتـمـضـيـةـ وـقـتـ الفـرـاغـ!

قاـلاـهاـ «ـلوـكـ» وـاقـفاـ فيـ مـدـخلـ الحـجـرةـ يـمـسـحـ أـرـكـانـهاـ بـعـيـنـيهـ. كـانـت

أطعِنَّ المناضد الخضراء الباردة منعكسة على الرخام الأسود اللامع  
المدفأة، معطية تأثيراً كثيفاً.

لم يكن في مقدور أحد أن يتجلّب التحديق في الخلائق الخشبية على  
الحوائط، التي تمثل طرقاً ملتوية ووحشية لصيد الحيوانات. يتوسّط الحجرة،  
فرق المدفأة مباشرة، رأس محظى لغزال بري ضخم يطل عليهم في خزيٍّ.

ردد الصدى صوت «ثيودورا» المرتجف:

- هنا حيث يأتون للترفيه عن أنفسهم.. هنا، حيث يستريحون  
من ثقل المنزل الجاثم على الأرواح.. لا أستطيع تخيل تلك الفتاتين  
الصغيرتين بلا ملجأ سوى هذا المكان.. هلا ساعدتني في إنزال ذاك  
الرأس المحظى البائس على الأقل!

- أعتقد أن الرأس مُعجب بك؛ فهو لم يرفع عينيه عنك منذ أن  
دخلت. فلتخرج من هنا.

قالها «لوك» وانصرف معهم تاركين الباب مفتوحاً خارجين إلى  
الصالة التي أنارت بضوء شاحب قادم من الأبواب المفتوحة للحجارات.

قال دكتور «مونتاجيو»:

- حين نجد حجرة ذات نوافذ، سُبُّقِي نوافذها مفتوحة. حتى ذلك  
الحين، نفتح باب المنزل ليبدد هذا الظلام.

مالت «إليانور» على أذن «ثيودورا» هامسة:

- لا تنفكين تذكرين تلك الفتاتين، بينما لا تغادر صورة الخادمة  
الشابة غيلتي. تدور في تلك الحجرات الكثيبة وحيدة، تفكّر فيمن  
عاش هنا في الماضي.





- لم ألحظ أي رائحة.

قالها دكتور «مونتاجيو» ونظر لـ«لوك» متسائلاً، فهز الأخير رأسه موافقاً رأي الدكتور.

- غريب أمر شملك رائحة ما، لكنه نوع من الأشياء التي تتبعها هنا. أكتبني ملاحظة عندك بهذا الشأن وصفي تلك الرائحة بدقة قدر المستطاع.

خرجت «ثيودورا» إلى الردهة وراحت تتلaffت حولها في حيرة:

- هل للمنزل مدخل آخر غير ذاك الباب؟ أعتقد أنني خللت الأمور ببعضها.

ابتسم الدكتور في سعادة، كأنها يتنتظر تعليقاً كهذا وقال:

- لا.. هو مدخل واحد، وهو المدخل ذاته الذي دلفت منه أمس.

- لماذا إذاً لا أستطيع أنا وـ«إيليانور» أن نرى البرج من نوافذ حجرتنا؟  
النوافذ تطل مباشرة على الباب الرئيسي.

ضحك الدكتور مصدقًا بكافيه هاتفًا:

- أخيراً! أنت ذكية يا «ثيودورا»؛ لهذا السبب أردت منكم أن تفحصوا أرجاء المنزل نهاراً. اجلسي على الدرج وسأوضح لك.

أخذ الجميع مجالس على الدرجات، بينما راح الدكتور يشرح كأنها في محاضرة:

- من الأمور المذهلة في «هيل هاوس»: تصميمه.. هل تساءلت

من سر الصعوبة الكبرى في إيجاد طريقنا عبر حجراته ومراته؟ أي منزل عادى لم يكن ليضع أربعتنا في حيرة كتلك التي نعانيها. مرات ومرات نختار أبواباً خاطئة، لا يستطيع أحدٌ منا أن يصل إلى وجهته من أول محاولة، حتى أنا.

اعتقد أن «هيوبرين» توقع أن يصبح «هيل هاوس» مزاراً في المستقبل، مثل منزل «آل وينشستر» في كاليفورنيا أو أيٌّ من تلك المنازل ثانية المروانط الشهيرة.

لقد صمم «هيل هاوس» بنفسه كما أخبرتكم سابقاً.. كان رجلاً طرير الأطوار.

نظر دكتور «مونتاجيو» تجاه أركان المنزل وأردف:

- كل زاوية في المكان منحرفة ببعض درجات عن المعتمد. لقد تحدى «هيوبرين» استساغة العقل البشري للحجرات المربعة وبنى منزله كما رأه هو. كل زاوية ظنتها صحيحة هي منحرفة ببعض درجات حتى لتحيرك بمرآها، فلا تعرف سبب شعورك بالحيرة.

أراهن أنكم تظنون أن الدرجات التي تجلسون عليها مستوية، لكنها ليست كذلك.

تحرك الحاضرون في قلق ناظرين إلى الدرجات.. مدت «إليانور» كفها وقبضت على حاجز السلالم شاعرةً كأنها ستدرج من مجلسها.

- الحقيقة أن الدرجات مائلة بشكل طفيف نحو المحور الرئيسي للسلم. الأبواب كلها غير موزونة. ربما لهذا السبب تنغلق من تلقاء

ذاتها. بالطبع تلك الأمور كلها تراكمت مضافيةً ذلك الطابع العجیب للمنزل. لا تستطيع «ثيودورا» أن ترى البرج من حجرتها لأن البرج ذاته يقع فوق زاوية من زوايا المنزل، فيصبح مستحيل الرؤية من حجرتها. مع أن الاعتقاد السائد للناظر من موقعنا أن البرج أمام حجرة «ثيودورا» مباشرةً.

أطلقت «ثيودورا» صيحة تعجب، بينما هتفت «إليانور»:

- فهمتُ الآن. سقف الشرفة الخارجية هو ما جعلتنا نسيء التقدير! أستطيع أن أرى السقف من نافذة حجرتي، ولأنني إن دخلت المنزل من الباب الرئيسي وصعدت الدرجات، سأفترض أن الباب تحت نافذتي مباشرةً. بينما الحقيقة أن...

- أنت ترين فقط سقف الشرفة الخارجية، بينما الباب الرئيسي ذاته بعيد. يمكنني أن ترياه هو والبرج من حجرة الأطفال، التي هي الحجرة الكبيرة في نهاية الردهة. ستفحصها اليوم في وقت لاحق. هي تحفة فنية تمثل التشوه المعماري في أبدع صوره.

- كل شيء منحرف قليلاً عن مركزه؛ لذا يبدو كل شيء غير صريح.

أجاب «لوك» «ثيودورا»:

- يبدو كل شيء كأنك نزلتِ لتوك من على ظهر سفينة. ستحتاجين إلى وقت حتى تعتاد قدماكِ على الوضع الثابت بعد أن أمضيت وقتاً طويلاً متارجحة في عرض البحر، أو في عرض «هيل هاوس» على الأدق. هل تخمن يا دكتور أن زعم البعض بوجود كيانات ماورائية

في المنزل يعود إلى ذلك الإحساس بالدوار وانعدام الراحة، كنوع من  
الاستروابات الأذن الداخلية؟

لا بد أن لكل هذا تأثيرا لا يغفل. لقد نشأ الإنسان على الثقة  
بقواسه ومنظقه، وأتفهم تماما محاولات العقل في التأقلم على وضع  
لمركب كهذا وما يمكن أن يتبع عن تلك المحاولات من شطحات.  
لعلوا، ما زال أمامنا الكثير من الأعاجيب..

استدار دكتور «مونتاجيو»، فقاموا خلفه متخصصين بالأرضيات في  
كل خطوة يخطوونها. عادوا إلى الحجرة التي اجتمعوا فيها الليلة السابقة،  
حيث سيتقللون منها إلى الحجرات الخارجية للمنزل، المطلة على الشرفة  
الدائيرية والحدائق.

فتحت المجموعة الستائر الثقيلة، تاركين متنفسا لأشعة الشمس  
للولوج إلى قلب «هيبل هاووس» المظلم.. من حوالهم تبدى أثاث حجرة  
الموسيقى: «هارب» فاخر، «بيانو» عتيق لامع، مقاعد جلدية وثيرة  
حول منضدة يعلوها لوحة ثقيل من الرخام الأخضر.

ومن خلف زجاج النوافذ راح المطر يهطل، ما زاد إحساسهم برطوبة  
الحجرة غير المحتملة.

عبروا من الباب الخشبي الضخم سريعا إلى حجرة الرسم الشاسعة.  
راحـت «ثيودورا» تنـظر إلى الـطرف البعـيد من الحـجرة غـير مـصدـقة ما تـراهـ.  
ـ هـذا الشـيء ليس هـنـاك.. أـلـيـس كـذـلـك؟ «إـلـيـانـور»، هل تـرىـتهـ؟

ـ كـنـت أـظـنـاكـ سـتـعـجـيـنـ بـهـ!

على عكس ظن دكتور «مونتاجيو»، لم تُعجب «ثيودورا» بذلك التمثال الرخامي الضخم ناصع البياض، الجاثم فوق بساط بنفسه وخلفية من ورق الخاطط باللون ذاته.

وضعت «إليانور» كفيها على عينيها خجولة من عري التمثال، هتف دكتور «مونتاجيو»:

- أعتقد أنه يمثل «فينوس» بين الأمواج أو شيئاً من هذا القبيل..
- ليس كذلك، هو تمثال القديس «فرانسيس» يعالج المجنوين..
- لا.. يبدو أن أحد المجرميات لتنين..

دققت «ثيودورا» النظر وقالت:

- كفى سخفاً، هذا تمثال يجسد العائلة. الشخص الطويل في المنتصف هو «هيوب كرين» ذاته، يكافيء نفسه لأنه قد بني «هيل هاووس» العظيم. والمجسمان الآخران يمثلان ابنته.. وذلك الشيء العشبي الذي يقفون عليه يبدو كبساط.. هل لاحظ أحدكم بُسط حجرة المعيشة؟ تبدوا لي كحقل من الحشائش. أستطيع أنأشعر بها تداعب كعبئ. كأنه...

قاطعتها «إليانور» بصوت راجف:

- أكره تفكيري الدائم في احتمالية أن يسقط المترز فوق رؤوسنا مع كل تلك الزوابيا الخاطئة والميل.. هل هناك فرصة لحدوث ذلك فعلًا؟

أجابها دكتور «مونتاجيو» وهو يرمي التمثال:

- قرأتُ أن هذا التمثال أُنشئ بتكلفة باهظة، ويحرص وضع في مكانه هذا بالذات ليوازن اختلال الأرضية التي يقف عليها. لقد بني

البيت من حوله حرفياً ولم يسقط المبنى حتى الآن ولا يبدو عليه أنه سيعمل قريباً.

- أعتقد أيضاً أن «كريين» قد استخدم هذا التمثال لاخافته طفلته.  
لأن الحجرة ستتصير ممتازة من دونه.

لكرت «ثيودورا» حالمَة وأكملت حديثها:

- أتخيلها حجرة للرقص، عائلة بالحسناوات ذوات الفساتين الراقيّة..  
سيد «هييو كريين»، هلّا تراقصني؟

وانحنت للتمثال فاردةً كفها نحوه، قالت «إليانور» وهي تخطو خطوة للخلف:

- أراهن أنه سيوافق..

تحسست «ثيودورا» التمثال، وحرّكت أناملها على ذراع أحد التماثيل الصغيرة:

- للرخام ملمس لا تتوقعه أبداً.. كنت أظن أن تماثيل بهذا الإتقان لا بدّ أن لها ملمساً بشرياً.

استدارت «ثيودورا» وراحت ترقص وحدتها تحت إضاءة الحجرة الشحيحة، ثم التفت للتمثال وانحنت مرة أخرى.

أكمل دكتور «مونتاجيو» جولته محدثاً رفاقه:

- في نهاية الحجرة، خلف تلك الستائر، باب يقود إلى الشرفة الخارجية.  
عندما تتعب «ثيودورا» من الرقص يمكنها أن تستنشق قليلاً من الهواء البارد فيها.

سار دكتور «مونتاجيو» إلى نهاية الحجرة وأزاح ستائر الثقلة  
باب الشرفة. هبّة من النسيم المحمل برائحة المطر وضوء نقي وبحال  
حيث التمثال البارد والحوائط التواقة للضياء.

قالت «إليانور»:

- لا شيء في هذا المنزل يتحرك حتى توليه ظهرك، عندها تلمع  
نحرُّك ببركان عينك. انظروا إلى تلك المجسّمات الصغيرة فوق المدفأة!  
عندما وليتكم ظهوركم لها كانت ترقص مع رقص «ثيودورا»  
لم يول أحد انتباها لما قالت. استمرت «ثيودورا» في رقصها، بينما  
راح «لوك» يُبدي إعجابه بالأزهار في الصوبة الزجاجية عبر الحديقة.  
جذبت «ثيودورا» شعر «إليانور» في خفة ووضحكٍ هاتفة:

- لتسابق حول الشرفة!

ثم اندفعت تجاري، فلم تجد «إليانور» وقتاً للتفكير فتبعتها. راحتا  
تضحكان وتتجريان في الشرفة التي تلف المنزل من الخارج. عند منعطفِ،  
رأىت «إليانور» «ثيودورا» تدلّف إلى حجرة ما. تبعتها خطوات ثم  
توقفت لاهثة. كانتا في المطبخ بينما السيدة «ددلي» تنظر إليهما صامتة  
وهي بعد أمام حوض الغسيل.

قالت «ثيودورا» في أدب:

- سيدة «ددلي»، كنا نستكشف المنزل..

أدانت السيدة «ددلي» عينيها نحو الساعة المعلقة فوق الأرفف  
وقالت في برود:

- الساعة الآن الحادية عشرة والنصف، وأنا...

- تجهيزين الغداء في الواحدة. أعرف ذلك، لكننا كنا فقط نبغي إلقاء  
نظره خاطفة على المطبخ إن لم يكن هذا يضايقك. فقد انتهينا من رؤية  
مجرات الطابق السفلي كلها.

تسمرت السيدة «ددي» في مكانها نحو دقيقة، ثم سارت في هدوء  
للباب قصي عن نهاية المطبخ وخرجت منه وأغلقته خلفها.  
نظرت «ثيودورا» مليأً نحو الباب المغلق وانتظرت دقيقة أخرى  
حتى قالت:

- لا تظنين أن السيدة «ددي» تملك عجنة خاصة تجاهي؟ أنا متأكدة!  
- أعتقد أنها ذهبت لتشتاق نفسها أعلى البرج، لتر ما جهزته لغداء  
اليوم.

- لا تحركي أي شيء.. أنت تعرفين أن الأطباقي يجب أن تظل في  
أرفها. أعتقد أنها تعد لنا «السوافلية». هذه أواني إعداد «السوافلية»..  
والبيض.. والجبن..

أبدت «إيلانور» إعجابها بالمطبخ وألوانه؛ فمطبخ أمها كان ضيقاً  
مظلماً، ولم يكن لأي شيء يُطهى فيه مذاق مميز. سألتها «ثيودورا» عن  
مطبخها الخاص بشقتها الجديدة، ثم تَشَتَّتَ ناظرها نحو أبواب المطبخ:  
- انظري يا «إيلانور»، هذا هو الباب المؤدي إلى الشرفة الخارجية..  
وهذا يفضي إلى درجات هابطة، ربيا إلى مخزن ما.. وهذا باب آخر هناك..

- يؤدي إلى الشرفة أيضاً. ثلاثة أبواب تقودك من وإلى الشرفة الخارجية في المطبخ وحده!

- وهناك باب يؤدي إلى حجرة تُفتح على حجرة الطعام. يدوران صديقتنا السيدة «ددي» تعشق الأبواب. يمكنها الهرب في أي اتجاه متى أرادت.

تلاقت أعين «ثيودورا» و«إليانور» للحظات، ثم اتجهت «إليانور» مرة أخرى إلى الشرفة الخارجية هاتفة:

- أتساءل إن كان السيد «ددي» قد صنع لها بعضاً من تلك الأبواب كإضافة حديثة للمنزل. لا أعرف كيف تستطيع العمل في المطبخ بينما هناك دوماً باب مغلق خلفها قد ينفتح في أي وقت من دون أن تشعر. تُرى من، أو ماذا، تتوقع السيدة «ددي» لقاءه في المطبخ فتهبّ لنفسها غرّجاً في أي اتجاه للهرب؟

- كفى! أرجعيتنِي.. عامة الطاهي القلق لا يستطيع أن يخبر «سوفيله» جيداً. يبدو أنها تستطيع سماع الخطوات من على بُعد؛ لذا لا تشعر بالرعب من الأبواب التي قد تُفتح فجأة.. لنختار باباً من أبواب السيدة «ددي» ونُبعِّه مفتوحاً خلفنا.

كان «لوك» والدكتور «مونتاجيو» يقفان في الشرفة الخارجية ينتظران إلى الأعشاب حوالهما، وكان الباب الأمامي قد انغلق من خلفهما بسبب مجھول.

من خلف المنزل تبدّلت التلال الخضراء المسؤولة عن ماء المطر. راحت «إليانور» تفكّر في أنها لم تَرَ من قبل منزلًا محاصراً من جميع الجهات

لهذا، وكان المنزل سيصير هباءً متناثراً لو لم يحيط بالتلال والشرفات والدرجات. ثم لاحت البرج، وكأنها فوجئت به. دارت حول البيت في الشرفة حتى رأته كاملاً. كان مبنياً من الحجارة الرمادية وملصقاً بجانب المنزل. كان كثيف المنظر، ما جعل «إيلانور» تخيل لو أن المنزل تفحم يوماً، سيظل هذا البرج سليماً شامخاً كما هو وسط الأطلال المحترقة. ربما سكته اليوم والخفافيش وراحت تحبوب المكتبة ليلاً في الظلام. لم يكن في مقدور «إيلانور» أن تصعد البرج أو أي مبني شاهق آخر، كيف سيبدو المنظر من مستوى عالي كهذا؟ لو قدر لها يوماً أن تصعد البرج فلن تنظر إلى أسفل أبداً.

لم يبرح خيالها منظر السلم الذي يلتف حول نفسه صاعداً إلى قمة البرج. صوته المعدني الصادر عن صعود شخص، أو شيء، عليه ببطء. تكاد ترى جيلاً قد يلتف حول المعدن الصدئ..

### - ستسقطين!

هتف «لوك» فأفاقت «إيلانور» من شرودها لتجد نفسها متمسكة بسور الشرفة ومائلة للخلف بشدة.

### - لا تثقبي بتوازنك في «هيل هاووس».

تنفست «إيلانور» بعمق مغالية الدوار الذي أصايبها. أستندها «لوك» حتى استطاعت أن تقييم عودها في ذلك العالم المائل المتمايل.

سمعت «ثيودورا» وقع خطوات دكتور «مونتاجيو» في الشرفة فهرعت لترى ما يحدث. كان «لوك» لا يزال يحدُث «إيلانور».

- هذا المنزل اللعين.. يجب أن تخترسي لنفسك في كل لحظة.
- أنا بخير، كنت أحاول أن أرى قمة البرج فشعرت بالدوار واحتل توازني.
- أنا أيضاً شعرت بالدوار ذاته هذا الصباح. كنت أشعر وكأنني أسير على الحائط.

طلب دكتور «مونتاجيو» من «ثيودورا» أن تساعد «إليانور» في الدخول إلى المنزل؛ فالغريب أن الوضع لا يسوء إلا عندما يخرج المرء إلى خارج «هيل هاوس». وقتها فقط يشعر بالدوار واحتلال التوازن. شعرت «إليانور» بحرج كبير وهي تسير نحو الباب الأمامي للمنزل، لتجده لدهشتها مغلقاً.

- أذكر أنها قد تركنا هذا الباب مفتوحاً!

دفع دكتور «مونتاجيو» الباب الضخم ودخلوا إلى الصالة حيث وجدوا كل شيء قد عاد لما كان عليه. الأبواب قد أغلقت، والستائر قد أغلقت، وكل ما وضعوه في فرجات الأبواب ليقيوها مفتوحة قد عاد لمكانه، وذلك في جميع الحجرات حتى عم الظلام الثقيل «هيل هاوس» مرة أخرى.

اتهمت «ثيودورا» السيدة «ددلي» بفعل ذلك، بينما راحت تهرول بين الحجرات وتعيد فتح الأبواب والتواجد.

- لقد فعلتها السيدة «ددلي» أيضاً بالأمس؛ فلديها هوس عجيب يجعل كل شيء كما ظل طيلة العقود السابقة.. حتى الأطباق يجب أن

لم يعود إلى الأرفف بعد كل استعمال..

ضحكـت «ثيودورا» في هـيستـرـيا حتى التفتـ إلـيـها دـكتـور «مونـتـاجـيو»  
ـ مـلـطـبـا جـيـنـه قـائـلاـ:

ـ يـجبـ أنـ تـعـيـ السـيـدـةـ «ـادـدـليـ»ـ مـكـاتـبـهاـ جـيـداـ هـنـاـ سـأـئـبـتـ تـلـكـ  
ـ الـأـبـوابـ بـالـمـسـامـيرـ كـيـ لـاـ تـغـلـقـهـاـ مـرـةـ أـخـرـىـ لـوـ اـضـطـرـتـنـيـ لـذـلـكـ.

ـ كـانـ دـكـتوـرـ «ـموـنـتـاجـيوـ»ـ قـدـ بـدـأـ فـقـدـ رـابـطـةـ جـاـشـهـ،ـ فـفـتـحـ بـابـ  
ـ حـجـرـةـ الـأـلـعـابـ بـقـوـةـ حـتـىـ اـصـطـدـمـ بـالـخـاطـطـ خـلـفـهـ،ـ وـسـدـدـ إـلـيـهـ رـكـلـةـ قـوـيـةـ.

ـ فـقـدـيـ هـدـوـئـيـ لـنـ يـفـيدـ أـحـدـاـ..ـ أـبـدـاـ.

## ١٤

وضع الدكتور «مونتاجيو» شوكته جانبًا مخاطبها السيدة «ددلي»:

- شكرًا لك، «سوفليه» رائع ..

هزت السيدة «ددلي» رأسها شاكراً إياه سريعاً، ثم عادت إلى المطبخ حاملة الطبق الخالي. زفر الدكتور وأرخى كفيه في تعب.

- أعتقد أننا جميعاً في حاجة إلى الراحة، وأنتم بالخصوص يا «إيليانور»، سيفيدك الاستلقاء على السرير لنحو ساعة مثلاً. ربما لن نستطيع النوم جيداً الليلة.

سررت القشعريرة في الظهور، ساحبة الضوء والشمام الكؤوس والأطباق. سحابة من الوجوم أظللت حجرة الطعام سبقت دخول السيدة «ددلي» مذكرة إياهم بأن موعد رفع الأطباق قد حان.

## ١٥

لم تَنْمِ «إليانور» حتى إن كانت تشتهي ذلك. فقط استلقت على فراش «ثيودورا» في الحجرة الخضراء وراحت تشاهدُها وهي تلوّن أظفارها بالطلاء الذهبي.

تحدثنا طويلاً، وحرصت «إليانور» على ألا تُظهر لرفيقتها أنها قد بعثتها إلى غرفتها لأنها خافت أن تظل وحيدة.

- أحب أن أرِّين نفسي، أحب أن أطلي كل ما يمكنني طلاوته في جسدي!

أنهت «ثيودورا» عبارتها بنظره متأنية لكتفها المفرودة. تقلّبت «إليانور» في الفراش مغمضة وهي تكاد تغلق عينيها تعباً فترى «ثيودورا» مجرد كتلة من الألوان على الأرض:

- طلاء أظفار ذهبي؟

- طلاء الأظفار والعطور وملح الاستحمام و«الماسكارا»، المرء لا يفكّر مرتين يا «إليانور» في استخدام تلك الأشياء.
- لا وقت لدى حقاً.
- حسناً، بعد الوقت الذي ستمضيه معّاً، ستكونين فتاة أخرى. لا أحب أن أرافق امرأة بلا ألوان!
- ضحكت «ثيودورا» لتبيّن أنها تخرّج ثم أضافت:
- وسأبدأ بوضع الطلاء الأحمر على أظفار قدميك.
- ضحكت «إليانور» كذلك مادّة قدمها العارية نحو «ثيودورا». مرت دقيقة حتى شعرت بلمسة باردة على ظفرها جعلتها تقشعر.
- بالطبع سيدة راقية مثلك معتمدة على خادماتها لتنزيّنها.. قدمك متسخة..
- هلمّعت «إليانور» وسحّبت قدمها سريعاً، جلست وفحصتها فوجدها بالفعل متسخة وأظفارها مطلية بالأحمر.
- كانت تغالب البكاء حتى رأت تعبر الغباء على وجه «ثيودورا» فانفجرت ضاحكة.
- سأذهب لغسل قدميّ..
- انظري، قدماي متسختان أيضاً لا عليك..
- على أي حال، لا أحب أن يصنع لي أحدهم شيئاً، حتى لو كان تزييني.

- أنتِ أغرب امرأة رأيتها في حياتي وأكثرهن جنوناً..

قالتها «ثيودورا» مبتسمة، لكنها لاحظت وجوم «إليانور».

- أكره الشعور بانعدام الحيلة.. لقد كانت أمي... .

- كانت أمك لتبحب أن تراك بطلاً أظفار أحمر. تبدين جميلة..

نظرت «إليانور» إلى قدميها مرة أخرى قائلة:

- منظرهما غريب.. أبدو حقاء بأظفار كهذه..

- أنت تخاطلين الغرابة بالحمق.. على أي حال لن أزيل الطلاء،  
وسترى معًا من سينظر إلى قدميك أولاً، «لوك» أم الدكتور.

راحت «ثيودورا» تململ أدوات الزينة الخاصة بها في حقيبة صغيرة.  
فكَّرت «إليانور» أن أي شيء تحاول أن تعبّر به عن نفسها يجعله «ثيودورا»  
بلباقتها غبيًا.

نظرت «ثيودورا» إلى «إليانور» مليئًا ثم أضافت:

- لدى حدس أنك ستعودين إلى بيتك قريباً..

هل تسخر مني؟ هل قررتُ أنني لا أليق بمهمة كهذه؟

- لا أريد أن أعود إلى بيتي..

نظرت «ثيودورا» إليها سريعاً ثم تحسست الطلاء على أظفارها:

- لقد جفَّ تماماً.. لا تهتمي بما أقول، فقط شعرتُ بالتوتر للحظة.

لتنضم للأخرين.

## ١٦

على منحوته تمثل خرائب ما في بهو الدور العلوي، أستند «الوك»  
رأسه متأنلاً المكان من حوله:

- لا أنفك أفكري في هذا المنزل على أنه سيؤول لي يوماً ما. لا أعرف  
لماذا اعتبرته ملكاً لي من الآن وما زلتُ أسأل نفسي عن السبب! فلو كان  
لي شغف خاص بالأبواب أو الساعات العتيقة أو المنمنمات الغامضة  
لكان هذا سبباً كافياً يجعل «هيل هاووس» منزل أحلامي.

- هو بيت جليل، لا بدّ أنه كان أنيقاً وقت بنائه.

سار دكتور «مونتاجيو» نحو نهاية البهو، نحو حجرة الأطفال، مردفاً:

- والآن، نستطيع من خلال نافذة تلك الغرفة أن نرى البرج. أسأله  
لو كنا سنشعر بتيار هواء عند فتح الباب.

ضحكـت «ثيودورا» قائلة:

- تيار هواء؟ في «هيل هاوس»؟ إلا إذا أفلحت في إبقاء الأبواب  
والنوافذ مفتوحة.

- تعالوا هنا إذا فرداً فرداً..

تحركت «ثيودورا» للأمام عابرًا الباب..

- يبدو كباب ثلاثة، على الرغم من دفعه الغرفة!

شعرت «إليانور» بسعة البرودة ذاتها عند فرجة الباب التي اختفت  
 تمامًا بعد خطوة واحدة. كما مر «الوك» وكأنها مر خلال لوح من الثلج.

- ما هذا؟

فرك دكتور «مونتاجيو» كفيه جزاً وأضاف:

- سأترك لكم الأبواب والمنتهيات والكراسي الوثيرة، لدليًّا هنا  
أعجوبة أكثر منها بكثير. لم يستطع أحد تفسير هذا مطلقاً. وكان هنا  
المكان هو قلب «هيل هاوس» البارد.

في كنيسة القديس «بورلي» المسكونة، هناك بقعة بعينها تنخفض  
فيها درجة الحرارة عن باقي المكان إحدى عشرة درجة. هنا الوضع  
 مختلف، أراهن أنه أبرد بكثير.. قلب «هيل هاوس» البارد..

اقربت «ثيودورا» و«إليانور» من بعضهما البعض. وعلى الرغم من  
دفع حجرة الأطفال فإنها كانت ذات رائحة ثقيلة رطبة.

خارج النافذة، كانت أحجار البرج الرمادية جاثمة، وداخل الحجرة  
كان الظلام يعطي سمعًا كثيفاً على رسومات الحيوانات الطفولية على









- على أن السيدة «ددي» ليست بالرفيق الذي نشعر معه بالصحبة..  
هذا غريب.

حدقت «إليانور» في منضدة العشاء والأطباق المتسخة عليها وأردفت:  
- على الرغم من أنني لا أميل لها كثيراً، فإن أمي لم تكن تدعني أترك  
أطباق العشاء متسخة هكذا طيلة الليل.

- إن كانت تريد الرحيل قبل الظلام، فلا مفر من ترك الأطباق  
المتسخة حتى الصباح هنا.

- لا أعتقد أنه من اللائق أن ننصرف ونترك أطباقاً متسخة هنا.  
- لن نستطيع إعادتها للأرقف الخاصة بها كما تعرفين، هناك ترتيب  
خاص لكل شيء؛ لذا فعلينا إعادة ترتيب الأطباق بعد غسلها للإزالة  
آثار أصابعنا من عليها.

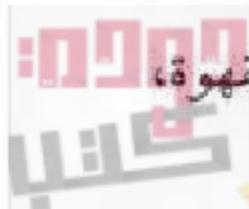
- لنضع الفضيات في ماء كي لا يجف الطعام عليها..

- «إليانور».. هل تريدين حقاً أن تذهبي للمطبخ وتعبري تلك  
الأبواب كلها ليلاً؟

- لا.. لا أعتقد..

وضعت «إليانور» الملاعق والسكاكين التي قد جمعتها في قبضتها  
مرة أخرى على المنضدة. ورمقت الأطباق المتسخة والفوط المطوية  
بإهمال فوق يقعة من النيد خلفها «لوك» مكان جلوسه. تساءلت عيناً  
كانت ستقوله أمها لو رأت منظراً كهذا.

كانت نيران المدفأة متوجهة. جلست «ثيودورا» بجوار صحفة القهوة،



ـ بينما أخرج «لوك» زجاجة «البراندي» من الخزانة حيث وضعها الليلة الماضية.

ـ يجب أن نقضى وقتاً ممتعاً بأي طريقة، دكتور «مونتاجيو»، أتحداك في مباراة شطرنج جديدة.

قبل بداية أمسيتهم، جعوا كل المقاعد الوثير والمصابيح من الحجرات الأخرى ووضعوها في حجرة الاستقبال لتصبح أكثر راحة وقابلية لامضاء أوقاتهم الليلية بها.

ناولت «ثيودورا» «إليانور» كوب القهوة، بينما جلست الأخيرة على كرسي وثير بشكل مبالغ فيه. قالت «ثيودورا» في رضا: «لقد كان «هيل هاووس» رحيناً بنا، لا توجد أطباق متسخة لتكون مهمة غسلها لـ «إليانور»، أمسية لطيفة ومقاعد مريحة ورفقة ممتازة. ربما تشرق الشمس غداً كذلك».

ـ يجب أن نعد لنزهة خلوية في حال سطوع الشمس.

ـ سيزداد وزني حتى في «هيل هاووس»، لقد أصبحت أكثر كسلاً بالفعل.

تكرار اسم «هيل هاووس» على لسان «ثيودورا» بهذا الإفراط أصاب «إليانور» ب نوع من القلق. وكان «ثيودورا» تصر على أن يعلم المنزل أنها تعرف اسمه ولا تخشاه.

تبادل «لوك» و«ثيودورا» الدعابات والضحك، بينما راحت «إليانور» تراقبهما من فوق حافة كوبها. بدا الأمر بالنسبة لها كالانتظار في عيادة

طبيب الأسنان، عليها أن تجلس صامتة تستمع إلى مزاح الآخرين. نظرت «إليانور» إلى أعلى حين أدركت أن الدكتور يقف جوار كرسيها، وابتسمت في تردد.

ـ متواترة؟

ـ فقط لأنني لا أعرف ماذا سيحدث لاحقاً هنا.

ـ وأنا أيضاً، هل تشعرين أن شيئاً ما سيحدث قريباً؟

ـ أجل.. كل شيء يبدو بأنه يتظر إشارة ما..

جذب الدكتور كرسياً وجلس جوار «إليانور»، ثم نظر إلى «لوك» و«ثيودورا» وأردف:

ـ هذان أيضاً شعراً بالشعور ذاته وواجهاه بطريقتهما؛ المزاح. لا أعرف ماذا سيفعل المتزل بنا. منذ أربعة شهور مضت، لم أكن أتخيل أننا سنكون هنا تحت سقف هذا المكان.

لاحظت «إليانور» أن دكتور «مونتاجيو» لم يذكر اسم المتزل.

ـ هل تظن أننا مخطئون في المجيء إلى هنا؟

ـ أليس كذلك؟ أعتقد أننا جميعاً حقى لمجيئنا إلى هنا. في جو مقبض كهذا، تحيي نقاط ضعفنا ومخاوفنا مجسمة مرعبة. ربما تكسرنا وطأة تلك الأحساس في غضون أيام. لدينا خط دفاع وحيد؛ الهرب. على الأقل لن يتبعنا، أليس كذلك؟ لو شعرنا بخطر يحير بنا سنغادر كما جتنا، فقط بأسرع ما نستطيع.

ـ لكننا نعلم أننا ربما نواجه شيئاً غير مألوف، تلك مزية. كذلك



نحن أربعة أشخاص ..

- لقد أخبرت «لوك» و«ثيودورا»، وهما أنا أخبرك، إن شعرت بأن المنزل سيحال منك بأي طريقة، غادرني بأسرع ما تستطيعين.

- أعدك..

- ولن أتردد في إرسالك بعيداً عن المنزل في حال وجدت خطراً عليك لا تدركينه.

بينما يعد «لوك» والدكتور لوحه الشطرنج، كانت «ثيودورا» تحجب الحجرة ممسكة بكوب القهوة. لاحظت «إليانور» أنها تبدو كحيوان قلق متوتر، لا تستطيع الجلوس ما دامت قد شعرت بشيء غريب في الأجواء. دعتها «إليانور» إلى الجلوس، فهورت على الكرسي الذي كان يجلس عليه الدكتور، وأراحت ظهرها في تعب. يا لها!

- هل تشعرين بالتعب يا «ثيو»؟

- لا أستطيع الانتظار أكثر من هذا.

- لا يبدو عليك القلق.

- «نيل»، ربما كنت فقط أشعر بالحزن في بيتي. هل فكرت لو أن بيتك هو «هيل هاوس»، هل كنت مستشائين إليه؟ هل يكتب الطفلتان من أجل بيتهما الكاتب المظلوم عندما أخر جوهما منه؟

- أنا لم أبتعد من قبل عن أي مكان؛ لذا لم أشعر بحزن في بيتي.

- ماذا عن الآن؟ ألا تستشائين لشققك الصغيرة؟

حدقت «إليانور» في النار وأجابت:

- ربما، أنا لم أمض بها وقتاً كافياً كي أعتبرها بيتي..

- أنا أريد فراشي.. أشعر بالنعاس.

فكرت «إيلانور» أن «ثيودورا» تتحول إلى طفل صغير عندما تشعر بالجوع أو الملل.

- الساعة جاوزت السادسة عشرة.

نظرت «إيلانور» إلى «لوك» والدكتور اللذين انتهيا لتوهما من مباراة الشطرنج القصيرة. ضحك «لوك» صافحاً:

- لقد خسرت.. أعرف لك بهذا يا دكتور.

راح «لوك» يجمع قطع الشطرنج داخل صندوقها، بينما تساءل الدكتور عن إمكانية أن يأخذ معه كأساً من النبيذ إلى حجرته لتساعده على النوم، أو لإعطائه دفعه من الشجاعة إن حدث شيء الليلة.

- سأقرأ قليلاً قبل النوم أيضاً..

- أما زلت تقرأ رواية «باميلا»؟

- الجزء الثاني، لدى ثلاثة أجزاء منها. عندما أنتهي منها سأبدأ في «كلاريسا هارلو». ربما يريد «لوك» أن يستعير...

- لا، شكرًا، لدى حقيبة ملائى بالروايات البوليسية.

تلقت الدكتور حوله ليتأكد من أنهم أخذوا نيران المدفعية وأطفؤوا الأنوار وتركوا الأبواب مفتوحة كي تغلقها السيدة «ددلي» في الصباح.

في تعب، تلا كل منهم الآخر صعوداً إلى الطابق الثاني، يطفئون



الأنوار في طريقهم. تأكّد الدكتور أنّ مع كل واحد منهم كشافاً كهربائياً.  
كان الجميع ناعسين وهم يصعدون الدرجات المظلمة لـ «هيل هاووس».

قالت «ثيودورا» وهي تفتح باب حجرتها:

ـ تصبحون على خير.

أجابها الجميع بالمثل، مع أمنية بنوم هانئ من دكتور «مونتاجيو».

## ١٨

- أنا آتية يا أمي .. آتية ..

قالتها «إليانور» وهي تبحث عن مفتاح النور في الظلام.

- أنا آتية يا أمي ..

سمعت «إليانور» من يناديها:

- «إليانور» ..

- أنا آتية .. آتية ..

صاحت في تعب:

- آتية .. دقيقة واحدة ..

- «إليانور» ..

ثم أدركت «إليانور» في صدمة مباغتها أيقظتها من تخبطها.. أنا في  
«هيل هاوس»!

- «ثيودورا».. ماذا تريدين؟

- هلاً أتيت!

- أنا آتية..

لا وقت للبحث عن مفتاح النورأتعثرت «إليانور» في منضدة في طريقها إلى باب الحمام المشترك. هذا ليس صوت وقوع المنضدة، هذه أمي تقرع الحائط بيتنا.

كانت غرفة «ثيودورا» مضاءة، وكانت تجلس وسط الفراش، شعثناء الشعر جراء النوم، متسعه العينين هلعاً.

- أنا هنا.. ما الخطب؟

ثم سمعت «ثيودورا» ما كانت تسمعه طيلة الليلة ولم تُعرِّه انتباها.

- ما هذا؟

جلست «إليانور» عند طرف فراش «ثيودورا» وتساءلت عن مصدر الصوت. هناك ضوضاء من جهة الردهة، من ناحية حجرة الأطفال تحديداً. لم تكن أمها من كان يطرق على الحائط.

- هناك من يطرق الأبواب.

قالتها «ثيودورا» في هلع حقيقي.

- لا عليك، الصوت في الجهة بعيدة من الباب. ربما سمعه الدكتور و«لوك» وهما يستعدان لمعرفة سببه.

لا يبدو الصوت كصوت طرقات أمي على الحائط، يبدو أنني أحلم  
مرة أخرى.

كان الصوت مجرد طرقات على الأبواب، مع انخفاض شديد في  
درجة الحرارة.

سرت ببرودة مضاغفة على طول العمود الفقري لـ «إليانور»، وكأنه  
شيء حي يزحف هناك. لفت ذراعيها حول نفسها وضغطت ذكيمها قائلة:  
ـ «ثيودورا»، الطرقات تقترب.

التصقت «ثيودورا» بـ «إليانور» وقالت من بين أسنانها:  
ـ هي مجرد طرقات.. الصدى يضخم الصوت.

بدا الصوت لـ «إليانور» كصوت أجوف، طرقات خاوية، كان أحدهم  
يطرق على الأبواب بإ NAME مفرغ، أو قفاز حديدي. كانت الطرقات سريعة  
في أحيان، وقوية في أحيان، وحقيقة في أحيان أخرى، تتحرك من باب  
إلى آخر عبر الردهة.

ظنت «إليانور» أنها تسمع صوت الدكتور وـ «لوك» من مكان ما في  
الطابق السفلي. إذاً نحن وحيدتان في هذا الطابق! ثم سمعت طرقات  
عنيفة على باب قريب جداً.

ـ «إليانور»، يبدو الصوت آتياً من صف الحجرات المقابل.

المذهل فيها يحدث أن «ثيودورا» تشعر بالضبط بما تشعر به. ثم  
سمعتا الطرقات على باب الحجرة المجاورة، حجرة «إليانور». كان  
الصوت أقوى والطرقات أكثر عنفاً.

هل يطوف ذلك الشيء في الردهة على قدميه فوق البساط؟ هل يستخدم كفيه في الطرق؟

اندفعت «إليانور» نحو الباب واضعة كفيها عليه صائحة:

- ابتعد.. ابتعد.. ابتعد!

ساد الصمت فجأة. وقفـت «إليانور» مولـية وجهـها نحو الـباب.. لقد فعلـتها، جعلـته يـرحل. يـبدو أنه كان يـبحث عن حـجرة يـقطـنـها أحـدـهم. انـخفـضـت الحرـارـة أكـثـر حتى عـلـا صـوت اصـطـكـاكـ أـسـنـان «ثـيـودـورـا».

- «ثـيـودـورـا»، أـيـتها الطـفـلـة الكـبـيرـة!

- أـشـعـرـ بالـبرـدـ الشـدـيدـ.. أنا أـمـوتـ!

أخذـت «إليـانـورـ» الغـطـاءـ الثـقـيلـ أـخـضـرـ اللـونـ وـلـفـتـهـ حولـ رـفـيقـتهاـ، ثمـ ارتـدتـ هيـ رـداءـ حـامـ «ثـيـودـورـا».

- هلـ تـشـعـرـينـ بـالـدـفـءـ الـآنـ؟

- أـينـ «لـوكـ»؟ أـينـ الدـكـتورـ؟

- لاـ أـعـرـفـ، هلـ تـشـعـرـينـ بـالـدـفـءـ الـآنـ؟

- لاـ.

- سـأـخـرـجـ لـأـرـىـ أـينـ هـمـ، سـأـعـودـ فـوـرـاـ.. هـلـ..

بدأ الـطـرـقـ منـ جـدـيدـ، وـكـأنـ الطـارـقـ كانـ يـتـظـرـ، يـسـترـقـ السـمعـ، ليـتـعـرـفـ أـكـثـرـ إـلـيـهـاـ وـإـلـىـ مـدـىـ اـسـتـعـادـهـاـ لـمـواـجـهـةـ ماـ سـتـلـقـيـانـهـ، وـمـاـ إـنـ  
كـانـتـاـ خـافـقـتـيـنـ أـمـ لـاـ.

تراجعت «إليانور» ملتصقة بالفراش، وشهقت «ثيودورا» صارخة. انتقل الطرق إلى بابها، فنظرت كل منهما إلى الأخرى في ذعر. كان القرع في أعلى نقطة من الباب، حيث لا يستطيع «الوك» أو الدكتور أو أي بشري الوصول. واصلت درجة الحرارة انخفاضها بشكل مطرد.

حدقت «إليانور» في الباب غير عالمه ما عليها فعله. الحقيقة أنها لم تُكُن مذعورة بشكل زائد على ما تخيلته عن نفسها على الرغم من أن ما يحدث قد فاق أسوأ كوابيسها.

كان البرد يضايقها أكثر مما تضيقها غرابة الأحداث، وكان معطف «ثيودورا» بلا نفع في مواجهة تلك القبضة المثلجة التي تقبض على ظهرها.

فكرت «إليانور» أن أفضل شيء يمكن فعله هو فتح الباب، وهو ما يتفق تماماً مع معايير الدكتور «مونتاجيو» العلمية. لكن أثني لها بالجرأة للقيام والمشي نحو الباب وإدارة المقبض؟ هذا عمل يتطلب شجاعة غير بشرية للقيام به.

كانت الطرق تختفت وتبتعد حين قالت «ثيودورا»:

- سأشكر السيد «ددلي» لاتهامه في صيانة التدفئة.. هل توقف الطرق؟

الصقت «إليانور» أذنها بالباب، لم تتوقف الطرق. لقد وجد هما الشيء ولا بدّ أنه يبحث عن طريقة لاختراق الحجرة عليهما. صاحت «إليانور»:

- الآن عرفت لم يصرخ الناس؛ لأنني أعتقد أنني سأصرخ الآن.

- سأصرخ إن صرخت!



ضحكـت «ثيودورا» فعادـت «إليانور» سريعاً إلى الفراش واحتضـنت كلـ منها رفيقـتها، تستمعـان وسطـ الهدـوء المقـاجـع لربـات خـفـيفـة حولـ حـلقـ الـبابـ كـأنـها تحـاولـ التـسلـلـ.

دارـ مـقـبـضـ الـبابـ بـيـطـاءـ، فـحدـقـتـ «إليـانـورـ»ـ فيـهـ هـامـسـةـ:

ـ هلـ أحـكـمـتـ غـلـقـهـ بـالـمـفـتـاحـ؟

هزـتـ «ثـيـودـورـاـ»ـ رـأـسـهاـ إـيجـابـاـ،ـ وـأـدـارـتـ عـيـنـيهـاـ المـسـعـتـينـ هـلـعـاـ الـبابــ الحـامـ المـشـرـكـ بـيـنـ حـجـرـتـيهـماـ.

ـ أناـ أـيـضاـ أحـكـمـتـ غـلـقـ بـاـيـ..ـ لاـ تـقـلـقـيـ.

أـغـلـقـتـ «ثـيـودـورـاـ»ـ عـيـنـيهـاـ فيـ اـرـتـياـحــ.ـ دـارـتـ الـلـمـسـاتـ حـولـ الـبـابــ مـرـةـ أـخـرىـ،ـ وـكـانـ صـاحـبـهاـ قـدـ اـسـتـشـاطـ غـضـبـاـ،ـ رـاحـتـ الـطـرـقـاتـ تـتـعـالـىـ مـرـةـ أـخـرىـ،ـ وـرـأـتـ «ثـيـودـورـاـ»ـ وـ«إـليـانـورـ»ـ خـشـبـ الـبـابـ يـكـادـ يـتـشقـقــ مـنـ ثـقـلـهـاـ،ـ وـتـكـادـ الـمـقـصـلـاتـ تـنـخلـعـ مـنـ مـكـانـهـاـ.

صـاحـتـ «إـليـانـورـ»ـ فيـ وـحـشـيةـ:

ـ لمـ تـسـتـطـعـ الـوـلـوحـ!

سـادـ الـهـدوـءـ مـرـةـ أـخـرىـ،ـ وـكـانـ المـتـزـلـ استـمـعـ لـكـلـيـاتـهـ،ـ وـفـهـمـهـاـ،ـ وـانـصـاعــ هـاـ موـافـقاـ عـلـىـ الـانتـظـارـ.ـ سـرـتـ ضـحـكـةـ وـجـلـةـ فيـ الـغـرـفـةـ سـرـعـانـ ماـ انـقلـبـتـ لـصـيـحـاتـ مـجـنـونـةـ مـصـحـوبـةـ بـضـحـكـاتـ شـامـتـةـ تـنـطـوـفـ أـرجـاءــ المـتـزـلـ.ـ ثـمـ سـمـعـتـ صـوتـ «ـلـوكـ»ـ وـالـدـكـتورـ يـنـادـيـانـ مـنـ الطـابـقـ السـفـلـيـ.

عـنـدـمـاـ سـادـ الصـيـمـتـ الـحـقـيقـيـ،ـ نـظـرـتـ الـمـرـأـتـانـ إـلـىـ بـعـضـهـمـاـ الـبعـضـ وـضـحـكـتـاـ.ـ كـانـتـاـ تـمـسـكـانـ بـعـضـهـمـاـ كـطـفـلـتـيـنـ مـذـعـورـتـيـنـ.ـ حـدـقـتـ «ـثـيـودـورـاـ»ـ

في «إليانور»:

- أنت ترتددين رداء الحمام الخاص بي !!

- نسيت ردائى .. هل انتهى الأمر؟

- أعتقد أنه انتهى ، لليلة فقط .. لن يستطيع أحد أن يجزم بعدم تكراره غداً. ألا تشعرین بالدفء؟

كان الدفء يعود ، ولم يتبق من البرد سوى تلك القبضة المثلجة على ظهر «إليانور». نظرت «إليانور» إلى الباب وهي تحمل عقدة حزام رداء الحمام. قالت «ثيودورا»:

- الإحساس بالبرودة الشديدة من أعراض الصدمة.. أسمع خطوات «لوك» والدكتور في الخارج.

كانتا تسمعان حديث الرجلين القلقين. ألمت «إليانور» الرداء على الفراش وقالت:

- يا إلهي ! لا تدعهما يطرقا الباب .. طرقات أخرى ستقضى على...  
جرت «إليانور» إلى غرفتها التردي ثياباً لائقة، بينما طلبت «ثيودورا» منها الانتظار دقيقة.

ثم قامت وفتحت الباب. دخل «لوك» فاحضأ إياها بناظريه:

- تبدئن كمن رأى شبحاً.

عندما عادت «إليانور»، رأت الدكتور و«لوك» بملابس الخروج الثقيلة فخطر ببالها أن تتدثر بشيابها في أثناء نومها فلا تباغتها البرودة

في الليلة المقلبة، ولا يهم ما ستقوله عنها السيدة «ددلي» لو عرفت أنها  
ستنام بالجوارب الثقيلة والخذاء أيضاً.

- ما شعور السيدتين تجاه المبيت في منزل مسكون؟

- لا بأس به على الإطلاق، بل يعطيني سبيلاً للتناول كأسي من النبيذ  
في منتصف الليل.

كان «لوك» ممسكاً بالفعل بزجاجة النبيذ وأربع كؤوس. جلس الجميع  
حول فراش «ثيودورا» يشربون ويسلدون نظرات سريعة متواترة لما  
حوّلهم. يتساءلون عما يخفيه الآخرون من أسرار ربما تفتح وتتر الصدید  
تحت وطأة ما سيرونه في «هيل هاووس».

- هل حدث شيء هنا بينما كنا في الخارج؟

جزءاً سؤال الدكتور، نظرت «ثيودورا» و«إليانور» إلى بعضهما  
البعض وضحكتا ضحكة صافية بلا خوف أو هيستيريا. قالت «إليانور»:

- لا شيء، أحدهم كان يطرق على الباب بمدفع، ثم حاول أن  
يقترب الغرفة ليأكلنا، وحين فشل انفجر في ضحكة مجنونة ماجنة..  
حقاً، لا شيء!

- أشكر له أنه لم يحطّم الأبواب الخشبية العزيزة، لم أكن لأتحمل تلك  
الخسارة، خاصة أن «إليانور» كانت ستتفجر في الصراح.

- أنت أيضاً قلت إنك ستصرخين.

- لن أفعل، أنا فقط فضلت تهدئتك وإزالة الهمم عنك، خاصة أن  
السيدة «ددلي» قد قالت إنها لن تسمع صراخنا ولن تأتي. المهم، أين كتباً؟

- كنا نطارد كلبًا، أو ما بدا لنا أنه كلب. وقد تبعناه للخارج.

- تعني أنه كان في الداخل؟!

- أنا رأيته يعود خارج غرفتي.

قال لها الدكتور وأردف:

- لمحته فقط من دون تعين تفاصيل، فأيقظت «لوك» وطاردناه إلى الخارج. ثم فقدنا أثره خلف المنزل.

- هل كان الباب الأمامي مفتوحًا؟

- لا، الأبواب والنوافذ كلها كانت مغلقة، لقد تأكدنا من ذلك قبل النوم.

- أضمننا وقتاً طويلاً في فحص الحديقة ولم يخطر لنا أنكما متيقظان حتى سمعنا صوتكما. هناك شيء آخر لم نفكّر فيه.

اجتمعت الأعين على وجه دكتور «مونتاجيو» متسائلة، فنظر إلى أظفاره وبدأ الحديث كأنها في محاضرة:

- أولاً: لقد كنا مستيقظين أنا و«لوك»، وكنا ندور في أرجاء المنزل وحوله لمدة ساعتين تقريباً. ربما هذا ما أدى بنا إلى تلك المطاردة العقيمة، ثانياً: لم يسمع أحدنا أي صوت من الطابق الثاني عدا صوتكما. كل شيء كان هادئاً تماماً، ما يؤدي بنا إلى استنتاج أن صوت الطرقات لم يكن مسموعاً لأحد سواهما. ربما مطاردتنا لذلك الشيء كانت مجرد طعم لإبعادنا عنكما. والآن باجتمعنا معاً، كل شيء استقر وهذا.

سألت «ثيودورا» حائرة:



- لا أفهم ما الذي ترمي إليه؟
- يجب أن تأخذ احتياطاتنا..
- ضد من؟ وكيف؟
- عندما قادنا الكلب للخارج، كتبها حبيستين هنا بمفردكما، ألا يجدوا هذا كمخطط لفصلنا؟

## ١٩

إنه صباحي الثاني في «هيل هاوس»..

نظرت «إليانور» إلى انعكاسها في المرأة، كان بهيجًا على الرغم من كآبة الغرفة الزرقاء. كانت سعيدة؛ فقد مرت بليلة عاصفة، شربت وضحكـت وحـكت الأكاذـيب عن نفسها. بـدت سخـيفة ولم تـحاسب نفسها على ذلك.

لقد كانت مذعورة الليلة السابقة؛ لذا فقد استحقـت تلك السـعادـة الصـغـيرـة. ابـتسـمت لنفسـها في المرأةـ الخامـسة:

ـ أنت سـعيدـةـ الـيـوـمـ ياـ «ـإـلـيـانـورـ»ـ ..

تـنتـهيـ الرـحـلـةـ بـلـقـاءـ الأـحـبـةـ..ـ بـلـقـاءـ الأـحـبـةـ.

كـانـتـ «ـثـيـودـورـاـ»ـ تـهـمـ «ـلـوكـ»ـ ضـاحـكـةـ بـأـنـهـ سـرـقـ جـوـرـبـاـ بـعـدـ شـكـرـ لـيـلـةـ أـمـسـ،ـ وـتـرـدـدـ اـتـهـامـهـاـ بـصـوـتـ عـالـيـ حـتـىـ تـسـمـعـ السـيـدـةـ «ـادـمـيـ»ـ،ـ

فأجابها «لوك» أنه من الشرف أن يحتفظ الرجل بذكرى من رفيقة ليلة، وأن بالفعل السيدة «ددي» قد سمعت.

طرقت «ثيودورا» باب «إليانور» متسائلة:

- «إليانور»، هل أنت مستيقظة؟ هل أستطيع الدخول؟

- بالتأكيد، ادخلِ..

نظرت «إليانور» نظرةأخيرة لانعكاسها وقالت لنفسها إنها تستحق السعادة، لقد تعبت كثيراً حتى استحقتها.

- يا جمالي اليوم يا «نيللي» الصغيرة، يبدو أن الأحداث المريضة تتحرك تالقاً خاصّاً! كان حرياً بنا أن نستيقظ بهالات سوداء حول أعينا.

لفت «ثيودورا» ذراعها حول كتفي «إليانور» ونظرتا معاً إلى المرأة.

- انظري إلينا.. زهرتان يانعتان صغيرتان!

- أنا في الرابعة والثلاثين..

لا تعرف «إليانور» ما الذي دفعها بالإضافة عامين إلى عمرها الحقيقي.

- وتبدين كفتاة في الرابعة عشرة.. هيا بنا، لقد استحققنا إفطارنا..

ضاحكتين، هرولتا هابطتين الدرج متوجهتين إلى حجرة الصيد ومنها إلى حجرة الطعام، وكان «لوك» والدكتور بانتظارهما..

- صباح الخير، هل نمتا جيداً؟

- جداً، كالأطفال..

- أعتقد يا «إليانور» إن كان ثمة خصوصية خفيفة، لكنها متوقعة في منازل عتيقة كهذه.. دكتور، ماذا ستفعل اليوم؟

بدا الدكتور «مونتاجيو» متعباً، لكن عينيه أضاءتا بالحماس لسؤال «ثيودورا». كان الجميع يستمتع بالفعل بوقته على الرغم من الأحداث الجارية.

- منزل ولاية «بارشين»، كنيسة «بورلي»، قلعة «جلاميس».. من المذهل أن يجد المرء نفسه في مواجهة مع مثيل لتلك الأماكن. ذلك الشعور الغريب الذي يغزونا، والرضا، شيء غير متوقع. لن تصدق زوجتي ما نشعر به، حتى إن للطعام مذاقاً مختلفاً.. هل تشعرون بذلك؟

هز الجميع رؤوسهم موافقين. غمغمت «ثيودورا»:

- أحاول أن أذكر بدقة أحداث ليلة أمس.. أذكر أنني كنت خائفة، لكنني لا أذكر أنني بالفعل شعرت كذلك!

- أنا أذكر البرودة..

- أعتقد أن سبب ذلك هو تعرضاً لناً لوقف لا يصدق بالأساس. موقف غير منطقي ترفض عقولنا استيعابه.

ابتسمت «إليانور» في حرج بينما قال «لوك»:

- أوافقك الرأي يا دكتور، لقد استيقظت صباحاً وأنا أحاول أن أقنع نفسي أن ما حدث حقيقة.

- الآنأشعر أن ما حدث كان مثيراً..

رفع الدكتور إصبعه مخذراً و هاتف:

- مازالت احتمالية أن ما حدث مجرد هلاوس بفعل ذبذبات جريان  
الماء الجوفية وارد..

- هل تظن أن تلك المنازل المسكونة كلها مبنية فوق ينابيع مخفية؟

- تلك السعادة التي نشعر بها لا تريحني.. ربما كانت خطيرة أيضاً..

هل تعني أنا تحت وطأة تعويذة ما؟

- إن كانت ليلة أمس هي اختباراً من «هيل هاووس» لاحتمالنا،  
فلن نواجه مشكلات أصعب. لقد ارتعينا وكانت خبرة سبعة في أثناء  
حدوثها، لكنني الآن لا أذكر أتنى شعرت بخطر محقق وقتها. حتى  
إن مقوله «ثيودورا» إن أيّاً ما كان وراء بابها كان قادماً ليلاً فهمها لم تُعد  
منطقية، لم يكن ثمة خطر حقيقي.

- أنا أعرف ما كانت تقصد «ثيودورا»، لقد كنت معها وأعرف أنها  
الكلمة الأدق لما شعرنا به وقتها. وكأنه يريد أن يمتصنا، يأخذنا لنفسه  
بشكل ما. لا أعرف إن استطعت أن أوصل لكما الفكرة..

قال دكتور «موتاجيو» بلهجة واثقة:

- لا وجود لخطر مادي علينا، على مدار قصص الأشباح في التاريخ،  
لم يؤدِّ شبح أحداً بشكل مادي. الأذى الوحيد الذي يمكن حدوثه هو  
أذى الشخص لنفسه. يمكننا أن نقول: إن الأشباح تهاجم العقل؛ لأن  
العقل هش. قبل الليلة الماضية، لم نُكِنْ نصدق وجود أشباح، بل إننا لم  
نذكر لفظة «شبح» حتى من دون ابتسامة ساخرة. والآن، بعد ما حدث  
أمس، ذابت عقولنا المتحضرّة ويدأنا في الحديث عن الماورائيات بجدية.

لا يمكن لأحدنا أن يجزم بأن ما عدوانا خلفه في الحديقة شبح، لن يقدر عقلنا الواعي على هذا. لكننا نجزم أن شيئاً ما يحدث في «هيل هاووس» ليلاً. الشك هو ملجاً للعقل، ولقد تم إقصاء الشك بمشاهدة جماعية. لن نستطيع أن نزعم بعد ذلك أننا كنا نتخيل.

ابتسمت «إليانور» وهمست:

- يمكنني أن أقول إن ثلاتكم في مخيلتي، وإنه لا شيء حقيقي من هذا كله.

- إن كنت تظنين ذلك حقيقة، فحربي بي أن آخر جل من «هيل هاووس» هذا الصباح. فقد افترضت جداً من الحالة العقلية التي أخشى أن يقترب منها أحدكم تحت تأثير المنزل.

- كنت أعتقد أنني سأستحق الابتعاد لو اتخذت نفس صفة «هيل هاووس» ضدكم.

لماذا أنا بالذات؟ لماذا أنا؟ هل أنا الضمير الجماعي الذي يفترض بي أن أقول في برود ما يتکبر الآخرون عن البوح به؟ هل أنا مجرة على أن أكون الحلقة الأضعف؟ أضعف من «ثيودورا»؟ أنا لن أنقلب عليهم على عكسهم جميعاً..

- على صعيد آخر، فإن ما يُدعى «البولتر جايشت»، أو «الشبح الصاخب»، يتعامل مع الأمور المادية بشكل أكبر؛ فهم يلقون الحجارة ويحركون الأثاث ويكسرون الصحون. على الرغم من ذلك، فإنهم أقل الكائنات الماورائية تعقلاً وعقلاً. مجرد قوة باطشة غير موجهة. هل تذكرون رواية «أوسكار وايلد»، «الشبح كاترفيل»؟

أجابت «ثيودورا» سريعاً:

- التوأمان الأميركيان اللذان طردا الشبح الإنجليزي المهدب..

- بالضبط. أنا أعتقد أن الأميركيين كانوا ظاهرة من ظواهر الأشباح الصالحة. تلكم الأشباح هي الوحيدة القادرة على مواجهة الأشباح المهدبة وطردها، بل وطرد أي شيء آخر. هناك ضيافة في أسكوتلندا موبوءة بالأشباح الصالحة، حتى إن سبعة عشر حريقاً اشتعلت بها في يوم واحد. الأشباح الصالحة تحب تحريك الأثاث وقلب الفرش. اذكر أن قسًا اضطر لحجر متزله؛ لأن هناك شبحاً صالحًا يتلو ترانيم كنسية داخل رأسه كلما جلس الرجل ليرتاح!

فجأة بلا أي مقدمات، انفجرت «إيلانور» في الضحك، خالجها شعور عارم بأن تطوح المنضدة وتحتضرن دكتور «مونتاجيو». أرادت أن تعدد وتغنى وتدور فاردة ذراعيها بين حجرات «اهيل هاووس».

أنا هنا.. أنا هنا..

أغمضت عينيها وأبعدت الخاطر العجيب، ثم سالت دكتور «مونتاجيو»:

- ماذا ستفعل اليوم؟

- ما زلت كعصبة من الأطفال! دائمًا ما تسألوني ماذا ستفعلون اليوم. ألا يمكنكم تسلية أنفسكم بلاعبكم؟ لديّ عمل علىّ أن أنهزه. اقترحت «ثيودورا» أن يمارسو الانزلاق على إفريز الدرج، ورأى «إيلانور» أن لعبة الغميضة ستكون أفضل.

- افعلوا ما تشاورون، لكن لا تجولوا في المنزل كثيراً، لا أعرف السبب، لكنها لا تبدولي فكرة جيدة.

- هل تظن أن هناك ذيّاً مختبئاً؟

- أو نمراً في العلية؟

- أو ساحرة شريرة أعلى البرج، أو تنيناً يسكن حجرة الرسم؟

- أنا جاد، لا أمزح!

شاركهما دكتور «مونتاجيو» الضحك، ثم قاطعهم صوت السيدة «ددي»..

- أنا أرفع الأطباق في العاشرة..

- صباح الخير سيدة «ددي»..

قالها دكتور «مونتاجيو» بينما مال «لوك» و«ثيودورا» و«إليانور» خلفاً في محاولة لإخفاء ضحكتهم.

- أنا أرفع الأطباق في العاشرة..

- لن نؤخرك عن موعدك.. فقط خمس عشرة دقيقة..

- أنا أرفع الأطباق في العاشرة، وأضع طعام الغداء في الواحدة والعشاء في السادسة، والساعة الآن العاشرة..

لاحظ دكتور «مونتاجيو» وجه «لوك» المحتقن بالضحك المكتوم، فرفع منشفته وغضى بها عينيه مستلماً:

- يمكنك رفع الأطباق.. سيدة «ددي».

صدح صوت ضحكاتهم عبر ردهات «هيل هاوس»، واصلاً إلى المنحوتة الرخامية في حجرة الموسيقى، ومنها إلى حجرة الأطفال حتى اعتلى قمة البرج الرمادي.

استلقوا على المقاعد في حجرة الاستقبال بينما الضحك لا يزال في أوجه. خبأ دكتور «مونتاجيو» وجهه في كفيه وهو يتمالك نفسه قائلاً:

- يجب ألا نسخر من السيدة «ددلي»...

راحـت كـتفاه تـهـزـان ضـحـكـاً وـلـم يـسـطـعـ أـن يـكـمـلـ جـلـتهـ. استـغـرـقـهـمـ الضـحـكـ طـوـيـلاًـ فـلـم يـقـطـعـهـ سـوـىـ أـنـصـافـ الـجـمـلـ بـيـنـهـمـ. اـهـتـزـتـ أحـجـارـ «هـيلـ هـاـوسـ»ـ حـتـىـ خـفـتـ ضـحـكـاتـهـمـ، اـرـتـمـواـ مـنـهـكـينـ يـحاـولـونـ أـنـ يـلـقـطـوـاـ أـنـفـاسـهـمـ. قال دكتور «مونتاجيو» شاهقاً:

- الآن.. الآن أعتقد أننا في حاجة إلى قهوة، أليس كذلك؟

- هل تقصد أن نذهب إلى المطبخ ونطلبها من السيدة «ددلي»؟

- هل نذهب إليها والساعة ليست الواحدة ولا السادسة ونطلب منها قهوة؟ يالله من جنون!

- «لوك» يا بني، أعتقد أنك المفضل بيننا عند السيدة «ددلي»...

قاطعه «لوك»:

- وكيف لك أن تلاحظ شيئاً كهذا؟ هل تسد لي نظرات ولهة؟

هل تعطيني طعاماً أكثر، أم...

- أنت، قبل كل شيء، الوريث الشرعي للمنزل، وبالتأكيد تشعر نحوك بها يشعر به الخادم المخلص للعائلة تجاه مخدومه الجديد.

- في عيني السيدة «ددلي» أنا أتفه من شوكة ملقة أرضاً. فإن كنت ترغب في طلب شيء من السيدة العجوز فلترسل «ثيو» أو ساحرتنا «نيل»؛ فهيا ليستا خائفتين من...»

- لا يمكنك أن ترسل امرأة وحيدة في مهمة كهذه.. نحن هنا لأنكما تحميانتا، لا لكي تحارب معارككما أية الجبان.

- حسناً، ليذهب الدكتور..

-مستحيل.. لا يمكنك أن تطلب من رجل عجوز مثلِي أن يذهب..  
أنت الفتى المفضل لديها.

- أيها المسن الواقع، أتضحي بي من أجل كوب من القهوة؟ لا تتفاجأ إذاً، وأقوها واضحة: لا تتفاجأ لو فقدتني في تلك المهمة. ربما تخيلني السيدة «ددلي» لفيليـه «الوك» مع الليمون والزبد أو «الوك» مشوي مع الصلصة، حسب مزاجها. لو لم أعد، فأعدك أن يكون غداًوك محل شك عظيم..

انحنى «لوك» بشكل تمثيلي مبالغ فيه وخرج من باب الحجرة وأغلقه خلفه.

تعطّلت «ثيودورا» في كرسيها وهمست:

- لطيف «الوك» -

- لطيف «هيل هاوس» .. «ثيو»، هل لاحظت متزلاً خثبياً صغيراً في الحديقة الجانبيّة؟ لاحظته أمس. هلا استكشفناه اليوم؟

- بالتأكيد.. بالطبع لا أحب مغادرة «هيل هاوس» إلى أي مكان

جهول، لكن اليوم جميل ويجب ألا نهدره في البقاء في المنزل.

- اطلبني من «لوك» إذاً أن يأتي أيضا.. وأنت يا دكتور؟

قال دكتور «مونتاجيو» إن لديه ملاحظات ليدوُّنها، ثم قام فجأة فاتحًا الباب وظل هناك يرمق الردهة الخالية، ثم استدار مواجهًا إياهما بوجه ممتنع:

- لقد كسرت قانوني الأول وأرسلت «لوك» وحده..

ثوانٍ وكان صوت «لوك» يصدح من الخارج:

- أنا هنا، كل شيء على ما يرام، لكن تعالوا إلى الردهة الطويلة..

نهض الجميع وتبعوه إلى حيث الباب المفهي إلى الردهة الطويلة التي بدورها تفضي إلى باب المنزل.

انتفضت «إليانور» حين رأت ما يشير إليه «لوك» رافعًا عود ثقاب ليضيء به الحائط.

- أهذه.. كتابة؟

- بالفعل.. أنا لم أحظها إلا في عودتي.. بالنسبة السيدة «ددلي» رفضت طلب القهوة.

أخرج دكتور «مونتاجيو» كشافه الكهربائي من جيبه وراح يمسح به الخواتط بيضاء.

- كتابة بالطبيشور..

فاحا وهو يمسح بياصبعه طرف الكلمة. كانت الكتابة بحروف كبيرة،

وكانها مكتوبة بيد طفل لا يه على سور حديقة.

تجه الكتابات بعرض الردهة، خشنة محفورة على التقوش الخشبية، كبيرة لدرجة صعوبة قراءتها منها ابتعدت.

سأل «لوك» الدكتور إن كان يستطيع قراءتها، فهمس الثاني ببطء:

ـ ساعدوا «إليانور» لتعود إلى بيتها.

شعرت «إليانور» بالكلمات تقف في حلقتها حين رأت اسمها على الحائط:

ـ امسحوا تلك الكلمات.. هذا جنون!

أحاطت «ثيودورا» كتفيها بذراعها وقالت:

ـ هذا هراء، تعالى إلى الداخل يا «نييلي» وسوف يحضر «لوك» شيئاً ما لإزالتها به.

ـ لكن.. لماذا أنا؟! هذا جنون!

أودع الدكتور «إليانور» في حجرة الاستقبال وأغلق الباب خلفها، بينما حاول «لوك» إزالة الكلمات بمنديله القماشي.

قال الدكتور لـ«إليانور»:

ـ الآن، استمعي لي.. ليس معنى أن المكتوب هو اسمك أن...

ـ هو يعرف اسمي! أليس كذلك؟ يعرفه!

ـ أصمتني.. كان من الممكن أن يكتب أي اسم من أسمائنا، هو يعرف أسماءنا جميعاً..

- «ثيودورا».. هل أنت من كتب العبارة؟ أخبريني، لن أغضب..  
ربما كانت مجرد دعابة لارعاي.

نظرت إلى «ثيودورا» بعينين واسعتين ثم للدكتور.

- أنت تعرفين أن أحدنا لم يفعلها..

دخل «لوك» ماسحاً كفيه في منديله، التفتت إليه «إليانور» هاتفة:

- «لوك».. أنت من كتبتها؟ أليس كذلك؟ عندما خرجت.

جلس «لوك» على مسند مقعدها ممسداً شعرها وقال:

- هل تريدين أن أكتب اسمك على الحواشي والأشجار وقصاصات الأوراق؟ «إليانور».. لا يا سيدتي؛ فذوقى أرقى من هذا.

- إذا لماذا أنا؟

نقلت «إليانور» مرة أخرى عينيها بين وجهه ثلاثة في حيرة:

- هل فعلت شيئاً بمحنة انتباه المنزل أكثر مما فعلتموه؟

مستندة إلى إطار المدفأة، قالت «ثيودورا» في شرود:

- بالطبع لم تفعلي.. ربما.. ربما كتبتها بنفسك!

صاحت «إليانور» في غضب:

- أظنين أنني أحب أن أرى اسمي مكتوباً على تلك الحواشي الكريهة؟  
هل تظنين أنني أحب أن أكون مركز الاهتمام؟ لست طفلاً لا هيأة، لن أثير شكوكاً تجاهي بفعل كهذا..

- العبارة تطلب المساعدة، ألم تلحظي هذا؟ ربما كانت تلك من الروح المعدية للخادمة الصغيرة وقد وجدت وسيلة للتواصل أخيراً.  
ربما كانت تتضرر شخصاً كثيراً، خجولاً..

- ربما وجهت العبارة لي لأنني أكثر قابلية لمساعدتها منك، أيتها الأنانية. لدى من التفهم والتعاطف ما...  
قاطعتها «ثيودورا» في تحدّ:

- وربما كثيراً أنت بنفسك!

نأى دكتور «مونتاجيو» و«لوك» بأنفسهما في ركن قصي، شأن من يشاهد امرأتين تناطihan. إلا أن الوضع تطلب في النهاية تدخلًا منها، فتقدم «لوك» خطورة قاتلاً:

- كفى يا «إليانور»..

عوت «إليانور» كحيوان جريح:

- كيف تحرئين؟ كيف؟!

ضحك الدكتور «مونتاجيو»، فنظرت إليه ثم إلى «لوك» الذي كان يبتسم ويحدّق بها. ما الذي يحدث لي؟ أعتقد أنهم يظنون أن «ثيودورا» استفزتني عن عمد حتى لا أخاف. من المخزي أن يتم خداعي هكذا.

غطت «إليانور» وجهها بكفيها وانهارت على كرسيها.

- «نيل» يا عزيزتي.. أنا آسفة.

يجب أن أقول شيئاً، يجب أن أريحهم أنني أمنع بروح رياضية، دعهم



يظنوا أنني أشعر بالخجل من نفسي..

- أنا آسفة، كنت فقط خائفة.

قال الدكتور «مونتاجيو»:

- بالطبع كنت خائفة..

يا الله من رجل بسيط شفاف، يؤمن بأشياء سخيفة للغاية، يؤمن أن «ثيودورا» صدمتني لأنخرج من هيستيرتي.

ركعت «ثيودورا» جوار كرسي «إليانور» وهمست:

- كنت أظن أنك ستبدين في الصراح، لو كنت مكانك لفعلت.  
لكتنا لم نستطيع أن نترك تنهارين.

لا يمكنكم أن تدعوا أي شخص آخر يقف في مقدمة المسرح سوى «ثيودورا». لو كانت «إليانور» الدخيلة، فلتكن كذلك وحدها.

ربت «إليانور» على رأس «ثيودورا» في رقة وقالت:  
- أشكرك، أعتقد أنني احتجت إلى ما فعلته.

- كنت أظنك أنت و«ثيودورا» سوف تتبادلان اللكمات، حتى  
أدركت ما كانت «ثيودورا» تخطط له.

قالها وهو ينظر إلى عيني «ثيودورا» اللامعتين..

عينان سعيدتان.. لكن ما تظنه لم يكن نية «ثيودورا» على الإطلاق.

## ٤٠

يمر الوقت بطيئاً كسولاً في «هيل هاوس». «إليانور» و«ثيودورا» و«لوك» والدكتور قلقون، محاطون بالتلال، حبيسون بيارادتهم داخل الحوائط الدافئة المظلمة للمنزل. يتناولون الوجبات التي تعدّها السيدة «دللي» ببراعة معاً، يتحدثون ويلعبون الشطرنج معاً. انتهى الدكتور من قراءة رواية «باميلا»، وبدأ رواية أخرى. حاجة إلى انفراد كلّ بنفسه دفعتهم إلى المكوث في حجراتهم لساعات من دون إزعاج.

قام «لوك» و«ثيودورا» و«إليانور» باستكشاف الأحراش حول المنزل، ووصلوا إلى المنزل الصيفي الخشبي، بينما كان الدكتور يجلس على العشب على مسمع ومرأى منهم، يكتب.

وَجَدُوا حانطًا من الأزهار وحديقة خضراءات يعني بها بالطبع «الدليل». تحدثوا عن تنظيم نزهة لهم عند الجدول.

كانت هناك بعض الفراولة البرية عند المنزل الصيفي، ملؤوا منها سديلاً قماشياً وعادوا لاتهامه بجوار الدكتور، ملوثين أصابعهم وأفواههم بالأطفال.

جلس الدكتور «مونتاجيو» يراقبهم وهو يعلم ما فرأه من ملاحظات فجول كتبها بشأن مشاهداتهم في «هيل هاوس»، ثم وضع الأوراق في حافظته.

في الصباح التالي، الصباح الثالث لهم في «هيل هاوس»، قام الدكتور، بمساعدة «الوك»، بمحاولة امتدت نحو ساعة لقياس أبعاد المنطقة شديدة البرودة أمام حجرة الأطفال، مستخدماً شريط القياس والطباشير. جلس «إليانور» و«أثيودورا» على أرضية الردهة، تكتبهان ما يمليه الدكتور من قياسات.

العجب أن الترمومتر الذي وضعوه في متصرف البقعة الباردة رفض أن يسجل أرقاماً غير التي سجلها في باقي المنزل، ما جعل الدكتور يثور، فكيف إذاً قاسوا فرق إحدى عشرة درجة في كنيسة «بورلي»؟! في النهاية دون ملاحظاته في دفتره، ثم نزل الجميع ليتناولوا الغداء. تحدثهم الدكتور في لعب الكروكيه عند العصر.

- كم هو سخيف أن نمضي جل صباحنا تاركين تلك المروج كلها حولنا محاولين قياس بقعة باردة لعين. يجب أن تقضي وقتاً أطول في ذلك العالم خارج المنزل.

سألت «إليانور» في حيرة:

- ألا يزال هناك عالم في الخارج؟ أعتقد أن السيدة «ددي» تذهب إلى مكانٍ ما في بُعد آخر كل ليلة وتعود محملة بكل تلك الكريمة التي تضيّفها للحلوى. لا يوجد مكان حولنا تشتري منه تلك الأشياء.
- نحن في جزيرة مهجورة.
- لا أستطيع تخيل عالم آخر سوى «هيل هاوس».
- السيدة «مونتاجيو»، زوجتي، ستكون هنا يوم السبت.
- متى يوم السبت؟! لقد فقدنا الإحساس بالأيام.
- تمَّنَّى دكتور «مونتاجيو» ألا تكون زوجته قد تخيلت وجود أمور معاوِرائية أكثر مما يحدث هنا.
- يوم السبت هو يوم بعد غد، وبالطبع سنعرف أنه السبت من وصول السيدة «مونتاجيو» فيه!
- قالت «ثيودورا» وهي تتبع عيني السيدة «ددي» الثاقبتين وهي تجمع الأطباق:
  - لماذا هذا الهدوء كله؟ هذا أسوأ من أن يحدث شيء ما. يُرهقني الانتظار.
  - لست أنت من تنتظرين، المنزل ينتظر وقتاً مناسباً للهجوم.
  - يتضرر أن نشعر بالأمان التام ثم ينقض.

نظرت «إليانور» نحو الدرجات المظلمة وقالت مرتجفة:



- ترى كم من الوقت سيتظر؟

صعد الجميع إلى الردهة العلوية تسبقهم «ثيودورا». كانت الردهة مضاءة بفعل باب حجرة الأطفال المفتوح الذي تسلل منه الضوء حتى من خطوط الط碧شور على الأرض.

- سأخلد للنوم، لم أشعر بكسيل كهذا طيلة حياتي.

قالتها «إليانور»، فأضافت «ثيودورا»:

- وأنا سأشتلق قليلاً وأحلم بالسيارات والشوارع.

أصبح من عادة «إليانور» أن تتردد قليلاً على عتبة باب حجرتها، تتلفّت حولها مرات قبل أن تفتح الباب وتدخل. وعندما تدخل فهي تتجه مباشرة إلى النافذة وتفتحها.

اليوم كانت في متصف طريقها للنافذة حين سمعت صوت باب «ثيودورا» يُغلق ثم يُفتح ويُغلق مرة أخرى، سمعت صوت «ثيودورا» يناديها برفق من الردهة. خرجمت «إليانور» تتساءل:

- ماذا هناك؟

نظرت «ثيودورا» من خلف كتفها إلى باب حجرتها وقالت:

- ماذا تظنين كنهه يا حقاء؟

لم تغفر «إليانور» وصفها بالحمق هذه المرة، لكنها واصلت التحديق في الباب. كان يبدو كطلاء لكنه ليس كذلك.

- إنها دماء.. دماء تُغرق الباب، ألا ترينها؟

- بالطبع أراها، وهي بالطبع لا تغرق الباب، لا تبالغ.

على مر الأيام الفائتة، لم تبالغ «ثيودورا» إلا نادراً. فكانت «إليانور» في احتفالية أن تنهر «ثيودورا» ويصير وافياً حاجة لإنقاذهما. دعت الله ألا تكون تلك المهمة على عاتقها، وألا تكون «ثيودورا» هي التي... ثم سالت «ثيودورا»:

- المزيد من الكتابة على الحوائط؟

- نعم يا عزيزتي، ولا أعرف كيف فعلتهما.

- لا تكوني سخيفة، نادي «لوك» والدكتور.

- أليس من الأفضل أن يكون هذا سراً بيننا، مفاجأة صغيرة لي؟

ثم أفلتت من «إليانور» التي كانت تحاول أن تمنعها من دخول غرفتها، وفتحت خزانة ملابسها صائحة:

- ملابسي.. ملابسي!

ابتعدت «إليانور» ووقفت جوار السلم منادية «لوك» والدكتور. لم يكن صوتها عالياً، وحاولت قدر الإمكان المحافظة على ثبات نبرته. لحظات ثم سمعت أصوات أقدام «لوك» والدكتور يهرعان إليها صاعدين الدرج.

راقبت «إليانور» القلق تحت ملامحهما الواثقة، بدا وكأنهما يترقان إلى الاستغاثة بأحد.

- «ثيودورا» منها، أحدهم تسلل وخضب بابها بطلاء آخر، وكذلك ملابسها.

هرول الجميع وخلفهم «إليانور» نحو غرفة «ثيودورا»، ولدهشتها وجدت «إليانور» نفسها تبتسم.

كانت «ثيودورا» تبكي وتركل الخزانة في غضب، محتضنة قميصها الأصفر المفضل الملطخ بالأحمر، أما باقي ملابسها فكانت متزوعة من حرواملها، عمزقة في كومة على الأرض مخضبة بالأحمر.

تساءل «لوك»:

ـ ما هذا؟!

هز الدكتور رأسه وأجاب:

ـ أكاد أقسم إن هذه دماء، لكن للحصول على هذه الكمية كلها يجب أن...

قطع الدكتور عبارته شارداً. وقف أرباعتهم يحملقون في المكتوب على رأس فراش «ثيودورا»:

ـ ساعدوا «إليانور» لتعود إلى بيتها.

كانت العبارة مكتوبة بخطٍّ مرتعش وباللون الأحمر. قالت «إليانور» لنفسها: الآن أنا مستعدة لدور البطولة.

ـ أحضروا «ثيودورا» لغرفتي، أبعدوها عن هنا.

قالت «ثيودورا» وهي بعد تنهي ملابسها:

ـ انظر يا دكتور، ملابسي دُمرت..

كانت الرائحة فظيعة، الدماء تسيل على الحائط تحت العبارة المكتوبة،

ومنها تمتد في لطخة طويلة إلى الخزانة. قطرات مسودة تلوث البساط الأخضر تحت أقدامهم.

- هذا مثير للشجار، لتنقل «ثيودورا» إلى غرفتي.

قاد الدكتور و«لوك» «ثيودورا» عبر الحمام المشترك إلى غرفة «إليانور»، بينما تسمّرت «إليانور» أمام العبارة فرق فرائش «ثيودورا».

لا يمكن أن يكون هذا دمًا، لا بد أنه طلاء... لا بد...

في صوت مسموع تساءلت:

- لكن، لماذا؟

على الحواشي كتب اسمها، هل من الممكن أن تكون قد فقدت توازنها إلى هذا الحد؟ عاد الدكتور من غرفة «إليانور» فسألته:

- هل هي بخير الآن؟

- ستتحسن سريعاً، لكن وجب عليك بالفعل أن تنقليهما إلى غرفتك. لا أظن في استطاعتها أن تحمل المبيت في غرفتها وهي بهذا الشكل. أظن أن وقتاً طويلاً سيمر حتى تستطيع أن تفتح باباً بمفردها.

- يمكننا أن تشارك الملابس أيضاً.

- بالتأكيد إن لم تمانعي. أعتقد أن تلك العبارات تصايقك أكثر مما تصايق أحدنا؟

حاولت «إليانور» أن تفهم مشاعرها الخاصة وهست:

- عبارات سخيفة. لا أنفك أحلق فيها وأتساءل: «لماذا»؟ أعني:



لبدو كدعاية ما لا أفهمها. كان عليَّ أن أرتعب أكثر مما أنا عليه، لكتني بالفعل لاأشعر بالخوف، الأمر أفحظ من أن يكون حقيقياً. كنت أفكِّر في طلاء الأظفار الأحمر الخاص بـ«ثيودورا»..

ضحكَت «إليانور» فرمقها الدكتور في حدة.

- يمكن أن يكون طلاء، أليس كذلك؟

لا أستطيع التوقف عن الحديث، ما هذا الهراء الذي أقول؟

- لا أستطيع أخذ الأمر بجدية بعد أن رأيت «ثيودورا» تبكي بهذا الشكل الطفولي على ملابسها، وتهمني أنا بالكتابة على الحوائط. ربما ساعتاد على اتهامها لي بكل شيء.

- لا أحد يلومك على أي شيء.

شعرت «إليانور» أن كلمات الدكتور توبخ لها، فقالت ساخرة:

- أتخى أن ترقى ملابسي لذوقها.

تلفت الدكتور حوله، ثم مد إصبعه يلمس تلك اللطخات على الحوائط، وتشمم قميص «إليانور» الأصفر:

- سأعاين وأكتب وأصف كل شيء هنا، لكن ربما غداً..

- يمكنني أن أساعدك.. الوضع مقرن، لكنه لا يجيفني.

- من الأفضل إغلاق الغرفة الآن. لا نريد أن تأتي «ثيودورا» إلى هنا مرة أخرى حتى أدوُّن ملاحظاتي، ولا أحب أيضاً أن تدخلها السيدة «ددلي» لتزيل آثار كل شيء في سويعات.

راقبت «إليانور» دكتور «مونتاجيو» وهو يغلق باب الحجرة المؤدي إلى الردهة من الداخل، ثم عبر إلى حجرة «إليانور» من خلال الحمام المشترك الذي أغلق دكتور «مونتاجيو» بابه جيداً أيضاً.

- سوف أرى إن كان في إمكاننا نقل فراش آخر إلى هنا. «إليانور»، أنا سعيد أنك حافظت على توازن أعصابك.

ردت «إليانور» متشائمة بكلام دكتور «مونتاجيو»:

- قلت لك، الأمر لا يخفى، فقط يثير اشمئزازي.

التفتت «إليانور» إلى «ثيودورا» الراقدة على فراشها، وكانت يدا «ثيودورا» مخضبتين بالأحمر وراحت تسحبهما في وسادتها. قالت «إليانور» في صوت مبحوح وهي تتقدم من الفراش:

- سستستخدمين ملابسي حتى تحصلي على ملابس جديدة أو تنظفي ملابسك.

- أنظفها؟ أنظفها؟

تقليب «ثيودورا» في الفراش واضعة كفيها على عينيها.

- بحق السماء، دعيني أنظف يديك.

لم تشعر «إليانور» قط باشمئزاز كالذي تشعر به الآن. هرعت إلى الحمام وعادت بمنشفة مبللة وراحت تمسح كفي «ثيودورا» ووجهها بخشونة.

- أنت ملوثة تماماً بهذه القذارة.

كانت تكره أن تلمس «ثيودورا». فجأة ابتسمت الأخيرة قائلة:

- لا أظن أنك من فعلها، يالي من حقاء.

كان «لوك» ينظر إليهما، فضحك، وضحكـت «ثيودورا».

- سوف تبدين جميلة في معطف «إليانور» الأحمر.

«ثيودورا» شريرة.. شريرة ومتوحشة وقدرة.

عادت «إليانور» إلى الحمام ووضعت المنشفة المتسخة في الماء، وعندما

عادت سمعت «لوك» يقول:

- فراش آخر هنا.. ستتشاركـان حجرة واحدة من الآن فصاعداً.

- ستـشارـكـ الحجرة والملابس أيضاً.. سنكون توأمـتين فعليـاً.

- أبناء عمومة.

قالـتها «إليانور» فـلم يـسمـعـها أحدـ.

## ٢١

قال «لوك» وهو يدير كأس النبيذ بين راحتيه:

- كان من الطقوس المهمة للجلادين أن يضعوا علامات بالطشور على بطون المحكوم عليهم بالإعدام، لتحديد أماكن الـ...

أريد أن أضرب رأسها بعصا، أو أمطرها بالأحجار.

كانت «إليانور» تحدق في رأس «ثيودورا» على الكرسي المجاور لها.

- بالطبع كان ذلك التنميق معذبًا للضحية، إن كانت من النوعية التي تدغدغها لمسات الطشور.

أكرهها، تشير اشمئزازي، تلك النظيفة الفاتنة التي ترتدي سترى الحمراء.

- عندما كان الإعدام يتم عن طريق التعليق بسلاسل، كان الجلاد...

- «نيل» ..

نظرت «ثيودورا» إلى «إليانور» باسمة وأردفت:  
ـ أنا حقاً آسفة..

لعلماً وددت أن أراها ميتة..

ابتسمت «إليانور» بدورها قائلة:

ـ لا تكوني سخيفة.

ـ عند بعض الصوفيين رأّعم بأن العالم لم يخلق؛ لذا فلا يمكن تدميره.  
الله قضى فترة ما بعد ظهيرة اليوم في المكتبة أطالع تلك الموضوعات.

قال الدكتور:

ـ لا مزاج لي للعب الشطرنج اليوم. لقد كان يوماً مرهقاً. أعتقد  
أنكِ يا سيدتي تحتاجان إلى الراحة.

ـ ليس قبل أن يذهب النبيذ عقلي فلا أذكر ما حدث لي.

ـ الخوف هو التخلّي عن التعقل، أن نتخلّى بيارادتنا عن المنطق،  
نستسلم للخوف أو نهزمه، لا يمكننا أبداً أن نقبل معه أنصاف الحلول.

فكرت «ثيودورا» في كلام الدكتور وهي تجرب ما تبقى في كأسها.

قالت «إليانور»:

ـ كنت أتساءل منذ قليل.. كنتأشعر أنتي هادئة تماماً أغلب الوقت،  
فِلَمَ الآن أشعر أنتي في قمة الذعر؟!

قطبت «إليانور» جينها، بينما انتظروها كي تكمل حديثها.

ـ عندما يتطلّكي الخوف، أرى بوضوح الجانب المتعلّق الرائع من

العالم. أرى المناضد والمقاعد والنواخذ كما اعتدتُ أن يكونوا. إلا  
نسيج البساط لا يتحرك من مكانه، وأعرف ألا شيء يستحق الخوف  
– أعتقد أنت تخاف أنفسنا.

قال «لوك»:

- تخاف أن نرى أنفسنا بلا أي خداع أو تنكر.
- تخاف أن نعرف ما تريده حقاً.

قالت لها «ثيودورا» وهي تمس بخدعها كف «إليانور». سجّلت «إليانور»  
كافها سريراً مشمّزة من مجرد لسها.  
– دوماً أخاف من أن أبقى وحيدة..

هل حقاً أتفوه بهذه الكلمات؟ هل سأندم على ما أقوله غداً؟  
– تلخص الكلمات التي شكلت اسمي على الحوائط تبدو مألوفة جداً  
ولا أحد سوى يشعر بهاأشعر به تجاهها.

نظرت لهم في استجداء وأردفت:

– حاولوا أن تفهموني، إنه اسمي، اسمي.. يستخدمه شيء ما ويكتبه  
وينادي بي.. اسمي!

توقفت عن الحديث ببرهة، تنقل ناظريها بين وجوه «لوك» والدكتور،  
وحتى «ثيودورا»:

– ثمة «إليانور» واحدة، لا أملك سواها.. إحساس مريع أن أرى  
نفسي تنقسم وتتشتت فلا أملك سوى نصف تعقلي، بينما يضيع النصف

الآخر في الدعوه والانقياد ولا أملك شيئاً لإنقاذه، لكن... لكتني أعرف  
أني هنا لن يؤذيني، على الرغم من مرور الشواني والدقائق، لا يخيفني  
أن يبعض الوقت، فلدي دوماً فرصة للإسلام و... .

فاطعها دكتور «موتاجيو» في حدة أفرغت «إليانور»:

ـ الاستسلام؟!

ـ دكتور «لوك»:

ـ الاستسلام؟!

ـ لا أعرف..

ارتبتكت «إليانور» للحظات. كنت أتحدث.. ماذا كنت أقول؟

ـ آسفة.. هل بذلت حمقاء مرة أخرى؟

ـ أبداً.. أكمل شرابك.

ـ شرابي؟

نظرت «إليانور» إلى ما في كفها وأدركت أنها تمسك بكأسٍ من النبيذ.

ـ ماذا كنت أقول؟

ضحكَت «ثيودورا» قائلةً:

ـ أشربي.. تحتاجين إلى الشرب يا عزيزتي.

في طاعة، رشقت «إليانور» من كأسها شاعرةً بالطعم الحارق، ثم

قالت للدكتور:

- لا بد أنني تفوهت بترهات مرة أخرى. يبدو ذلك على وجوهكم  
الداهشة.

- لا تخاولِي أن تكوني مركز الانتباه يا عزيزتي «إليانور».  
ضاحك دكتور «مونتاجيو»، فتبعه «لوك» قائلاً:

- إنه الزهو.. الغرور..  
- عليها أن تظل تحت الأضواء.  
ثم نظر إليها الجميع في محبة.

## ٢٣

مدت «إليانور» كفها نحو «ثيودورا» لتلقي الكفان في منتصف المسافة بينهما. قبضت «إليانور» على كف رفيقتها، وتشبت.

من الحجرة المقلقة المجاورة، التي كانت حجرة «ثيودورا» صباحاً، تسامى إلى مسمعها أصوات حديث مدغم مكتوم. حديث لا يمكن فهمه أو تجاهله.

أطبقت «إليانور» على كف «ثيودورا» حتى شعرت بعظاميهما تندجان. سمعت الأصوات التي تتراوح بين حديث صارم واثق، وأنفاس متهدجة خافتة.. ثم، بلا تمهيد، سمعت ضحكة، ضحكة كأنها تصدح تحت الماء نافثة فقاعات الهواء. أخذت الضحكة تتعالى وتعالى حتى انتهت فجأة بشهقة عالية.

راحت قبضة «ثيودورا» تُطبق على كف «إليانور» التي تراحت لثوانٍ بعد صمت الأصوات. فتحت «إليانور» عينيها فجأة ناظرة إلى حيث

ترقد «ثيودورا» على الفراش المجاور.

لِمَ هذا الظلام كله؟ لِمَ هذا الظلام كله؟

انقلبت «إليانور» على جنبها وأمسكت كف «ثيودورا» بكلتا كفيها، حاولت الحديث فلم تستطع. استجمعت تفكيرها واستعادت آخر ما فعلته الليلة.

لقد تركنا النور موقداً قبل أن نستلقى، فلِمَ هذا الظلام كله؟ حاولت «إليانور» أن تهمس بشيء لرفيقتها، لكن شفتيها ظلتا مطبقتين، كانت تريد أن تسأل عن سبب هذا الظلام كله.

عادت الغرغرة والضحك مرة أخرى، ثم صوت الحديث الخافت المستمر. خطر لـ«إليانور» أن في استطاعتها أن تسمع كلمة مفهومة لو ثبتت في مكانها بلا حراك.

أنصت وأنصت، استمر الصوت ثابتاً، لكنها لم تفهم شيئاً. تشبت بكف «ثيودورا» مستغية، فأجابت رفيقتها استغاثتها بإحكام الإمساك. بعد ذلك، عادت الضحكة الرنانة وأغرقت في أمواج جنونها أي صوت آخر، تبعها صمت مطبق.

سجّلت «إليانور» شهيقاً طويلاً وتساءلت لو أن بإمكانها الحديث الآن، لكنها سمعت صوت بكاء فتّت قلبها، بكاء ضعيف حزين.

إنه طفل، طفل يبكي في مكان ما!

عصف بها صوت مفاجئ لا تستطيع وصفه، صوت لطالما تكرر في كوايسها. سمعت الطفل يصرخ وينهنه:

.. ابتعد.. ابتعد.. لا تؤذني.. لا تؤذني.. انركني أعود إلى بيتي..  
لم عاد صوت البكاء المخزين مرة أخرى. لا أستطيع أن أحتمل أكثر.  
هذا الوحش يؤذني طفلاً، لن أسمع لأي شيء كان أن يؤذني طفلاً.  
استمر النحيب يعلو وينخفض كأنها للأبد. حاولت «إليانور» أن  
أوجه تركيزها نحو مكانها، الفراش وكف «ثيودورا» المطبقة على كفها  
حتى لتشعر بكل عظامها الدقيقة.

لن أحتمل هذا كله. يظن أنه سيخيفني؟ حسناً، لقد نجح.. بالفعل  
الشعر بالفعل.. أنا بشر، أنا إنسان ذو مشاعر وعقل، والخوف لن يمنعني  
من منع تعذيب طفل. سافتح فمي وأصرخ، وأصرخ..

- كفى.. توقف!

صرخت، وعاد النور ليضيء أرجاء الحجرة. كانت «ثيودورا»  
جالسة في فراشها فزعة تمسح آثار النور من على وجهها، تحملق في  
وجه «إليانور»:

- «نيللي».. ماذا حدث؟

انقضت «إليانور» وقفزت واقفة في ركن الحجرة، تحملق في كفيها  
وترتعد:

- يا إلهي.. يا إلهي! يد من تلك التي كنت أطبق عليها؟!





لا، لا أفهم ولن أفهم. لن أتركك تلاعب بمشاعري بتلك الطرق  
الرخيصة.. التعاطف. هذا الرجل مجرد بيغاء متكبر. سأخبره أنني لا  
أتفهم أو ضاععاً كذلك، ولا يجد للتعاطف منفذًا لقلبي. لن أجعل من  
نفسي أضحوكة وأشجعه على الاستمرار في السخرية مني.

- بالطبع أتفهم.

- هكذا ظنت.

وَدَتْ «إليانور» لو تصفعه..

- لطالما رأيتك شخصاً طيب القلب يا «نيللي»..

وأضاف مفسداً ما قال:

- شخصاً لطيفاً، صادقاً.. عندما تعودين إلى بيتك...

تردد قليلاً في إكمال عبارته، ظنت «إليانور» أنه إما سيقول شيئاً مهياً  
للغاية، وإما أنه فقط يكسب وقتاً حتى ينهي حديثه في أقرب فرصة.

لم تحدث عن موضوع أمه الآن؟ هل يظن أن التعاطف سيجعلني  
أرمي نفسي بين ذراعيه؟ هل يظن أنني غير قادرة على التصرف كسيدة  
عاقلة في مواجهة مشاعرها؟ ماذا يظن بي وبمشاعري حقاً؟ هل يشعر  
بالأسف من أجلي؟

تنتهي الرحلة بلقاء الأحبة..

- لم يكن لدى أمّ كما أخبرتك، وقد أدركت أن لكل شخص ميزة  
افتقدتها. أنا أناي، أعلم ذلك.. و كنت أبحث عن تنهرني و تطلب مني  
أن أحافظ على تصرفاتي.. أن تكون مسؤولةيتها تربطني.

بالأنانية! الرجل الوحيد الذي جلست أحاديثه وحدنا يصيّني بالملل  
ويبدو غير مهمٍ بذلك.

- لماذا لا تربِّي نفسك؟

تساءلتُ عن عدد الأشخاص، أو تحديداً عدد النساء اللاتي سأله  
السؤال نفسه من قبل.

- أنت ذكية..

وعن عدد المرات التي أجاب فيها الإجابة نفسها.

كان الحديث تلقائياً بشدة، ردت في رفق:

- تبدو كشخص وحيد للغاية..

كل ما أريده أن يحبني أحدهم.. ها أنا أبدو حقاًءاً أتفوه بترهات  
 أمام شخص أناي كهذا.

- لا بد أنك وحيد بالفعل..

لمس كفها وابتسم مرة أخرى ددلي..

- أنت محظوظة لوجود أم في حياتك.

## ٢٤

- وجدته في المكتبة.. أقسم إني وجدته في المكتبة!
- صاح «لوك» مسحًا بكتاب ضخم وأضيقاً إياه على المنضدة.
- رائع.
- قرأ دكتور «مونتاجيو» عنوانه بصوت عالٍ:
- لقد صنع الكتاب بنفسه، اسمعوا عنوانه الذي كتبه يدوياً بالحبر:
- مذكريات، إلى «صوفيا آن لستر كرين». إرث التعليم والتنوير الذي تلقته خلال حياتها على يد والدها الحبيب المخلص «هيرو ديزموند لستر كرين». في الحادي والعشرين من يونيو ١٨٨١م.
- تجمّع أربعةٌ حول المنضدة، وفتح «لوك» أول صفحة في الكتاب:
- انظروا، هذا الكتاب جمّع من قصاصات لكتب شهيرة ملصقة على الصفحات.

- يالغورو الإنجاز البشري! تخيلوا عدد الكتب المهمة التي مزقتها «أثرين» ليصنع هذا الكتاب! والآن، قصاصة تحمل رسماً موحشاً للرسام «جوريا»، يالها من لوحة يضعها أب في كتاب لابنته!

- تحت تلك الصورة الكريهة كتب: مجدي أباك وأمك يا بنيتي، اللذين كتبوا مصيرك وكيفية موتك. وتحت وطأة مسؤوليتها الثقلية، قاداً استهلاكاً عبر الطريق الموحش المحصور بالمضلات إلى النعيم الأبدي، وأسلماً روحًا طاهرة تقية لرب العالمين.

تفكرَّي يا بنيتي في نعيم الجنة، تلك التي تخلق فيها أرواح المتقين عالياً، أولئك من حاربوا الفسالة وانتصروا للحق والطهر.

شهقت «إليانور» وهي ترى ما انكشفت عنه الصفحة التالية، التي كانت تحوي لوحة لحفرة تملؤها الأفاعي بطول الصفحة. فوق اللوحة كتب بهاء الذهب درسه الثاني:

- العذاب الأبدي هو مصير البشرية. الدموع والتدمير لن تحمي نسلبني آدم من الخطيئة. يا بنيتي، أتاي بتنفسك عن هذا العالم بشهواته وفساده، يا بنيتي، احفظي نفسك.

قال «لوك» ضاحكاً:

- الصفحة التالية ليست لضعف القلوب..

- لن أنظر، لكن أقرأ لي.

أكَّدَ الدكتور كلام «إليانور» وأردف:

- خيراً قلت، تلك واحدة من رسومات «فوكس» التي تمثل طريقة

موت لن تخطر على بال أحدكم، من منكم يكره أن يموت شهيداً؟

- انظروا، لقد أحرق «كرين» زاوية الصفحة وكتب:

- بنيتي، لن تستطعي سوى أن تسمعي صرخات العذاب، واستجداه المغفرة، لأولئك المعذبين أبداً في السعير. ذلكم الذين تسيل أعينهم بهجير أرض الضياع. واحسرتاه على الذين في جهنم يخلدون بلا موت أبديٍّ.  
بنيتي، لقد مسَّ أبوك طرف تلك الورقة بلهيب شمعة، فتفحَّم الطرف جراء نار ضعيفة دنيوية، وكذا استفعل روحك في سعير الأبدية الذي لا يُحتمل.

- أراهن أنه كان يقرأ تلك الكلمات على مسامعها كل ليلة قبل النوم.

قالت لها «ثيودورا» متحضة.

- انتظري، أنت لم تري الجنة بعدًا انظري يا «نيل»، تلك لوحة للرسام «بلليك»، كثيبة نوعًا لكن بالتأكيد أفضل من الجحيم! اسمعوا:

- رباه، رباه، رباه.. لتتقَدَّس في ملوكتك. هكذا تنشد الملائكة في سماءات الفردوس، تسبِّحًا مُؤيدًا لا ينقطع. يا بنيتي، هنا، سوف أنتظرك.

- هذا الرجل مريض! كل تلك المحبة المشوهة، وال ساعات التي كان يقضيها في تقطيع وكتابة...

- والآن، الخطايا السابعة.. أعتقد أن رجلنا هو من رسماها بنفسه.

حدَّقت «ثيودورا» في الرسومات وتقلص وجهها.

- لقد وضع الرجل إبداعه كله في خطيئة شهوة الطعام، أعتقد أنني لن أجوع لفترة لا بأس بها.

- انتظري حتى ترى خطيئة الجنس، لقد تفوق على نفسه!

- لا أريد أن أرى أي شيء. سأجلس في هذا الركن مع «إليانور»، وإن صادفتكم فقرات مهمة تريان أنها ستغيبنا بمعرفتها أقرآها علينا.

- هذه خطيئة الجنس، هل يمكن لامرأة أن تتموضع في شكلٍ كهذا؟

اتسعت عيناً الدكتور «موناتاجيو» هائلاً:

- يا إلهي.. يا إلهي!

- لا بدّ أنه رسمها بنفسه.

- رسمها لطفلة؟!

- كتابه وهو حر فيها يراه.. خطيئة التكبر، لدى رسم يشبهك يا «إليانور».

- ماذا؟

قامت «إليانور» فزعة، ففضحوك الدكتور و«الوك».

- «الوك» يمزح، لا تأتي يا عزيزي، فقط يمزح.

- خطيئة الكسل..

- الحسد.. كيف تعايشت الطفلة مع مفاهيم كهذه؟

- الصفحة الأخيرة، الأفضل على الإطلاق. أعتقد أن هذا هو دم «هيyo كرلين» شخصياً. «نيللي»، هل تريدين أن تري دم «هيyo كرلين»؟

- لا، شكرًا..

- «ثيو؟ كلا؟ في هذه الحالة، أنا أصر، لأغراض علمية، أن نقرأ ما كتبه «هيyo كرين» في خاتمه كتابه:

- بنيتي، تُوثق الأحلاف المقدسة بالدماء، وأنا هنا ذرفت من رسغي السائل المقدس كي أوثق عهدي بك. بتقوى تحين، بوداعه. ليكُن إيمانك بالمسيح المخلص. وأعدك أن نجتمع أنا وأنت معاً في نعيم لا ينضب. اقبل نصائح أبيك المحب، الذي صنع لك هذا الكتاب ببروحه المتواضعة للخالق. ليبارك الرب كتابي ويوفقه إلى أن يخدم ما كُتب لأجله، وليرحمه حتى تلحق بي في الفردوس.

أبوك المحب، في الحياة الدنيا والآخرة، حامي فضيلتك «هيyo كرين».

ارتعدت «ثيودورا» قائلةً بصوت واهن:

- يبدو أنه استمتع بكتابه اسمه بدمه. أستطيع أن أتخيل ضحكته المجنونة.

- تلك فعلة لا تنم عن صحة عقلية أبداً.

- حسب معلوماتنا يا دكتور، فإن ابنته كانت صغيرة جداً حين غادر «كرين» المنزل. أشك أنه قد قرأه عليها.

- متأكدة أنه قد فعلها، متحنياً على مهدها يتحقق كلماته الشائهة في أذنيها لتثبت جذورها في عقلها الصغير.

صمتت «ثيودورا» لحظةً ثم أردفت:

- «هيyo كرين».. أنت عجوز قذر، يبني منزلًا عجوزًا قذرًا، وإن كنت تسمعني حيث أنت فإني أرى أن أخبرك أنني أتفقني أن تغضي

الأبدية في حفرة الأفاغي اللعينة التي وضعتها في كتابك، ولا توقف  
عن العذاب لحظة.

ساد تعبير مشمثز ساخر على وجه «ثيودورا»، وللحظات عمَّ الصمت  
وكانا يتظرون إجابة «كريين» على تلك الإهانة. انفلقت قطعة فحم في  
المدفأة فطار «لوك» من مقعده فزعاً.

قال الدكتور في راحة:

- لقد جاوز ارتفاع الشمس الصاربة، لاح النهار.

## ٢٥

في المساء التالي، تكُورت «ثيودورا» أمام المدفأة، تشاهد نقلات قطع الشطرنج. همست لـ«إليانور»:

ـ هل ستدعينه إلى شقتك الصغيرة، وتقدمين له الشاي في كوب النجوم الخاص بك؟

نظرت «إليانور» إلى النيران بلا إجابة. لقد كنت سخيفة وحقائق بما يكفي.

ـ «نيللي»، هل لديك متسع له في الشقة؟ هل سيأتي لو دعوته؟ لا يوجد شيء أسوأ من أن يبدو المرء أحق.

ـ ربما يتوقف «لوك» إلى بيت صغير، أصغر بالطبع من «هيل هاوس». أرجح أنه سيوافق أن يصحبك لشقتك بستائرها الملونة، وتماثلي الأسدية الحجرين...

فامت «إليانور» من مكانها، غير عابثة بالهمميات التي سرت حوالها، لا ترى إلى أين تذهب. شقت طريقها بوسيلة ما إلى الباب الرئيسي ومنه الليل الدافئ بالخارج.

الخوف والإحساس بالذنب أخوان.. لحقتها «ثيودورا». غاضبتين، هروحتين، صامتتين، غادرتا «هيل هاووس» جنباً إلى جنب.

كانت كلُّ منها تشفق على الأخرى، تخشاها، تغار منها. لم يخطر ببال إحداهما خطورة الابتعاد عن «هيل هاووس» في الظلام.

مطوية على يأسها، سارت كلُّ منها متذرعة في عباءة الظلام المحكمة الحانية، تعترم كلُّ منها الصمت حتى تكسره الأخرى أولاً.

تحديث «إليانور»؛ فقد صدمت قدمها بصخرة ومنعتها كرامتها من الإفصاح عن ألمها إلا بقولها:

ـ لا أعرف ما الذي أعطاكِ حقاً للتدخل في حياتي الخاصة!

حاولت «إليانور» استخدام أقل كلاماً عكنة كي لا تدخل في متأهة الحديث أكثر من اللازم وفضح ذعرها وتخبيطها.

لست غريبتين، بنات عمومة.. ربما؟

ـ واثقة ألا شيء مما أفعله يعنيك.

ـ أنت على صواب، لا شيء مما تفعلينه يعنيني.

كانتا تسيران كلُّ على جانب من الحاجز الخشبي الصغير في الحديقة. رأت «إليانور» أن لها الحق في العيش أيضاً، لقد أضاعت ساعة مع «لوك» جوار البيت الصيفي بلا جدوى.

- لقد جُرحت قدمي.

بدت «ثيودورا» صادقة في شعورها تجاه «إليانور»:

- أنا آسفة للغاية.. أنتِ تعرفين أن «لوك» متلاعب..

ثم ترددت قبل أن تضيف في لسة من الاستمتع:

- خليع..

- بالتأكيد لا تهمني أخلاقه في شيء.

ولأنهما امرأتان تشارجران، قالت «إليانور» منهية جملتها:

- وكأنك تهتمين بشائي.

- يجب ألا ينبع بفعلته يا «إليانور».

- أي فعلة؟

- أنتِ تجعلين من نفسك أضحوكة.

- لنفترض أنك مخطئة هذه المرة، بالطبع لن تسمحي لأحد أن يثبت خطأ ظنك.

ردت «ثيودورا» في تهكم وإنهاك:

- لو تأكينا وكتبت خطئتك، سأبارك قرارك من كل قلبي.. أيتها الحمقاء.

كانتا تسيران في الاتجاه المؤدي للجدول. تستشعر أقدامهما في الظلام انحدار الطريق تحتهما. تلوم كل منها اختيارها لوجهة قطعتها معًا في سعادة من قبل.

- أيا ما كان، لا يعنيك في شيء هذا كله، ولا يعنيك إن كنتُ أبدو  
حقام.

صمتت «ثيودورا» لبرهة، سارت في الظلام حتى انتفضت «إليانور»  
حين شعرت بكف رفيقتها على كفها.

- «أبيو»، لست بارعة في الحديث مع الآخرين..

- ما الذي تبرعين فيه إذا؟ الهرب؟

لم تتحدثنـا في شيء قاطع في ذلك الأمر، ولم يبقـ سوى هامش ضيق  
من الأمان جعلتهما تسيران على حافة سؤال لم تتطقهـ إحداهـما. «هل  
تحبـينـي؟».. سؤال لم يـسألـ ولم يـجـبـ ولا يمكنـ تجـاهـلهـ.

عانتـ ذراعـ «ثيودورا» ذراعـ «إليانور» في ظلامـ الطريقـ، حـمـيمـيةـ  
غير مـتوـقـعةـ بينـ اـمـرـاتـينـ اختـارـتاـ الجـفـاءـ مـعـاـ، انـعـطـفـ بـهـاـ الطـرـيقـ وـزـادـتـ  
كـآـبـتـهـ وـغـمـوـضـهـ فـلـمـ تـبـالـيـاـ.

شهـقـتـ «إليانور»، فـضـغـطـتـ «ثـيـودـورـا» عـلـىـ ذـرـاعـهـاـ كـيـ تصـمـتـ.  
تحـفـهـاـ الأـشـجـارـ منـ الجـانـبـينـ، تـحـتـضـنـ ظـلـامـ أـورـاقـهـاـ حتـىـ تـذـوبـ باـهـةـ  
فيـ سـوـادـ السـيـاءـ، وـلـمـ يـكـنـ سـوـىـ ذـلـكـ حـوـلـهـاـ.

اصـطـكـتـ أـسـنـانـ «إليـانـورـ»ـ وـازـدـادـ اـنـقـباـضـ كـفـ «ثـيـودـورـاـ»ـ عـلـىـ  
ذـرـاعـهـاـ. كـلـ خطـوةـ فيـ أيـ اـنـجـاهـ صـارـتـ عـبـئـاـ ثـقـيلاـ، وـكـأنـ نـقـلـ قـدـمـ أـمـامـ  
الـأـخـرـىـ عـمـلـ بـطـولـيـ.

دـمـعـتـ عـيـنـاـ «إليـانـورـ»ـ وـهـيـ تـحـدقـ حـوـلـهـاـ فيـ العـتـمـةـ، يـتـرـددـ فيـ ذـهـنـهـاـ  
فـقـطـ أـنـهـاـ مـرـتـعـةـ لـلـغـاـيـةـ.

كانت أطراف الأشجار تضيء بلون أبيض باهت، كذلك أكفها وأقدامها. غارقتين في كل هذا السواد والإضاءة الغامضة الشريقة، لم تجدا سوى المضي قدماً وكان السير هو العمل الوحيد المتاح لها.

الآنأشعر بالذعر.

تحرق الأفكار عقلها، بينما «ثيودورا» غارقة في صدمتها. كان الجو قارس البرودة وكانتا منقادتين إلى حيث يؤدي بهما الطريق المنعطف مضي الأشجار.

أمامهما عبر شيء أكثر بياضاً من الضوء الغامض، هل يرافق؟ هل ثمة ما يتحرك على جانبيها وسط الحشائش؟ ما مصدر صوت الخطوات الخفية حولهما؟

انتهى الطريق مفضياً إلى حديقة يغمرها ضوء الشمس الساطع. كانت ضحكات الأطفال تملأ المكان، ونبرة المحبة تصدح من أصوات الأب والأم.

الحشائش نصرة سميكه مزданة بالأزهار الحمراء والصفراء والبيضاء، النساء زرقاء بهية. طفل يرتدي رداء أرجوانياً يعدو ضاحكاً خلف جرو. تحت الأب والأم ملاءة منقوشة بالمربيعات الحمراء، يعلوها صحن فاكهة بألوان زاهية.

هرعت «إيلانور» نحو الحديقة وهي بعد لا تعرف لم فعلت ذلك. كانت تظن أنها ستتعثر في الملاءة أو تصطدم بالكلب.

- اجري يا «إيلانور»، لا تنظر إلى خلفك.. لا تنظر إلى خلفك!

عدت «ثيودورا» معها، لكن لم يكن حولها سوى الحشائش الخافة

السولة، تعثرت «ثيودورا» وسط الأحجار ورأت ما بدا لها كفنجان  
مكسور. وأمامها حائط أبيض مغلف بالنباتات المتسلقة الجافة  
التي راحت تخدش وجهيهما وتتشابك مع ملابسيهما كأنها مصيدة.  
سررت حتى بُعْض صوتها وهمما تنتفضان وتتلويان.

ظهرت أمامها بوابة حديدية مفتوحة دخلتا منها سريعاً لتجد أنفسهما  
وسط حديقة مطبخ «هيل هاووس» و«لوك» والدكتور يجريان نحوهما.

ـ ماذا حدث؟

ـ هل أنتما بخير؟

ـ كنا على وشك الجنون، خرجنا ببحث عنكما في كل مكان لساعات.

ـ كانت نزهة..

تهاوت «إليانور» على كرسي المطبخ تنظر إلى يديها وساقيها المخدوشة  
الدامية.

ـ حاولنا أن نخرج من ذلك المكان.. كانت نزهة.. كان الأطفال...  
مدت «إليانور» ذراعيها المجردتين أمامها وراحت ترتجف. ضحكت  
«ثيودورا» وبكت في آن واحد. ذاب جنونها في بداية حديثها الخفيض:  
ـ نظرت خلفي.. عدوت ثم نظرت خلفي..

ـ ثم ضحكت ثانية:

ـ الأطفال.. الجروا

احتضنت «ثيودورا» «إليانور» ونظرتا إلى «لوك» والدكتور غارقين  
في دموعهما ودمائهما، تدور بهما الحجرة ويتوقف الزمن، كما يفعل دوماً.

في عصر يوم وصول السيدة «مونتاجيو»، ذهبت «إليانور» إلى التلال خلف «هيل هاوس»، لا تنوي الذهب إلى نقطة محددة، فقط ذهبت لتبتعد عن الوجود الثقيل لـ«هيل هاوس».

وَجَدَتْ بِقُعَّةِ ذَاتِ حَشَائِشِ خَضْرَاءِ جَافَّةٍ فَاسْتَلْقَتْ، تَسَاءَلَتْ عَنْ أَخْرَى مَرَّةٍ جَلَسَتْ فِيهَا عَلَى عَشْبٍ هَكَذَا وَهَذِهَا.

قاطع وجودها رحلة الحياة والموت الطبيعية للأشجار والعشب،  
فالتفوا حولها عازمين على منحها ما يستطيعون؛ فهي كائن وحيد مخلوع  
الجذور، مكتوب عليه الانتقال من مكان لأخر للأبد.

بكسل، قطفت «إليانور» زهرة أقحوان ذابلة، أسلمت روحها بالكامل بين أناملها. رفعتها «إليانور» وراحت تحدّق في أوراقها الجافة التي نرّعّتها واحدة تلو الأخرى شاردة.

## ماذا سأفعل؟ ماذا سأفعل؟

قالت السيدة «مونتاجيو»:

- ضع حقائي في نهاية القاعة يا «آرثر». هل تظن أننا سنجد أحدهم لمساعدنا في نقل الحقائب للأعلى؟ «جون».. «جون»..

هرع دكتور «مونتاجيو» من نهاية الرواق عسّكاً بمنديله، وفبّل زوجته في أدب على وجهتها:

- عزيزتي، عزيزتي.. أنا سعيد بوصولك، لقد فقدنا الأمل أن تأتي.

- قلت إبني سأصل اليوم، أليس كذلك؟ هل تعرف أن من ديدني أخلاف مواعيدي؟ لقد أحضرت «آرثر» معي.

قال دكتور «مونتاجيو» فاقداً حاسمه:

- «آرثر»؟

- كان لا بدّ لشخص ما أن يقود السيارة إلى هنا. هل توقيعك أن

أقود تلك المسافة كلها بنفسي؟ أنت تعرف جيداً أن الطرق الطويلة  
ترهقني.. كيف حالك؟

التفت الدكتور مبتسمًا إلى «إليانور» و«ثيودورا» و«لوك» من خلفهما،  
الذين اصطفوا في مدخل القاعة.

- عزيزتي، هؤلاء هم أصدقائي الذين كانوا يقيمون معي في «هيل  
هاوس» الأيام الماضية. «ثيودورا»، «إليانور فانس»، «لوك ساندرسن»،  
غمغمت «إليانور» و«ثيودورا» بعبارة ترحيب ما، وهزت السيدة  
«مونتاجيو» رأسها قائلة:

- أرى أنكم لم تكتئوا لنا، لقد تناولتم العشاء من دوننا.  
- لقد يشتمنا من قدوتك.

- لقد أخبرتك أني سأصل اليوم.. ربما أكون مخطئة، لكنني أذكر  
جيداً أني أكدت لك حضوري اليوم. سأحرص على تذكر أسمائكم  
جيعاً قريباً. هذا الرجل المهذب برفقتي هو «آرثر باركر»، وقد أوصلني  
إلى هنا لأنني لا أحب قيادة السيارة بنفسي. «آرثر»، هؤلاء هم أصدقاء  
«جون». هل يمكن لأحدهم أن يتصرّف بشأن نقل حقائبنا للأعلى؟

تقدم «لوك» والدكتور مغمومين، وقالت السيدة «مونتاجيو»:  
- أود أن أقيم في أكثر حجرة تزعم أنها مسكونة، أما «آرثر» فيمكنه  
المكوث في أي مكان. الحقيقة السوداء حقيقتى أنها الشاب، وتلك الأخرى  
الصغيرة. ضعها في الحجرة المسكونة.

نظر «لوك» إلى الدكتور متسائلاً عن الحجرة المسكونة التي ذكرتها  
زوجته.

ـ حجرة الأطفال فيها أعتقد.. أعتقد أنها مصدر الظواهر الغريبة  
ـ (اهيل هاوسن).

زفرت السيدة «مونتاجيو» في ضيق قائلة:

ـ الا يمكن أن تكون أكثر منهجمة؟ أعتقد أنك أمضيت نحو أسبوع  
هاد من دون أن تفعل شيئاً باللوح! الكتابة التلقائية! لا أعتقد أيضاً أن  
واحدة من هاتين المرأةين تملك قدرة على الوساطة الروحية. آه، تلك  
هي حقائب «آرثر»، لقد جلب معه عصي الجولف، على سبيل الاحتياط.

سألت «ثيودورا»:

ـ الاحتياط من ماذا؟

التفتت السيدة «مونتاجيو» لها قائلة في برود:

ـ لا تدعوني أقاطع عشاءك.. أكمل طبقك..

قال دكتور «مونتاجيو» آملاً في أن يجد ما سيقوله استحسان زوجته:

ـ هناك بقعة شديدة البرودة عند عتبة باب حجرة الأطفال.

ـ نعم.. جميل.. هل سيرحمل ذلك الشاب حقائب «آرثر» للدور  
العلوي أم ماذا؟ يبدو أنكم في حالة يُرثى لها من التخبط هنا. كنت  
أتصور أن خلال تلك الفترة ستكون قد حصلت على أدلة كافية.. هل  
تجسدت أي كيانات أمامكم؟

ـرأينا أن هناك نوايا لل...

ـ حسناً، أنا هنا الآن، سأرتب كل شيء.. أين يوقف «آرثر» سيارتي؟

- هناك مرآب خلف المنزل حيث نحفظ سياراتنا. يمكنه أن يضعها هناك صباح الغد.

- هراء، لا أؤمن بتأجيل فعل ما وجب فعله. كما لا بد أنك تعرف يا «جون»، هناك الكثير ليفعله «أثر» في الصباح بالإضافة إلى عمل الليلة. يجب أن ينهي مسألة السيارة الآن.

- الليل حالك في الخارج يا عزيزتي.

- أنت تذهلني يا «جون»، أتظن أنتي أغفل عن أن الليل حالك في الخارج؟ للسيارة مصايبع يا «جون»، ويمكن لهذا الشاب أن يذهب مع «أثر» ليريه الطريق.

- شكرًا يا سيدتي، لكن لدينا هنا سياسة تجاه الخروج في الظلام يمكن لـ«أثر» أن يخرج إن كان يرغب في ذلك، لكنني لن أفعل.

قال دكتور «مونتاجيو» في صوت خافت:

- «لوك» محق. لقد واجهت السيدتان ليلاً ما يمكن أن...  
- هذا الشاب جبان.

قالها «أثر» واقفًا مع حقائبها وعصي البيسبول الخاصة جوار السيدة «مونتاجيو». كان «أثر» ذا وجه محمر وشعر أبيض. أردف «أثر»:

- يجب أن تخزني من قولك هذا أمام النسوة.

قال «لوك» في بساطة:

- النسوة خائفات كخوفي تمامًا.

قال دكتور «مونتاجيو» واضعاً كفه على عضد «آرثر» مهدتاً:

ـ بالتأكيد، بالتأكيد.. بعد أن تمضي وقتاً هنا يا «آرثر» ستجد أن بولف «لوك» أقرب للحكمة منه إلى الجبن. لقد اتفقنا على أن نمكث هنا بعد حلول الظلام.

ـ دعني أخبرك يا «جون» أنتي لم أتوقع أن تكون بهذا القلق. أنا أنتهي من الخوف في مواقف كهذه. تعرف أن أولئك الذين عبروا من هنا يتوقعون أن نتعاطف معهم، لا أن نخاف. ما يكمن في هذا المنزل يشعر خوفكم ويؤلمه هذا.

ـ يمكننا أن نتحدث عن هذا لاحقاً.

نظرت السيدة «مونتاجيو» ب جانب عينها إلى «إيلانور» و«أثيودورا» ثم قالت:

ـ بالتأكيد.. خسارة أنتا قد قاطعنا عشاءك.

ـ هل تناولت شيئاً؟

ـ بطبيعة الحال، لن نتناول شيئاً يا «جون». أنتا قلت إننا سنصل في موعد العشاء، ألم أقل ذلك، أم ترى أنتي نسيت ذلك أيضاً؟

فتح الدكتور «مونتاجيو» باب حجرة الصيد التي دلفوا منها إلى حجرة الطعام قائلاً:

ـ لقد أخبرت السيدة «ددلي» بقدومك، لقد قامت بإعداد وليمة رائعة.

ياليوس دكتور «مونتاجيو».

تحت «إليانور» عن الباب لتدع الرجل يعود زوجته إلى الداخل.  
يبدو قلقاً، لا أعرف إلى متى سيمكنه المكوث معها هنا.

تساءلت «ثيودورا» هامسة في أذن «إليانور»:

- ثُرِى إلى متى ستقيم هنا؟

- أتخيل أن حقيقتها مليئة بالـ«إكتوبلازم» ومخلفات الأشباح.

جلس دكتور «مونتاجيو» على رأس الطاولة وسأل زوجته:

- إلى متى تنوين الإقامة هنا؟

تذوقت السيدة «مونتاجيو» بطرف ملعقتها صلصة «الكبير» وقالت:

- حسناً يا عزيزي، لقد وجدتم طاهية ممتازة. تعلم أنه يجب على «آرثر» أن يعود إلى مدرسته؛ فهو الناظر هناك. وقد قام شاكراً باللغاء مواعيده حتى يوم الاثنين؛ لذا سنعود عصر يوم الاثنين ليكون «آرثر» في مدرسته صباح الثلاثاء.

قال «لوك» همساً لـ«ثيودورا»:

- لا بدّ أن تلامذته يقيمون الأعياد في المدرسة ابتهاجاً بالخلاص منه.

- يعجبني الطعام، سأتحدث إلى طاهيتك صباح غد.

- السيدة «ددلي» سيدة فاضلة.

قال «آرثر» مبتلعاً طعامه مخاطباً «ثيودورا»:

- أرى الطعام منمقًا بشكل زائد. أنا رجل أحب الطعام البسيط المألوف، لحم وبطاطس مثلاً. لا أشرب، لا أقرأ أعمالاً غير هادفة.

ـ أدهن .. يجب أن أكون مثلاً يُحتذى به للامتنى كما تعرفين.

ـ واثقة بأنك قد وتهם بالطبع.

ـ مد «آرثر» ذراعه ليقرب طبق الزبد، فالت السيدة «موتاجيو» عبر المائدة مخاطبة إياه بلهجه آمرة:

ـ لا تقل في الطعام يا «آرثر». أمامنا ليلة حافلة.

ـ سأل الدكتور:

ـ ماذا تخططين لفعله بحق النساء؟

ـ سأفعل ما لم تستطع فعله، تلك أمور تبرع النسوة فيها.. بالطبع لا أعني النسوة كلهن.

ـ نظرت إلى «إلياتور» نظرة ذات معنى، ثم أردفت:

ـ كلتاها لا تبرع فيها، أليس كذلك؟ بالطبع مستنكر يا «جون»، أنت بارع في إنكار حقائقني.

ـ عزيزقي...

ـ لا يمكنني الاستسلام لإهمالكم هذا. «آرثر» سيقوم بالحراسة، لهذا اخترته.

ـ وجهت حديثها «لوك» من دون أن تنظر إليه بشكل مباشر وأردفت:

ـ من النادر، كما تعلمون، أن يجد المرء من يعمل في مجال التدريس ويفهم الماورائيات كذلك. ستجدون أن «آرثر» كذلك ذو علم كبير في هذه الموضوعات.. سأقيم في تلك الحجرة المزعومة بجوار ضوء

خافت، وسأحاول أن أتواصل مع أيّ ما كان يسكن هذا المنزل.  
أستطيع النوم طالما وجدت أرواح مثقلة حولي.

هز «لوك» رأسه وصمت. قال «آرثر» في حاس:

- علينا القيام بواجباتنا بلا تردد أو خوف، دائمًا ما أقول ذلك  
لتلامذتي في المدرسة.

- دعونا نجرب جلسة باللوح بعد العشاء.. أقصد نجرب أنا و«آرثر»  
بالطبع، أما بقيةكم فأرجو أنكم غير مؤهلين لذلك. سوف تبعدون  
الأرواح. ستحتاج إلى غرفة هادئة.

اقترح «لوك» في أدب:

- المكتبة.

- المكتبة؟ ربما تصلح. الكتب حاملة جيدة للأرواح. دائمًا ما تتجدد  
الكيانات بشكل أفضل في الأماكن التي تحوي كتبًا. لا أذكر أي مرة  
حدث فيها تجسد في مكان بلا كتب. هل المكتبة نظيفة من الغبار؟ لدى  
«آرثر» حساسية منه..

- السيدة «دولي» تقوم بتنظيف المنزل كله جيداً.

- أود حقًا الحديث مع السيدة «دولي» في الصباح. سترينا مكان المكتبة  
بالطبع يا «جون»، وسيحضر هذا الشاب حقيقتي، الحقيقة الصغيرة.  
أحضرهالي في المكتبة. ستنضم إليكم لاحقًا بعد جلسة اللوح، وساحتاج  
بعد الجلسة كالعادة إلى كوب من الحليب وبعض الكيك، أو بسكوت  
ملح إن لم يكن ملحه زائداً. ساحتاج أيضًا إلى الحديث مع عقول ناضجة

لأنه أين مما سأصل إليه.. «آرثر»!

المنت بخفة لـ«إيلانور» و«ثيودورا» ثم خرجت برفقة زوجها «آرثر» و«لوك». بعد برهة قالت «ثيودورا»:

ـ لعجبني تلك السيدة!

ـ لا أعرف، «آرثر» أقرب لذوقي، بالإضافة إلى أن «لوك» جبان،  
ـ أليس كذلك؟

ـ «لوك» بائس، لم يكن لديه أمّ أبداً..

نظرت «إيلانور» إلى «ثيودورا» فوجدها تحملق فيها بابتسمة فضولية،  
ـ نظارت «إيلانور» مبتعدة عن الطاولة حتى إنها صدمتها فأوقيعت كوب  
ـ اللاتن.

ـ يجب ألا نمكث وحدنا.. لنلحق بالآخرين.

ـ خرجت «إيلانور» من الحجرة، تكاد تundo هاربة. ضحكت «ثيودورا»  
ـ ولدت خلفها حتى وصلتا إلى حجرة الاستقبال. كان «لوك» والدكتور  
ـ والفتين أمام المدفأة.

ـ لو سمعت يا سيدي، ما اللوح الذي تحدثت عنه السيدة زوجتك؟

ـ بلهاء.. آسف، الفكرة كلها تضايقني. لكن إن كانت تروق لها...

ـ التفت إلى النار ونكلز الخشب من تحتها بالمحراك في عصبية.

ـ اللوح هو شيء يشبه «الويجا»، يستخدم كنوع من أنواع الكتابة  
ـ التلقائية التي يزعمون أن الأرواح تكتبها لنقل معلومة ما إلى عالمنا،

محاولة للتواصل مع... مع كيانات غير مادية. حسب طريقتي العلمية، فإن تلك الكيانات موجودة فقط في أذهان من يحركون تلك الأداء، حسناً، فاللوح هو قطعة خشب صغيرة خفيفة الوزن، على شكل قلب أو مثلث، مع قلم مثبت في أسفل الطرف المدبب، وتحت الطرفين الآخرين عجلتان صغيرتان تساعدان اللوح على الانزلاق بسهولة فوق الورق.

يضع شخصان إصبعيهما فوقه ثم يسألانه أسئلة، فيتحرك اللوح بواسطة ما لا يسعنا مناقشته الآن، إلى حروف مكتوبة على الورقة من تحته مشكلاً إجابات ما. بالفعل اللوح هو نوع من أنواع لوحات «الويجا» المعتادة. رأيت أيضاً من يستخدمون زجاجة مربوطة إلى سيارة من لعب الأطفال بالطريقة نفسها ويدونون ما تخلية عليهم اللعبة السخيفة، بالطبع تبدو تلك الإجابات سخيفة بلا معنى، مع أن زوجتي سترعم أن لها ألف تأويل.

نكر الحطب نكرزة أخرى وأردف:

- حضن خرافات..

## ٢٨

- اللوح كان كريئاً معنا جداً الليلة. «جون»، بالفعل هناك عناصر  
لليلة موجودة في هذا المنزل.  
قالتها السيدة «مونتاجيو» فأمن على كلامها «آرثر» ملوحاً بورقة  
الانتصار قائلاً:  
- أداة رائعة هي.
- لقد حصلنا على مجموعة معلومات قيمة بواسطتها. اللوح كان  
يضمّ على ذكر راهبة. هل قرأتم أو عرفتم أي شيء عن راهبة لها  
صلة بالمكان؟  
- راهبة في «هيل هاووس»؟ لا أعتقد.
- شعر اللوح بشعور قوي تجاه وجود راهبة في الأمر. ربما كان  
هناك تجسيد داكن غامض يشبه الراهبات رأه أحد القرؤين في الجوار.

هل يكرهون الخروج ليلاً؟

- تجسّد لراحتة! أعتقد أنه تجسّد شائع في الأساس كما يزعمون.

- «جون»، هل تلمّح إلى أنني على خطأ مرة أخرى، أم غرضك هو وضع اللوح موضع الشك؟ أؤكد لك: إن لم تصدق كلامي، فاللوع بالتأكيد صادق في أن هناك تجسّداً لراحتة.

- كل ما أردت قوله يا عزيزقي هو أن تجسّد لراحتة تجسّد شائع وشهير جدّاً. لم يكن هناك أي راحتة ذات صلة بـ«هيل هاووس»، بل لم يكن ثمة راحتة في....

- «جون»، لو سمحت، هل لي أن أكمل كلامي؟ شكرًا. الآن، هناك أيضًا اسم ذُكر بكثرة، «هيلين» أو «إلين» أو «إيلينا». من عساها تكون؟

- عزيزقي، الكثير من الأشخاص عاشوا هنا....

- «هيلين» حذرتنا من راهب غامض. متى اجتمع راحتة وراهب في منزل واحد فإن....

قاطعها «آرثر»:

- لو أن المنزل قد بني فوق بناء آخر أقدم، فإن التأثيرات من البناء الأقدم تسود وتعلق في المكان الجديد.

- يبدو لي يا «آرثر» شيء يتعلق بعهود كنسية نقضت، أليس كذلك؟

- بالفعل، كانت أشياء مثل ذلك تحدث تحت تأثير الغواية مثلاً.

حاول الدكتور المشاركة في الحديث قائلًا:

ـ بالكاد أعتقد أن... .

ـ «أثر»، أجرؤ على القول إن الراهبة قد دُفنت حية خلف جدار،  
ـ ذلك عقابهم قديماً. لن تتصور كمية الرسائل التي تصل إلى من  
أرواح الراهبات اللاثني دُفنت أحياء.

ـ عزيزقي، لم يكن ثمة حدث موثق عن راهبة قد... .

ـ «جون»، هل وصلك حديثي عن أنني أنا شخصياً قد وصلت  
ـ رسائل من راهبات دفنوا أحياء خلف جدران؟ هل تظن أنني أروج  
ـ لآكاذيب يا «جون»، أم تلمع لكون راهبة تزعم أنها ماتت مدفونة خلف  
ـ جدار ولم تكن كذلك؟ هل من الممكن أن أكون خطئة مرة أخرى يا  
ـ «جون»؟

ـ بالطبع لا يا عزيزقي.. .

ـ قال «أثر» لـ«ثيودورا»:

ـ بشمعة واحدة وكسرة خبز كانوا يتركونهن خلف تلك الجدران  
ـ جيسيات للأبد حتى يمتنن. شيء بشع لو تفكري فيه.

ـ قال دكتور «مونتاجيو» محاولاً رفع صوته وإحكام جديته:

ـ لم تخس راهبة خلف جدار فقط، تلك خرافة، قصة، ادعاء اشتهر  
ـ بين... .

ـ نحن لن نتشاجر هنا يا «جون»، فلتؤمن بما تريد. فقط حاول أن  
ـ تفهم أنك في حاجة لأن تتحمّل وجهة نظرك جانبًا أمام بعض الأمور

غير المثبتة كحقائق؛ لذا فمن المهم أن تقبل إن كان ثمة راهبة في هذا  
المنزل وكذلك...

قاطعها «لوك» في تردد:

- ماذا كان هنا أيضاً؟ لدى شغف لمعرفة ما قاله الـ... اللوح.

حركت السيدة «مونتاجيو» إصبعها في وجهه متخابثة:

- لم يذكر شيئاً عنك، لكن ربما إحدى الشابتين في حاجة للإنتصارات  
مستحيل.. مستحيل..

قطعت السيدة «مونتاجيو» خاطر «إليانور» قائلة:

- الآن، «هيلين».. ت يريد منا أن نفتح القبو القديم بحثاً عن بشر،  
- عزيزقي، لا تخبريني أن «هيلين» قد دُفنت حية.

- لا أظن، كانت ستخبرني. «هيلين» كانت غامضة تماماً بشأن ما  
عليها أن نجده في القبو. أشك أنه كنز ما، لا يجد المرء كنوزاً في مهنتنا  
غالباً ما سنبحث عنه هو معلومة تؤكد ما رأيناه بشأن الراهبة.

- أغلب الظن لن نجد سوى ثهاتين عاماً من القرامة.

- لا أصدق ذلك الشك الذي يفعملك. أنت من دون الناس، أنت  
من جئت إلى هذا المنزل للبحث في أمر خوارقي. والآن بعد أن جلبت  
لك أدلة كاملة وخارطة للبحث عن الحقيقة أجدهم تحقر كلامي!

- ليس لدينا سلطة لحرق القبو! إيجاري للمنزل لا يخوّل لي حرق  
الأقبية أو تخريب النقوش الخشبية أو تيشن الأرضيات. «هيل هاووس»

ـ ملئ فمي ونحن علماء لا نخربون.

ـ أنت أغلبك تسعى خلف الحقيقة يا «جون».

ـ لم أسع في حياتي قدر سعبي خلف الحقيقة.

ـ قام الدكتور «مونتاجيو» عابراً الحجرة. وقف أمام لوح الشطرنج  
ـ والقطع فارساً وراح يدبره بين أصابعه شارداً، كأنها تحاول السيطرة  
ـ على حسب عارم.

ـ يجب على المرء أن يتحلى بالصبر أحياناً، لكنني أرغب في قراءة  
ـ الرسالة التي وصلت إليّ في نهاية الجلسة عليكم. هل معك الرسالة  
ـ «آرثر»؟

ـ قلب «آرثر» في الأوراق التي يحملها وناول السيدة «مونتاجيو»  
ـ هذه ورقات مغطاة بكتابات متوجلة مبعثرة الأحرف. تابعت السيدة  
ـ «مونتاجيو» السطور بطرف إصبعها قائلة:

ـ هنا.. أقرأ يا «آرثر» الأسئلة وأنا سأقرأ الإجابات. هكذا سيبدو  
ـ المخوار واقعياً مفهوماً.

ـ مال «آرثر» على كتف السيدة «مونتاجيو» كي يقرأ معها من الورقة  
ـ ذاتها وبدأ بسؤال:

ـ من أنت؟

ـ «نيل».. «نيللي»..

ـ نظرت «إليانور» و«ثيودورا» إلى بعضهما البعض ثم إلى الدكتور..

أكمل «آرثر»:

- «نيل» من؟

- «إلينور».. «نيل».. «نيللي».. أحياناً ما تكرر الأرواح اسمها بطرقٍ شتّى غريبة وكأنها تؤكّد وصول المعلومة.. أكمل يا «آرثر».

- لماذا تريدين؟

- البيت.. أريد أن أكون في بيتي.

- وماذا تفعلين هنا؟

- أنتظّر.

- لماذا تنتظرين؟

- البيت..

واردف «آرثر»:

- ها هي تكرر الكلمة مرات ومرات بلا سبب.

- عادةً لا نسأل عن الأسباب؛ لأنَّ أسئلةً من هذا النوع تربك اللوح. لكتنا في هذه المرأة تجّرّأنا وسأّلنا.. أكمل يا «آرثر».

- لماذا؟

- أمي.. كنا على صواب حين فكّرنا في السؤال؛ فقد كانت الإجابة واضحة أمام اللوح.. سأّلتها إن كان «هيل هاووس» هو بيتها.

- البيت..



ـ هل تتعذبين؟

ـ لم أحب عن هذا السؤال. في أحيان كثيرة ترفض الأرواح الاعتراف

ـ هل نستطيع مساعدتك؟

ـ لا.

ـ هل يمكننا فعل أي شيء؟

ـ لا.. أنا ضائعة.. ضائعة.. ضائعة. هل ترون؟ تكرار الكلمة مرات  
ـ ألا.. أحياناً ما يغطي تكرار الكلمة ما صفحات كاملة.

ـ ماذا تريدين؟

ـ أمي.

ـ لماذا؟

ـ طفل.

ـ أين أمك؟

ـ البيت.

ـ أين بيتك؟

ـ ضائعة.. ضائعة.. ضائعة. ظلت تكرر الكلمة ذاتها ثم ما كان  
ـ بعد ذلك كلام بلا معنى.

ـ لم نعهد اللوح متعاوناً معنا مثل هذه المرة. تجربة رائعة فعلاً.

سألت «ثيودورا» في ضيق:

- لم ذكرت «نيل»؟ لم يعتمد هذا اللوح الحقير مضايقتها واستغلال رسائل من ...

- لم تخبني أي فائدة من التعدي لفظياً على اللوح.  
قالها «آرثر» فأكملت السيدة «مونتاجيو» وهي تلتفت في حنق نحو «ثيودورا»:

.. هل أنت «نيل»؟ لم تتكلمين إذا!  
- ثم؟

- لن يؤثر شيء في محتوى الرسالة، اللوح يعرف الفرق بينهما.  
قال «الوك» ضاحكاً:

- لا تشعري أن اللوح تجاهلك، لا تقلقي، سندفعك حية أنت الأخرى.

يبدو أن الجميع يتحاشى النظر إلىه، يختلقون الشجار أو المزاح. لقد تم إقصائي عن المجموعة مرة أخرى.

- لم تظنو أن هذا كله موّجه لي؟

وضعت السيدة «مونتاجيو» الأوراق على منضدة منخفضة وقالت لـ«إليانور»:

- ربما لكونك أكثر حساسية تجاه الأرواح من أي شخص آخر.  
كيف ظللتم أسبوعاً كاملاً هنا من دون أن تستقبلوا أي رسائل من

العالم الآخر؟ ليحرك أحدكم حطب النار، لقد خدت تقريباً!  
ذات «ثيودورا» وهي تغوص في مقعدها وتلتقط كف «إليانور»  
في الماء:

ـ لا تحتاج «نيل» إلى رسائل من العالم الآخر. كل ما تحتاج إليه هو  
سرير مريح ونوم هادئ.

السلام، كل ما أريده في هذا العالم هو السلام. مكان هادئ أستلقي  
فيه وأنكر. مكان وسط الأزهار حيث أستطيع أن أحلم وأحكى لنفسي  
حكايات وردية.

قال «آرثر»:

- سيكون مقرّي هنا، في تلك الحجرة جوار حجرة الأطفال. سأسمع أقل استغاثة منكم وسأكون مسلحًا بمسدس، أنا رام ماهر، ومعي كشاف، وصافرة حادة الصوت. لن تكون ثمة صعوبة في استدعائكم في حال وجدت شيئاً يستحق أو احتجت... احتجت إلى صحبة، يمكنكم أن تناموا مطمئنين.

- «آرثر» سيحرس المنزل، على رأس كل ساعة سيقوم بجولة بين حجرات الطابق العلوي. لا يهم الدور السفلي اليوم؛ لأنني سأكون بالأعلى. لقد قمنا بذلك من قبل مرات كثيرة.

دعتهم لاتبعها إلى الطابق العلوي ففعلوا، متابعين لمساتها لنقوش الدرابزين والزينة على الحوائط.

هي نعمة عظيمة، أن أعلم أن الكيانات الموجودة في المنزل في  
طار لها صفة لتحرير أنفسهم من ثقل الأحزان بسرد حكاياتهم لي.  
الآن، سيفقد الغرف أولاً.

فاج «آرثر» باب الحجرة الزرقاء التي تشاركها «إيلانور» و«ثيودورا». معدرة سيدتي.. معدرة. يائماً من حجرة تلقي بسيدةتين ساحرتين إلکها، سأزيل من على عاتقيكما عب النظر أسفل الفرش وفي الخزانة. في صمت، شاهدت «آرثر» يزحف تحت الأسرّة على كفيه وركبيه، لم يقف منظفاً كفيه من الغبار.

كل شيء آمن تماماً.

أين وضع الشاب حقائي؟

في حجرة الأطفال، آخر الرواق.

تبع «آرثر» السيدة «مونتاجيو» إلى نهاية الرواق عابرین البقعة الباردة لمدخل الباب.

بالتأكيد سأحتاج إلى أغطية إضافية. اطلب من الشاب يا «جون» أن يحضر أغطية من الغرف الأخرى.

فتحت السيدة «مونتاجيو» باب الحجرة وتشممت الهواء متفرحصة الفراش:

الفراش يبدو نظيفاً، لكن هل تمت تهوية الغرفة؟

لقد طلبت ذلك من السيدة «ددلي».

- أشم رائحة عطنة، «آرثر»، افتح النوافذ من فضلك.. مضطرباً  
لذلك على الرغم من برودة الجو.

بتواهش، أطلت الحيوانات الصغيرة المنقوشة على الحوائط على  
السيدة «مونتاجيو»، كما ركّزت منحوتنا الطفلتين على الباب أعينها  
عليها. قال دكتور «مونتاجيو» في قلق:

- هل أنت متأكدة؟ أعني: هل تفضلين أن يبقى أحد هنا معك في  
الغرفة؟

بدت السيدة «مونتاجيو» متائلة في حضور الأرواح حولها.

- عزيزي، كم من الساعات الطويلة أمضيت وحيدة في حضرة  
الأرواح لا يوجد خطر هنا في تلك الأجواء من المحبة والتعاطف  
اللذين أحقرص على نشرهما. أنا هنا كي أمد يد العطف إلى من يحتاجون  
إليها في العالم الآخر. لقد انتهت وحدتهم؛ فأنا...

- حسناً، سأترك الباب مفتوحاً.

-أغلقه بلا أقفال لو كنت مصمماً.

- سأكون في نهاية الرواق. لن أعرض عليك الحراسة بها أن «آرثر»  
قد تطوع لذلك. لكنني سأكون منصتاً لو احتجت إلى أي شيء.

ضحكـت السيدة «مونتاجيو» ولوحت بكفها أمامه:

- الآخرون يحتاجون إلى الحماية أكثر مني. سأفعل ما يسعني فعله  
بالطبع، لكنهم ضعفاء للغاية بقلوبهم المتحجرة وأعينهم المعمية.

عاد «آرثر» و«لوك» من جولتها لتفتيش الغرف الأخرى، هزَّ «آرثر» رأسه للدكتور قائلاً:

ـ الحجرة آمنة، يمكنك المبيت فيها من دون قلق.

ـ تصبحون على خير..

ـ لا تخافوا يا أعزائي، مهما حدث فلا تخافوا، أنا هنا!

أجابت «ثيودورا» السيدة «مونتاجيو» باسمة في سخرية:

ـ شكرًا لك، تصبحين على خير.

سار «آرثر» خلف المجموعة يوصل كلًا منهم إلى حجرته، مؤكداً عليهم ألا يقلقوا لو سمعوا طلقات نارية.

دخل كُلُّ إلى مهجهه، بينما ظل دكتور «مونتاجيو» للنهاية، ينتظر بحو باب حجرة زوجته المغلق ثم استدار داخلاً حجرته.

بمجرد أن أغفلت «إليانور» باب الحجرة عليها هي و«ثيودورا»، قالت الأخيرة:

ـ انتظري، «لوك» أخبرنا أنه سيتظرنا في نهاية الرواق. لا تغيري ملابسك، فقط ابقي هادئة.

فتحت فرجة بسيطة من باب الغرفة وهمست وهي تنظر:

ـ لقد أغلق «آرثر» باب حجرته، هيا..

في هدوء، خطت «إليانور» و«ثيودورا» فوق بساط الرواق ببطء شديد إلى حجرة الدكتور «مونتاجيو».

- تعالى، بسرعة.

كان الدكتور فاتحًا بابه بقدر ما يمرر جسديها فقط، ثم أغلق الباب عليهم في حرص.

كان «لوك» في الداخل متربعاً على الأرض.

- المكان لم يعد آمناً. هذا الرجل في مقدوره إصابة أي أحد هنا بطلق ناري.

- لا يعجبني الوضع أيضًا يا «لوك»؛ لذا سأظل متيقظاً أقرب مما يحدث. أردتُ لهذا السبب أن تجتمعوا هنا كي أستطيع حمايتكم. شيء ما سيحدث.

- فقط نشمتى ألا تفعل شيئاً مجنوناً بلوحها الغريب هذا. آسفة يا دكتور، لم أقصد أن أقلل من شأن زوجتك.

ضحك دكتور «مونتاجيو» وهو بعد شدد في الباب.

- «ثيودورا»، لا عليك. زوجتي كانت تخطط لتمضية فترة إقامتنا كلها هنا معنا، لكنها كانت قد اشتراك في فصل لتعليم «اليوجا» فلن تفوّت تدريباتها. هي سيدة فاضلة في جوانب أخرى كثيرة. هي زوجة ممتازة لكن هذه....

وأشار برأسه إلى نهاية الرواق.

- هذه هي رذيلتها الوحيدة.

قالت «إليانور»:

- ربما تظن أنها تساعدك بعملها هذا.

قبل أن يفتح الدكتور فمه ليجيب، انفتح باب الغرفة على مصراعيه  
لسماعة ثم انغلق محدثاً دوياً. بعدها ساد صمت استطاعوا أن يسمعوا فيه  
صوت رياح عاتية تهب بين حوائط الرواق.

نظر كل منهم للأخر محاولين التظاهر بالشجاعة، قبل أن يضر بهم  
البرد القارس مفروناً بدويّ الريح وخطبات فتح الأبواب وانغلاقها  
في الطابق السفلي.

من دون كلمة، سحبت «ثيودورا» الغطاء من فوق فراش الدكتور  
ولفته حولها هي و«إيلانور». كادت «إيلانور» تتجمد على الرغم من  
ذراع «ثيودورا» التي تطوقها.

كان ذاك اسمي.. هو يعرف اسمي.

تعالى صوت الطرقات كأنها ترتقي السلم نحو الدور العلوي، تضرب  
كل درجة وتکاد تشقها. وقف الدكتور و«لوك» بجوار الباب في ترقب،  
وضع «لوك» كفه على كف الدكتور مانعاً إياه من فتح الباب.

- الأصوات بعيدة جداً عن غرفة الأطفال.

- كنت أظن أننا قد استنفدنا ذخيرة «هيل هاوس» من الطرقات،  
لكنها هو يعيد الكّرة مرة أخرى.

صمتت «ثيودورا» وهي تسمع الطرقات تقترب، تجمدت يد الدكتور  
على مقبض الباب هازاً رأسه في قلق:

- يجب أن أخرج.. من المؤكد أن ما يحدث أثار ذعرها.

بدت الطرقات كأنها داخل رأس «إليانور» أكثر من كونها في الرواق، فراحت تهتز للأمام والخلف عسكة بـ«ثيودورا».

ستستمر الطرقات غادية وعائدة على طول الرواق، ستطرق الأبواب كلها كما فعلت من قبل، ثم ستطرق بابنا لأنها تريد خلعه، ثم سيسود الصمت.. وقتها سنتظر إلى بعضنا البعض ونضحك.

غطّت «إليانور» عينيها بكفيها وتطرح جسدها مع صوت الضوضاء، قالت «ثيودورا»:

- ذلك الشيء لم يؤذنا من قبل؛ لذا لن يؤذني السيدة «موناتاجيو» أو «آرثر».

- أتمنى ألا تفعل زوجتي أي شيء تجاه تلك الطرقات.

كان لا يزال قابضا على المقبض، لكنه بدا أقل حماسا للخروج في تلك الضوضاء المرعبة.

عم الصمت بشكل مفاجئ، فحبسو أنفاسهم ترقبا. أمسك الدكتور مقبض الباب بكلتا يديه. أبيض وجه «لوك» وارتاحف صوته:

- هل يرغب أحدكم في بعض النبيذ؟ أريد بعض المشروبات الروحية التي...

- لا... روحية؟ لا تستخدم تلك التورية هنا لو سمحت!

ضحكـت «ثيودورا»، بينما أحضر «لوك» الزجاجة والكؤوس التي اصطفـت بين أنامله.

- آسفة، لكنـي لا أستطيع أن أفـكر في الكلمة كـتورـية. هـذا ما تـفعـله

المازل المسكونة بحس الفكاهة.

انحرجت «ثيودورا» ذراعاً واحدة مرتجلفة لتناول كأسها من «الوك» وهي بعد متدرة مع «إليانور» بالغطاء ثم قرّبت الكأس من شفتي «إليانور»:

- اشربي..

رشفت «إليانور»، ما زال البرد يجُدد أطراها.  
نحن في عين الإعصار، ليس أمامنا وقت أطول.

شاهدت «الوك» يحمل كأس الدكتور «مونتاجيو» إليه، فسقطت الكأس من بين أصابع «الوك» المرتجفة عندما اهتزَّ الباب فجأة. أبعد «الوك» الدكتور عنه بينما ظل الباب على ارتجافه بلا صوت وكأنه سينتزع من مكانه تاركاً إياهم في مهب الريح.

تراجع الدكتور و«الوك» في هلع شاعرين بقلة الحيلة. ظلت عينا «ثيودورا» على الباب وهمست:

- لا أنفهم شيئاً.. لن يستطيع الدخول.. لا تدعوه يدخل، لن يدخل،  
أليس كذلك؟

توقف الاهتزاز وبدأت اليد في الخارج تتحسس الباب وتحاول إدارة المقبض. وحين فشلت، راحت تتحسس حلق الباب في محاولة لإيجاد مدخل ما.

قالت «إليانور»:

- هو يعلم أننا هنا.

نظر إليها «لوك» من فوق كتفه نظرة أخرى سرتها، فلن يتحمل أحداً ضغطاً آخر.

الجو بارد للغاية. لن أستطيع النوم مرة أخرى مع كل تلك الضوضاء التي تصدح داخل عقلي. كيف يسمع الآخرون تلك الأصوات وهي قادمة من داخلي؟

أنا أختفي تدريجياً في هذا المنزل، أذوب. هذه الأصوات تفتتني. ما سر الرعب الذي يعتلي الآخرين إذا؟

بدأت الطرقات مجدداً بقبضة معدنية رنانة. وضعت «إليانور» كفها على فمه لتأكد من أن الأصوات لم تتزع وجهاً بعد.  
أنا أكتفيت..

انتقلت الطرقات إلى حجرة الأطفال، فامسك «لوك» بذراع دكتور «مونتاجيو» مانعاً إياه من الخروج:

- لو لم تفتح زوجتك الباب فلن يستطيع الدخول.

أسند الدكتور رأسه إلى الحائط وأبقى «لوك» قبضته حول معصميه كي لا يتهدّر ويخرج.

توقفت الطرقات وسمعوا صوت خطوات تذرع الرواق جيئةً وذهاباً، كأنها خطوات وحش حبيس نافذ الصبر. تتوقف الخطوات لحظات عند كل باب. ثم سمعت «إليانور» صوت الهمميات في رأسها، ثم صدح صوت الضحكه الرنانة من خلف الباب.

قالت «ثيودورا» من خلف أسنانها المصطكمة:



- فـا في فـو قـام.. أـشـم رـائـحة إـنـسـان هـنـا.. يـذـكـرـنـي مـا يـحـدـث بـحـكـاـيـات  
الـهـلـانـ الـخـراـفـيـةـ.

لـهـولـتـ الضـحـكـةـ تـدـرـيـجـيـاـ إـلـىـ صـرـخـةـ شـنـيـعـةـ،ـ غـطـتـ «ـإـلـيـانـورـ»ـ رـأـسـهاـ  
بـكـبـيـهـاـ وـأـغـمـضـتـ عـيـنـيـهـاـ.

ارـتـجـ المـنـزـلـ بـأـكـمـلـهـ وـرـاحـتـ السـتـائرـ تـهـتزـ وـالـأـثـاثـ يـتـمـاـيلـ.ـ تـصـاعـدـتـ  
الـاـهـتـزاـزـاتـ منـ الدـورـ السـفـلـيـ إـلـىـ الـعـلـويـ وـكـأـنـاـ سـتـفـجـرـ الـحـواـطـ.ـ  
سـعـواـ أـصـوـاتـ تـكـسـيرـ أـطـرـ اللـوـحـاتـ المـعـلـقـةـ فـيـ الرـوـاقـ إـذـ تـسـقـطـ أـرـضاـ،ـ  
وـلـحـطـمـ زـجاجـ النـوـافـذـ.

الـصـقـ «ـلـوكـ»ـ وـالـدـكـتـورـ ظـهـرـيـهـاـ بـالـبـابـ كـيـ لـاـ يـنـفـتـحـ،ـ وـمـادـتـ  
الـأـرـضـ مـنـ نـحـتـ أـقـدـامـهـاـ.

- المـنـزـلـ يـنـهـارـ..

قـالـتـهـاـ «ـثـيـودـورـاـ»ـ فـيـ هـدـوـءـ غـرـيبـ،ـ مـسـكـةـ بـأـطـرـافـ الـفـرـاشـ كـيـ لـاـ  
تـسـقـطـ،ـ وـكـأـنـاـ إـنـهـيـارـ المـنـزـلـ هـوـ رـاحـتـهـمـ الـمـتـظـرـةـ.ـ بـيـنـمـاـ كـانـتـ الـحـجـرـةـ تـدـورـ  
فـيـ عـيـنـيـهـاـ «ـإـلـيـانـورـ»ـ الـجـاحـظـتـيـنـ رـعـباـ.

عـنـ الـبـابـ،ـ تـدـاعـيـ الدـكـتـورـ أـرـضاـ فـأـمـسـكـ «ـلـوكـ»ـ بـهـ.

- هـلـ أـنـتـ بـخـيرـ يـاـ دـكـتـورـ؟ـ «ـثـيـوـ»ـ..ـ هـلـ أـنـتـ بـخـيرـ؟ـ

- أـحـاـوـلـ التـيـاسـكـ،ـ أـنـاـ قـلـقـةـ عـلـىـ «ـإـلـيـانـورـ»ـ.

- أـبـقـيـهـاـ دـافـئـةـ،ـ أـعـتـقـدـ أـنـ اللـيـلـةـ سـتـكـونـ حـافـلـةـ.

كـانـتـ الـأـصـوـاتـ تـبـتـعـدـ عـنـ أـذـنـيـهـاـ،ـ كـانـ كـلـ شـيـءـ بـالـنـسـبـةـ لـهـاـ

بعيداً وخفيفاً. كان الظلام يملأ المسافات ويغمس الأصوات، ولم تر سوى شحوب كفيها بينما كل شيء يتعدى، الفراش والباب والدكتور «لوك» و«ثيودورا».

من بعيد، دوى صوت انهيار هائل، ظنت «إليانور» أنه البرج وقد تهادى.

وأنا التي ظنت أن «هيل هاووس» سيصمد سنوات وسنوات أخرى، لقد ضعنا، ضعنا تماماً. المنزل يدمّر ذاته.

سمعت «إليانور» الضاحكة المجنونة تعلو..

أنا أسلّم، لا أستطيع التحمل فوق هذا.. فليأخذني ما يريد أن يأخذني.. لن أقاوم أكثر.

- أنا آتية..

صرخت بها «إليانور» فاحتضنتها «ثيودورا» خائفة. ثم صمتت كل شيء. ومن بين فرجات الستائر استطاعت «إليانور» أن ترى ضوء الشمس.

كان «لوك» جالساً على كرسي، تغزو الكدمات جسده. يحتسي النبيذ في هدوء. بينما جلس الدكتور قبالته منمق الشعر في ملابس نظيفة مهترمة.

انحنىت «ثيودورا» على «إليانور» النائمة هائفة:

- إنها بخير على ما أظن.

جلست «إليانور» في ذعر ملتفة حولها. كل شيء هادئ وفي مكانه.

قالت «إليانور»:

- كيف؟

ضحك ثلاثة، وأضاف الدكتور في إرهاق بتناف مع مظهره الهدى:

- يوم جديد، ليلة جديدة..

كان حلق «إليانور» جافاً تخرج منه الكلمات محشرجة حارقة:

- كيف؟ هل هم؟

- كلاماً نائم كالاطفال. لا أصدق أن ما فعلته زوجتي أثار تلك العاصفة كلها.. لا أريد أن أسمع منها كلمة أخرى عن المحبة والتعاطف والتفهم.

لابد أنني كنت أضغط على أسنانى طيلة الليل، فكّي يؤلمى.

- ماذا حدث؟

- «هيل هاوس» كان يرقص.. أو يقوم ببعض الشغلات المسائية.

قال دكتور «مونتاجيو» في بطء:

- الساعة التاسعة. عندما تستعد «إليانور»...

قاطعه «ثيودورا»:

- تعالى يا صغيري، «ثيودورا» ستغسل لك وجهك وستعدك للإفطار.

- هل أخبرهم أحد أن السيدة «دللي» ترفع الأطباق في العاشرة؟  
فالتها «ثيودورا» وهي تنظر إلى قدح القهوة ومكانى السيدة «مونتاجيو»  
و«آرثر» الخالين.

- لا أحب أن أو قظها بعد ليلة كهذه.

- لكن السيدة «ددلي» ترفع الأطباق في العاشرة.

قالت «إليانور»:

- إنها قادمان، أسمع خطواتها على الدرج.

أرادت «إيليانور» أن تخبرهم أنها تسمع كل شيء في كل أرجاء المنزل، لكنها صمتت.

سمعوا أصوات «آرثر» والسيدة «مونتاجيو» على ميعدة، فقال

- يا إلهي! لن يستطيعوا أن يجدوا غرفة الطعام.

هرع «لوك» ليفتح الأبواب كي يجدها طريقهما. دخلت السيدة «مونتاجيو» سيدة زوجها بربطة على كتفه ثم هزت رأسها في تحية عامة للجميع.

- أعتقد أنه من الذوق أن توقفننا لتناول الإفطار. الطعام قد برد،

هل بردت القهوة أيضاً؟

جلس «آرثر» ملقياً تحية الصباح، وبدا عليه تعكر المزاج. هرعت «شودورا» لتتملاً فتجانها بالقهوة قبل السيدة «مونتاجيو».

- سأتحدث مع السيدة «ددلي» اليوم، لا بدّ لتلك الغرفة أن تتلقى الهواء والشمس. القهوة باردة بالفعل..

سأل الدكتور في تردد:

- هل... كيف... كيف كانت ليتلتك؟

- إن كنت تسأل عن ليلتني فأحب أن أخبرك أني لم أتم للحظة.

الحجرة لا تطاق. كيف كانت ليتلتك يا «آرثر»؟

- منزل قديم مزعج، أليس كذلك؟ ظل غصنْ جاف يقرع نافذتي طيلة الليل.

- حتى مع النوافذ المفتوحة، الغرفة كانت عطنة للغاية. قهوة السيدة «ددلي» ليست سيئة بقدر سوء عنایتها بنظافة المنزل وتهويته. حُبِّ لي فتجانًا آخرَ لو سمحت يا «جون». أنا مندهشة، كيف اخترت لي حجرة عطنة كذلك؟ لو كان لي أن أتواصل مع العالم الآخر فلا بدّ من وجود تيار هواء نقى في المكان.

قال «آرثر» حانقاً للدكتور:

- أنا لا أفهمك، لم كل هذا التوتر الذي تشعر به تجاه ذلك المكان؟
- لقد قضيت الأمسية كلها متيقظاً حاملاً سلاحي، ولم أر فاراً يتحرك فقط ذلك الفرع المزعج الذي ظل ينقر شباكي.
- لا تفقد الأمل يا «آرثر»، ربما نرى بعض التجسدات الليلة.

راحت «ثيودورا» تكتب سريعاً، بينما أغفلت «إليانور» نوتها الخاصة  
ونظرت إلى «ثيودورا» مفكرة:

«أيُّهَا.. كُنْتَ أَفْكِرْ فِي شَيْءٍ».

ـ أكره كتابة تلك الملحظات! أشعر بأنني بلهاه وأنا أحاول تدوين  
ـ تلك الأحداث الجنونية.

كنت أتساءل ...

- تيدين جادة، هل أنت على شفا قرار مهم؟

- نعم، بخصوص ما سأفعله بعدها، بعد أن نغادر «هيل هاوس».

95

- ساتی معک..

## - ستائين معنی إلی أین؟

- إلى بيتك .. سأق معك إلى بيتك.

اتسعت عيناً «ثيودورا» وسألت:

१३४

- لم يكن لدى من يعتني بي. أريد أن أكون في مكان أستطيع الاتقاء به.

- ليس من عادى التقاط القبط الفضالة.

ضحكت «إليانور» هاتفة:

- هل تعتبريني قطة ضالة؟

ال نقطت «ثيودورا» قلمها مجدداً وراحت تخط في نوتها:

- حسناً، لديك بيتك، ستكونين سعيدة بالعودة إليه عندما يتتهي هذا كله. «نيل»، «نيللي»، أعتقد أنتا جيئاً سنكون سعداء بالعودة إلى بيوتنا. كيف تصفين تلك الأصوات التي سمعناها أمس؟ لا أجده وصفاً مناسباً كي أكتبه.

سات معك

- «نيللي»، تلك فقط أيام صيفية في منزل عتيق في الريف. لديك حياة كاملة تعودين إليها، ولديّ حياة. عندما يتهمي الصيف سندعو جمِيعاً. سأكتب لك وستكتبي لي. ربما نتبادل الزيارات. لكن أيام «هيل هاومن» لن تدوم للأبد.

- يمكنني أن أجده وظيفة، لن أكون عبئاً عليك.

وَضَعْتُ «ثِيودُورَا» قَلْمَهَا فِي غَضَبٍ:

.. هَلْ تَذَهَّبُ دَوْمًا إِلَى حَيْثُ لَا يُرْحَبُ بِكِ؟

ابْسَمْتُ «إِلِيَانُورَ» فِي صَفَاءِ قَاتِلَةٍ:

- لَمْ يُرْحَبْ بِي فِي أَيِّ مَكَانٍ مِنْ قَبْلٍ.

## ٣٣

قالت «ثيودورا» شاردة:

- كل شيء هنا ناعم، وثير، أرائك عظيمة ومقاعد متتفحة، وحين تجلسين عليها تجدينها خشنة صلبة معادية.

- «ثيو»..

- وأكُفُّ في كل مكان، أكُفُّ زجاجية تُنْتَدِ تجاهك من تماثيل الرُّضْع  
الذين ...

- «ثيو»..

- لا.. لن أصحبك إلى بيتي، ولا أريد الحديث في هذا الموضوع  
مرة أخرى.

تحدث «الوك» عن زخارف القاعات المشؤومة، والزجاج المغير الذي  
يعكس الأضواء في تعasse. لكن بدا أن المرأةين لا تكتثران بحديثه.

..... «ثيو» ...

- «نيللي»، اتركتيني وشأنى. لنسر نحو الجدول أو لنذهب إلى أي مكان.

- «إليانور»، لقد اقترحت «ثيودورا» أن تذهبنا إلى الجدول، أنت أردت بالطبع، يمكنني مرافقتكم.

قالت «ثيودورا»:

- كما تشاء.

- يمكنني مطاردة الأرانب، سأحمل عصا معى كي أبعدها. إن كنتما لا تريدان أن آتي فلا بأس.

- ربما تفضل «نيل» أن تظل هنا لتنكتب اسمها على الحوائط.

- أنت لثيمة يا «ثيو»، لا تقولي ذلك.

ثم شرع «لوك» يكمل وصفه الدقيق لتفاصيل «هيل هاووس» الثمينة البراقة المقبضة، فانفرجت أسارير «ثيودورا» وظلت تتلقى الدعابات حول كل ما يقول.

- «نيل»، أنت لا تنضي لي.

- لقد أفزعها وصفك يا «لوك».

- ربما لأن «هيل هاووس» سيقول إلى يوم ما، بكل كنوزه الدفينة ووسائله الوثيرة فلن أكون رحيمًا مع المنزل يا «نيل»، وسأحطم كل ما لا يروق لي. سأضرب أعناق التماثيل بعصاي، وسأكسر كل تلك الأكف العجيبة الصغيرة و...»

- أترى؟ لقد أفرزتها.

- أعتقد ذلك. «نيل»، أنا فقط أمزح.

- هو حتى لا يملك عصا ليحطّم بها شيئاً.

- في الواقع يا «ثيو» عندي عصا بالفعل. «نيل»، أنا فقط أمزح. ما الذي تفكرين فيه يا «ثيو»؟

- تريدين أن أصحبها لبيتي بعد خروجنا من «هيل هاووس»، وأنا لا أريد ذلك.

ضحك «لوك» قائلاً:

- يا «نيللي» البائسة.. لنذهب إلى الجدول.

عبر «لوك» الشرفة الخارجية إلى العشب في الخارج:

- سأكون سيد متزل عظيماً عندما يقول «هيل هاووس» إلى.

- لا أفهم لم قد يريده المرء أن يملك «هيل هاووس»!

دار «لوك» على عقبيه متسللاً المتزل في إعجاب:

- لا يمكن أن يكون لديك شعور ما تجاه شيء لن يحدث لك. ربما كنت سأشعر بشيء مختلف لو لم أر هذا المتزل وأعرف أنه سيكون ملكي.

أخيراً فتحت «إيلانور» فمها واجهةً وقالت:

- لقد كان خطئي أن ماتت والدتي. لقد قرعت الحائط وراحت تنادي عليّ، تنادي وتنادي وتنادي ولم أسمعها، كنت نائمة. كان عليّ

ـ أسمعها وأحضر لها الدواء كما اعتدتُ دائمًا. لكنها نادتني ولم أسمع،  
ـ أصفع.

ـ «نيل»، يجب أن تنسى ذلك كله.  
ـ كنت أسأل نفسي من وقتها: ماذا لو كنت قد صحوت وأعطيتها  
الدواء ثم نمت مرة أخرى؟ لم تكن لتموت، ولم أكون لألوم نفسي  
حتى الآن.

ـ انعطافاً من هنا إن كنا سنذهب إلى الجدول.  
ـ أنتِ تفكرين بشكل زائد يا «نيل». أحياناً ما أشعر أنك تحبين أن  
تلزمني نفسك.

ـ كان سيحدث هذا آجلاً أم عاجلاً، لكن متى كان سيحدث  
ستكون غلطتي.

ـ لو لم يحدث هذا لما جئت إلى «هيل هاووس».  
لقد أخبرتها عن أمي، والآن أعرف أين سأذهب. سأشترى شقة  
كشقتها وستتبادل الزيارات. سأراها كل يوم ونخرج لنبحث عن أطباق  
مذهبة، وقط أبيض، وكوب نجوم. لن أخاف أو أكون وحيدة مرة  
أخرى، وسأخبر الناس أن اسمي فقط «إليانور».

ـ كان «لوك» و«ثيودورا» يتحدثان، بينما تقدمتهما «إليانور» على  
الم المشى الضيق:

ـ هل تتحدثانعني؟  
ـ صراع بين الخير والشر على روح «نيل».

رددت «ثيودورا» على مزاح «لوك» قائلة:

- بالطبع لن يسعك أن تثق في بأحدنا.

- لا تثق في بي تحديداً.

- بالإضافة إلى أنها لا تتحدث عنك مطلقاً يا «نيل».. أطمئني.

لقد انتظرت تلك الفترة كلها كي أحصل على سعادتي المستحقة

قادتها «إليانور» إلى ما فوق التل، وظهرت قمم الأشجار المديدة  
التي عبروا خلاها منذ قليل. كان «لوك» مخططاً حين ظن أن كل شيء  
في المكان ناعم، طري. تلك الأشجار جامدة مدينة شاحنة.

ما زالوا يتحدثون عنّي، وعن كيفية عجبي إلى «هيل هاوس» وكيف  
قابلت «ثيودورا». لن أترك «ثيودورا» تبتعد عنّي.

كان صوتها يصل إلى أذني «إليانور» مدغّراً؛ فتارة تسمع ضحكات،  
وتارة تسمع شجaraً عفويًا ضاحكاً. تستطيع «إليانور» أن تعرف من  
دون أن تلتفت إليها أنها دخلت خلفها منطقة الحشائش من صوت  
أقدامها على العشب، وهروب نطاط الحقل أمامها.

أستطيع أن أسمع «ثيودورا» في متجرها. تحب هي الأشياء المعيبة  
الجميلة، وسأذهب معها بحثاً عنها. يمكننا الذهاب إلى حيث أردنا،  
يمكتنا الذهاب إلى نهاية العالم إن شئنا، ونعود متى أحبينا.

«لوك» يخبرها الآن بما يعرفه عنّي، وأنّي صعبة المنال. يخبرها أن  
حولي حائطاً من أزهار الدفلة تحميّني، وهي تضحك لأنّها تعرف أنّي  
لن أبقى وحيدة بعد عودتي من «هيل هاوس».

مشابهان، عطوفان، لن أتوقع أكثر مما يمنحاني لي. كنت على حق  
حين أتيت، فداتماً ما تنتهي الرحلات بلقاء الأحبة.

دخلت «إليانور» تحت أفرع أشجار جافة، وكان الجو لطيفاً في الليل  
بعد مسيرة تم تحت الشمس. كان عليها أن تسير بحرص لأن الطريق  
يحدُر مكبل بال أحجار.

من خلفها استمرت أصوات حديث «ثيودورا» و«لوك» سريعة  
سادمة، ثم هادئة ضاحكة.

لو نظرتُ خلفي سيعرفان ما أفكّر فيه. ستكلّم أنا و«ثيو» عن  
حديثهما هذا لاحقاً، حين نملك الوقت معاً.

شعور غريب أن أخرج من بين الأشجار إلى الطريق الهازي نحو  
الجدول، وكأنني في أرض العجائب. لن أنظر خلفي حتى أصل إلى  
الجدول، حيث استلقت «ثيودورا» في أول يوم لنا هنا.

سوف أذكّرها بالسمكة الذهبية والجدول ونزيهتنا الأولى، وسنضحك  
كثيراً.

سمعت «إليانور» وقع أقدامهما تنزل الطريق خلفها فصاحت:

- أسرعاً..

واستدارت تحدّث «ثيودورا»:

- أنا...

لم يكن ثمة أحد في التل، لا شيء سوى صوت الخطوات التي تقرب  
منها هابطة من أعلى، وصوت ضاحكة ياهنة.

- من هناك؟ من؟

همست «إليانور» بسُؤالها في ذعر؛ فقد كانت ترى انبعاج العشب تحت وطأة أقدام غير مرئية. رأت نطاط حقل آخر يفر من مكمنه، سمعت احتكاك الخطوات بالطريق الصخري الضيق، ومن خلفها سمعت ضحكة رنانة أخرى قريبة جدًا.

- «إليانور».. «إليانور»..

سمعت النداء داخل عقلها وخارجها. كان نداء سمعته طيلة عمرها، اقتربت الخطوات منها، ثم التفت في غطاء من هواء بارد شعرت فيه كأنها في مصيدة.

- «إليانور».. «إليانور»..

سمعت النداء في مرور الهواء جوار أذنها.

- «إليانور».. «إليانور»..

كانت في حضن آمن، لم تعد تشعر بالبرودة. أغمضت عينيها ومالت نحو الضفة.

لا تتركني، لا تتركني.. أبقى معك..

تفگك الحضن القوي وزال تدريجياً، تاركاً إياها وحيدة.

- «إليانور».. «إليانور»..

سمعت النداء مرة أخرى وهي واقفة جوار الضفة، ترتعش وكان الشمس قد زال دفتها. شاهدت «إليانور» أثر الخطوات على الماء، تبتعد

لـ الضفة الأخرى، تشر الماء البارد حولها. حتى تصل إلى العشب على  
الجانب البعيد وتحتفظي وسط الطريق.

ـ عـد إـلـى ..

ـ واقفة ترتجف جوار الجدول، ثم استدارت فجأة تعدو إلى الأعلى:

ـ «ثـيو».. «لوـك»..

ـ وجدـنـهـا وـسـطـ الـأشـجـارـ فـيـ الـأـعـلـىـ،ـ يـسـتـنـدـانـ إـلـىـ جـذـعـ ضـخـمـ،ـ  
ـ يـهـامـسـانـ وـيـضـحـكـانـ.ـ عـنـدـمـاـ جـرـتـ «إـلـيـانـورـ»ـ نـحـوـهـمـاـ فـزـعـاـ،ـ تـغـيـرـ  
ـ تـعـيـرـ وـجـهـ «ثـيوـدـورـاـ»ـ إـلـىـ الـغـضـبـ:

ـ مـاـذـاـ تـرـيـدـيـنـ هـذـهـ المـرـةـ يـاـ «نـيـلـ»ـ؟

ـ لـقـدـ اـنـتـظـرـتـكـاـ بـجـوـارـ الـجـدـولـ.

ـ لـقـدـ قـرـرـنـاـ أـنـ نـمـكـثـ هـنـاـ..ـ الـجـوـ أـفـضـلـ.ـ ظـنـنـاـ أـنـكـ سـمـعـتـنـاـ وـنـحنـ  
ـ نـادـيـ عـلـيـكـ.ـ أـلـمـ نـادـيـ عـلـيـهـاـ يـاـ «لوـكـ»ـ؟

ـ ردـ «لوـكـ»ـ شـاعـرـاـ بـالـحـرـجـ:

ـ آـهـ،ـ نـعـمـ.ـ كـنـاـ مـتـأـكـدـيـنـ مـنـ كـوـنـكـ سـمـعـتـنـاـ.

ـ آـيـاـ مـاـ كـانـ،ـ كـنـاـ سـنـذـهـبـ إـلـىـ حـيـثـ اـنـتـظـرـنـاـ خـلـالـ دـقـيقـةـ،ـ أـلـيـسـ  
ـ كـذـلـكـ يـاـ «لوـكـ»ـ؟

ـ بـلـ..ـ بـالـطـبـعـ.

## ٣٣

- مياه جوفية.

فاحاً الدكتور وهو يلوح بشوكته.

- هراء.. هل تظہر لكم السيدة «دلي» كل طعامکم؟ «الإسبارجاس» شهي، دع الشاب يضع لك المزيد منه في طبقك يا «آثر».

- عزيزق، لقد أصبح من عاداتنا أن نرتاح قليلاً بعد الغداء؛ لذا...

- بالطبع لا. لدى الكثير لأفعله قبل رحيلي. يجب أن أتحدث لطاهيتكم، يجب أن أناكِ من تهوية حجري، يجب أن أعد اللوح بخلسة أخرى هذا المساء. يجب أن ينْظُف «آثر» مسدسه كذلك.

- هذه هي علامة المحارب، يجب أن يكون المحارب مستعداً!

- بالتأكيد يا «آثر». لو أراد هؤلاء الشباب أن يستريحوا فليفعلوا، فلن يشعروا أبداً بحالة الطوارئ التي أشعر بها. ذلك الدافع كي أساعد

الأرواح المعدبة البائسة التي تهيم هنا. ربما تجدونني حقاء حين أتحدث  
عن هذه الرغبة، لكنني لا أقدر على تحمل شقاء تلك الأرواح المهجورة  
الوحيدة.. فقط الحب الصادق هو ما...

قاطع كلامها صخب حكايات «آرثر» التي يسلّي بها «ثيودورا»  
من المدرسة والرجلة، بينما راح «لوك» يتسلّي باغاظته بمزاحه. لكن  
«آرثر» لا يفهم المزاح؛ لذا ظل يحكى ويحكي بلا توقف، حتى حضرت  
السيدة «دولي».

- أنا أرفع الأطباق في الثانية.. الساعة الآن الثانية.

## ٣٢

ضحكـت «ثيرودورا»، بينما «إيليانور» مختبـة في الظلـال خلف المـنزل الصيفـي واصـحة كـفها عـلـى فـمـها، مـانـعة نـفـسـها من إـصـدار أـي صـوت لـكـي لا يـعـرـفـوا بـوـجـودـها.

يـحـبـ أنـأـعـرـفـ، يـحـبـ أنـأـعـرـفـ.

- تـُدـعـى جـرـيـمة قـتـلـ «جرـاتـان».. حـكاـية رـائـعة يـمـكـنـي حتـى أنـأـغـنـيـها لكـ.. هـنـاكـ أـغـنـيـة عنـ الجـرـيـمة بالـفـعلـ.

- يـالـكـ منـ وـغـدـ..

- هـذـا هوـ المـاتـاحـ، إـلا إـذـا كـنـتـ تـفـضـلـين قـضـاءـ الـوقـتـ معـ «آرـثـرـ»..

- بـالـطـبـعـ أـفـضـلـ المـكـوـثـ معـ «آرـثـرـ». الرـجـلـ المـتـعـلـمـ أـفـضـلـ رـفـيقـ.

- أـفـضـلـ رـفـيقـ يـلـعـبـ الـكـرـيـكـتـ، مـتـخـيـلـةـ؟ هلـ ماـزـالـ أحدـ يـلـعـبـ الـكـرـيـكـتـ؟

- هنّ، غنّ!

وتواتت ضحكات «ثيودورا». راح «لوك» يعني بصوت أنفي حكاية  
المربيّة التي حدثت في مقاطعة «جراتان».

- في البداية، كانت السيدة «جراتان»..

حاولت أن تمنعه من الدخول..

لذا طعنها بسكين، وهكذا بدأت جرائم المخبول.

تاليًا كانت الجدة «جراتان»..

عجز متعبة كثيبة.

أرهقت مهاجمها حتى خارت كالزكيبة.

ثم جاء دور الجد «جراتان»..

جالس جوار النار.

تسلل القاتل من خلفه..

ثم خنقه بسلك، ياللعار!

أخيرًا جاء دور الطفل «جراتان»..

متكورًا في سريره..

طعنه بين أضلاعه، فانفرجت أساريره.

بصق المجرم التبغ من فمه..

ولم يأبه للصغير الغارق في دمه.

عندما انتهى من الغناء، ساد الصمت ببرهة، ثم قالت «ثيودورا» في وهن:

- جميل يا «لوك»، رائع.. لن أسمعها مرة أخرى من دون أن أفكر فيك.

- أفكر في أن أغنّيها لـ«آرثر».

متى ستحدثان عنّي؟

قال «لوك» ناعسًا مددًا على الدرجات:

- تُرى، ماذا سيكون موضوع كتاب الدكتور المُقبل؟ هل سيذكرنا فيه؟

- ربما ذكرك كباحث شاب عن الخوارق، وربما ذكرني بأنّي سيدة عظيمة الموهبة مشكوك في سمعتها.

- هل سيختص السيدة «مونتاجيو» بفصل كامل؟

- و«آرثر»، والسيدة «دديلي» وطعامها..

- هل تعرفين ما أود فعله حقًا؟ أريد أن أستكشف.. لتبّع الجدول حتى يقودنا إلى التلال حيث ينبع. ربما وجدنا بركة نسبع فيها قليلاً.

- أو شلال، ييدو الجدول نابعاً من شلال.

- لنذهب إذا..

من خلف المنزل الصيفي، سمعتها «إليانور» يضحكان وتبتعد خطواتهما.

## ٣٥

قال «آرثر» في سعي جاد ليبدو مسليناً:

- هناك شيء شائق هنا في هذا الكتاب.. هذه وصفة لصنع الشمع  
من أقلام تلوين الأطفال.

رد الدكتور في إرهاق:

- شائق بالفعل. إذا سمحت لي يا «آرثر» فلدي ملاحظات كثيرة  
تحتاج إلى التدوين.  
- بالطبع يا دكتور. لدينا جميعاً أعمال نقوم بها.

وقفت «إليانور» تنصت خارج حجرة الاستقبال إلى الحوار الدائر.  
- لا يوجد الكثير لإمضاء الوقت هنا، أليس كذلك؟ كيف تقضون  
الوقت هنا عامة؟

- في العمل.

- هل تكتب كل ما يحدث في المنزل؟

- أجل.

- هل كتبت عني؟

- لا.

- ظنتك تدوّن ما استتجاه من اللوح.. ماذا تكتب إذا؟

- «أرثر»، هل يمكنك أن تقرأ شيئاً أو تشغل بأي نشاط؟

- بالطبع. لم أقصد أن أكون مصدراً للإزعاج.

سمعت «إيليانور» «أرثر» يأخذ كتاباً ويضعه على طاولة، ثم يشغل سيجاراً متنهداً. ثم قال أخيراً:

- اسمع، ألا يوجد ما يسلّي هنا؟ أين الجميع؟

رد الدكتور في صبر بلا حماس:

- «ثيودورا» و«لوك» ذهباً لاستكشافاً، وأعتقد أن الآخرين في مكان ما. وكحقيقة مجردة، أعتقد أن زوجتي تبحث عن السيدة «ددلي».

- حسناً.. أعتقد أنني سأقرأ قليلاً.

لم تمر دقيقة حتى قال «أرثر»:

- دكتور، لا أقصد أن أضايقك، لكن انظر ماذا يذكر الكتاب..

قالت السيدة «مونتاجيو»:

- لا أؤمن بجمع بعض الشباب وإرサهم إلى مكان كهذا سيدة (ادلي). لو أن زوجي استشارني قبل تنظيم حفلته في ذلك المنزل الرائع ... سمعت «إيلانور» صوت السيدة (ادلي) من خارج غرفة الطعام، الصفت أذنها أكثر بالباب كي تسمع صوت السيدة المفيفض:
- أقول يا سيدة «مونتاجيو»: إن المرء يحيا شبابه مرة واحدة. ولهؤلاء الشباب يستمتعون بوقتهم، وهذا شيء طبيعي بالنسبة لعمرهم.
- لكن أن يعيشوا تحت سقف واحد..
- بالتأكيد هم يعرفون الخطأ من الصواب. مثلًا تلك الشابة «ثيودورا» ناضجة بما يكفي كي تحافظ على نفسها. على عكس ذلك الرقيع «الوك».
- أريد منشفة جافة لو سمحت. من المؤسف أن نرى كيف يشبُّ

أولاد هذه الأيام على معرفة بكل شيء. يجب أن يُخفى عليهم ما يحضر الكبار، أمور عليهم الانتظار حتى ينضجوا فيعرفوها.

- سيعرفونها على أي حال، بدلاً من أن يعرفوها متأخراً.

بدأ صوت السيدة «دلي» مرتاحاً بهيجاً وهي تضيف:

- لقد أحضر «دلي» تلك الطاطم من الحديقة اليوم. لقد كان محسولاً جيداً هذا العام.

- هل أساعدك في تقطيعها؟

- لا، لا، استريحي، لقد ساعدتني في تلميع القضيبات. ساعدنا كوبين من الشاي.

## ٣٧

- تنتهي الرحلة بقاء الأحبة.

قال «لوك» بأسئلته، ناظرًا تجاه «إليانور» من الطرف الآخر من الحجرة.

- هل ذلك الفستان الأزرق الذي أرتديه «ثيو» فستانك؟ لم أره  
من قبل.

قالت «ثيودورا» في خبث ضاحكة:

- أنا «إليانور»؛ لأن لدى لحية..

- كنت حكيمـة حين أحضرت ملابس تكفي لاثنتين يا «إليانور».  
لم تكن «ثيودورا» لتبدو بهذا الجمال في ملابسي.

- أنا «إليانور»؛ لأنني أرتدي الأزرق، أحب حبي للأنسة «إ»، تلك  
الأثيرية الحفهافة التي تُدعى «إليانور»، وهي تحيا في الخيال.

كانت تبدو حقوّدًا في عيني «إليانور»، وكان «لوك» يحاول التسلل  
وكان عليه أن يشعر بالخزي لسخرية من «إليانور» ومن دناءة «ثيودورا»  
بنظرة جانبية سريعة لـ«إليانور»، قالت «ثيودورا»:

ـ «لوك»، غنٌ لي مجددًا

ارتبك «لوك» وردًّا في اتزاع:

ـ لاحقًا، الدكتور أعد لنا رقصة الشطرنج.

ثم التفت مبتعدًا متربّدًا. غاصت «ثيودورا» في كرسيها مغمضة  
عينيها، تشعر بالغضب تجاه رد «لوك»، عازمة على الصمت.

بينما حدقت «إليانور» في كفيها المفرودين على فخذيهما، منصنة  
لأصوات «هيل هاوس»:

في مكانٍ ما بالأعلى ينغلق باب، عصفور يغرّد أعلى البرج ثم يطير  
مبتعدًا. في المطبخ صوت الموقد يطفّق فاقدًا حرارته. حيوان صغير  
يتقاوز في مكان قريب من المنزل الصيفي، الغبار يتطاير برفق في القبور  
فوق الأخشاب المتهاكلة.

فقط المكتبة ظلت مغلقة أمامها، لم تستطع سماع صوت الأنفاس  
الثقيلة للسيدة «مونتاجيو» داخلها مع «آرثر» بجوار لوحهما، ولا  
أسئلتها المتحمسة.

لم تسمع ذرات التراب المنحدرة من أعلى السلم الحديدي ولا أنات  
الدرجات الصدئة.

في حجرة الاستقبال، استطاعت، من دون أن ترفع عينيهما، أن تسمع

صوت خجليات أصابع «ثيودورا» على مسند الكرسي، وحركات قطع المطرنج على اللوح الأملس.

الفتح باب المكتبة وصدح صوت خطوات غاضبة تتجه نحو حجرة الاستقبال، فالتفت الجميع نحو السيدة «مونتاجيو»؛ إذ دخلت عليهم سائحة بصوت حاد وأنفاس متقطعة:

- يجب أن أقول إن هذا أكثر شيء يمكن...

- عزيزتي..

أزاحته السيدة «مونتاجيو» من طريقها مكملة:

- يمكن أن يثير الغضب لدى.. فلو أن لديك بعضًا من الاحترام..

دخل «آرثر» خلفها وارتمى جالسًا على الأريكة، نظرت له «ثيودورا» لهز رأسه محذراً من أن تتكلم.

- الاحترام يختصُّ عليك يا «جون»، بعد أن قطعت تلك المسافة أنا و«آرثر» كي نساعدكم، ألا أجد منك كل هذا التهكم والتشكيك، بل منكم جميعاً. وهؤلاء...

وأشارت برأسها نحو «ثيودورا» و«إيليانور».

- هؤلاء النساء.. كل ما أردته منكم أقل القليل من الثقة، والتفهم ل بكل ما أفعله من أجلكم. لكنكم شركتم في، سخرتם، تهكمتم..

أشهرت إصبعها في وجه الدكتور محمرة الوجه هاتفة:

- اللوح، لم يتحدث إلى الليلة، ولا كلمة واحدة، كثيجة لأفعالكم

وخلقكم. ربما لن يحدثني اللوح لأسابيع مقبلة. لقد حدث هذا من قبل، أؤكد لك أنه حدث من قبل عندما عرضت سمعته لمجموعة من المشككين. قد أفقد اللوح مدة لا أعلمها، وكل ما أجده منكم هو الإهانة

ظللت مشهراً إصبعها في وجه الدكتور هنية بلا كلمات.

- عزيزتي، أؤكد لك أن ما حدث لم يكن عن قصد منا أبداً.

- كتم تسخرون وتهكمون، ألم تفعلوا؟ تشککون في اللوح بعد كل ما حدث أمام أعينكم؟ هؤلاء الشباب وقحون.

أزاحت السيدة «مونتاجيو» «الوك» من طريقها وجلست قاطعة على أي محاولة للحديث. تنهد الدكتور وأشار لـ«الوك» كي يعود للشطرنج

يململ «آرثر» في كرسيه ثم مال هامساً لـ«ثيودورا»:

- لم أرّها في هذه الحالة من قبل. ما حدث كان صعباً عليها، أن تنتظر اللوح ليقضي إليها بلا نتيجة. كان ذلك بمثابة إهانة لها.

شاعراً بالرضا كونه قد برع في شرح الموقف، أستد «آرثر» ظهره إلى الأريكة ومد ساقيه مسترخيّاً.

بالكاد كانت «إليانور» تصغي لهم. كانت مشغولة بتفسير أنفاس وحركات الموجودين حتى لو لم ترفع عينيها نحوهم. كانت تسمع خطوات «الوك» رائحة غاديّاً، متمتماً بكلمات لم تفهمها. طريقة غريبة للعب الشطرنج.

التفتت «إليانور» خلفها فوجدت «الوك» جالساً يلعب أمام الدكتور، بينما استمر صوت الخطوات والتمتمات منبعثاً من متصرف الغرفة.

أيّا استطاعت «إليانور» أن تفهم تلك التمثيلات.

ـ «الذهب مشياً عبر القرية..

ـ الذهب مشياً عبر القرية..

ـ الذهب مشياً عبر القرية..

ـ كما كنا نفعل سابقاً».

كان الصوت أقرب للغناء، ابتسمت «إليانور» للحن الباهت اللطيف.  
كانت أغنية تعرفها.

وبحين أفاقت «إليانور» سمعت السيدة «مونتاجيو» تتحدث لـ«ثيودورا»:

ـ اللوح أداة حساسة للغاية..

ما زالت غاضبة، لكنها بدأت تلين أمام ابتسامة «ثيودورا» المتفهمة.

ـ أقل تشكيك يؤثّر فيه. ماذا ستشعرين لو شكك فيك أحد؟

ـ «لنخرج من النافذة ونُعد منها..

ـ لنخرج من النافذة ونُعد منها..

ـ لنخرج من النافذة ونُعد منها..

ـ كما كنا نفعل سابقاً».

كان الصوت لطيفاً، أقرب إلى صوت طفل يغنى برقة متقطع الأنفاس.  
ابتسمت «إليانور» وتذكرت الأغنية، فطغى صوت الأغنية في عقلها  
على صوت السيدة «مونتاجيو».

- «الذهب ونواجه أحبتنا..

لذهب ونواجه أحبتنا..

لذهب ونواجه أحبتنا..

كما فعلنا سابقاً».

تلاشى صوت الأغنية، وشعرت «إليانور» ببرقة هواء متبوعة بصوت خطوات يقترب منها، ثم زفير دافع على خدتها.

التفتت «إليانور» متجاجحة. كان «لوك» والدكتور بعد منكفين على لوح الشرطنج، «آرثر» مائل بجسده قرب «ثيودورا» بينما تتابع السيدة «مونتاجيو» حديثها.

لم يسمع أحد شيئاً ولم يشعروا بشيء.

لم يسمع أو يشعر سوأى.

## ٣٨

أغلقت «إليانور» باب غرفتها برفق خارجة، لم تُرِد أن توقظ «ثيودورا»، على الرغم من أن صوت غلق الباب بالكاد يسمع لشخص ينام عميقاً مثل «ثيودورا».

تعلمتُ أن يكون نومي حقيقياً حتى أسمع أمري عندما تنادي عليَّ. كان فهو مظلماً، لا يضيئه سوى ضوء القمر المتسلل عبر ستائر المسدلة، الأبواب كلها مغلقة.

تسللت «إليانور» بقدمين حافيتين على البساط الوثير.

شيء مضحك، أن أعلم أن هذا هو المنزل الوحيد الذي لا أقلق بشأن إحداث صوت فيه في أثناء الليل. على الأقل لن يظنني أحدهم مصدر الصوت. فكل شيء ينثر أو يفرقع.

استيقظت «إليانور» بخاطر ملح، يجب أن تنزل إلى المكتبة. وقد

زُوَّدَهَا عَقْلَهَا بِحُجَّةٍ مُقْنِعَةٍ، أَلَا وَهِيَ قِرَاءَةٌ شَيْءٌ يُسَاعِدُهَا عَلَى النَّوْمِ  
لَوْ قَابَلَنِي أَحَدُهُمْ سَأَخْبُرُهُ أَنِّي سَأَبْحَثُ فِي الْمَكْتَبَةِ عَنْ كِتَابٍ يُسَاعِدُهَا  
عَلَى النَّوْمِ.

وَصَلَّتْ إِلَى بَابِ الْمَكْتَبَةِ قَبْلَ أَنْ تَدْرِكَ ذَلِكَ، لَكِنَّهَا وَقَفَتْ شَامِراً  
بِأَنَّهُ غَيْرِ مُسْمَوحٍ لَهَا بِالْوَلُوجِ.

شَمِّتْ رَائِحةً عَطَنَ مَأْلُوفٌ، فَوَجَدَتْ نَفْسَهَا تَصْبِحُ:  
- أمي ..

جَاءَهَا الرَّدُّ مِنَ الدُّورِ الْعُلُوِّيِّ مُفَاجِئًا مُفْزِعًا.  
- تعالى ..

هَرَعَتْ «إِلِيَّانُورُ» تَجَاهَ الْدَّرِجَاتِ، تَقْطَعُهَا مَتْلَاحَقَةً الْأَنفَاسِ.  
- أمي ..

طَفَتْ ضَحْكَةٌ نَاعِمةٌ حَوْلَهَا، أَكْمَلَتْ صَعْدَهَا لِقْمَةَ الْدَّرِجِ وَتَوَقَّفَتْ،  
نَظَرَتْ يَمْنَةً وَيُسْرَةً، وَنَحْوَ الْأَبْوَابِ الْمَغْلُقَةِ.

- أَنْتِ هُنَا، فِي مَكَانِ مَا ..

رَدَدَ الرَّوَاقُ صَدِّي عَبَارَتِهَا ..

فِي مَكَانِ مَا .. فِي مَكَانِ مَا ..

رَكَضَتْ «إِلِيَّانُورُ» نَحْوَ بَابِ حِجْرَةِ الْأَطْفَالِ. لَقِدْ زَالَتِ الْبَقْعَةُ الْبَارِدَةُ  
عَلَى عَتِيبَتِهَا. رَفَعَتْ «إِلِيَّانُورُ» وَجْهَهَا نَحْوَ تَمَاثِيلِ الْطَّفْلَتَيْنِ عَلَى جَانِبِيِّ  
الْبَابِ مُبِتَسِّمَةً. هَمَسَتْ:

- هل أنت بالداخل؟ هل أنت بالداخل؟

راحت تدق الباب بقبضتيها في عنف. ردت السيدة «مونتاجيو»:

- أجل، ادخل أيّا من كنت..

لا.. لا..

لفت «إليانور» ذراعيها حول جسدها وضحكـت بلا صوت.

ليـست السـيدة «مونـتاجـيو» من أـريدـ.

ابتـعدـت «إـليـانـور» عـبـرـ الرـوـاقـ وـصـوـتـ السـيـدـةـ «ـمـونـتـاجـيوـ» يـتـعـدـ عـنـهـ:

- أنا صـديـقـتكـ، لا أـنـويـ أـيـ أـذـىـ.. اـدـخـلـ وـأـخـبـرـنـيـ بـهـاـ يـثـقـلـ كـاهـلـكـ.

لن تـفـتـحـ الـبـابـ. هيـ لـيـسـتـ خـائـفـةـ، لـكـنـهاـ لـنـ تـفـتـحـ الـبـابـ.

طـرـقـتـ «ـإـليـانـورـ» بـابـ «ـآـرـثـرـ»، ثـمـ اـنـتـقلـتـ لـلـبـابـ الـذـيـ تـغـفوـ خـلـفـهـ  
«ـثـيـودـورـاـ».

«ـثـيـودـورـاـ» اللـئـيمـةـ، الـحـاقـدـةـ. اـسـتـيقـظـيـ.. اـسـتـيقـظـيـ.

طـرـقـتـ الـبـابـ وـصـفـعـتـهـ وـرـكـلـتـهـ. أـدـارـتـ المـقـبـضـ مـرـاتـ وـمـرـاتـ،  
ثـمـ هـرـعـتـ لـلـطـرـفـ الـأـخـرـ مـنـ الرـوـاقـ حـيـثـ حـجـرـةـ «ـلـوكـ»، وـتـابـعـتـ  
الـطـرـقـاتـ الـخـانـقةـ.

افـتحـ أـيـهـاـ الـحـقـيرـ، اـفـتحـ. لـنـ يـفـتـحـ أـحـدـهـمـ بـابـهـ. سـيـمـكـثـونـ فـيـ الدـاخـلـ  
تحـتـ أـغـطـيـتـهـمـ يـرـجـفـونـ، يـتـسـاءـلـونـ عـنـهـاـ سـيـحـدـثـ لـاحـقاـ.

أـنـدـاـكـمـ أـنـ تـفـتـحـواـ أـبـوـابـكـمـ وـتـشـاهـدـونـ أـرـقـصـ مـنـفـرـدـةـ فـيـ «ـهـيـلـ  
هـاوـسـ».

سمعت صوت «ثيودورا» تنادي عليها، تنادي على الدكتور و«الولادة»  
وتخبرهما أنها ليست في غرفتها.

نزلت «إليانور» الدرجات مسرعة حين سمعت صوت باب الدكتور  
يُفتح، ثم صوته ينادي:  
- «إليانور».. «نيل»..

بالكم من حقى. الآن وجب علىي أن أدخل المكتبة.  
أمي.. أمي..

توقفت أمام باب المكتبة، من خلفها سمعت أصوات خطواتهم  
الحيرى في الأعلى.

غريب هذا.. أستطيع سماع صوت المنزل، أستطيع الشعور به.  
- يجب أن نبحث عنها، أسرعوا جميعاً..  
حسناً، يمكنني أن أسرع أنا أيضاً.

جرت «إليانور» نحو حجرة الاستقبال، حيث النار ما زالت تخبو  
بيضاء. الشطرنج في مكانه يشي بلاعبه، وشاح «ثيودورا» مدد على  
ظهر كرسيها.

أمسكت به «إليانور» ونهشته بين أسنانها مزقة أو صالة، ثم تركته  
حيث يجدونه على الدرج.

نزل الجميع متادين باسمها:

- «إليانور»، «نيل»..



سمعت اسمها يتربّد في مكان آخر بعيد عن المترّل.

أنا آتية، آتية..

اختبأت خلف الباب، تشاهدُهم يتخطّطون في ضوء كشاف الدكتور.  
كان باب المترّل مفتوحاً فهرع الجميع خارجين منادين باسمها.

تمسّكت «إليانور» بالباب الذي اختبأت خلفه وضحكَت حتى  
لم يمْعِت عيناهَا.

لقد خدعناهم بسهولة، أولئك المتخاذلون، الصنم.

دارت «إليانور» بين حجرات المترّل تضحك.

استطيع أن أذهب أني شئت، يمكنني الاختباء منهم فور سماعي  
صوتهم، أنا أسمع كل شيء وأشعر بكل شيء.

حين عادوا إلى المترّل، خرّجت «إليانور» إلى الشرفة، تداعب كاحليها  
نسمات التلال الباردة. نظرت «إليانور» إلى ما حولها هامسة:

«هيل هاوس» محظوظ، محمي بالتلّال ودافئ.

شعرت بوقع أقدامهم فدخلت إلى حجرة الرسم عبر الشرفة الخارجية  
ووقفت أمام تمثال «هيyo كريين».

- «هيyo كريين»، هلّا رقصت معّي؟

انحنى للتمثال الضخم، فلم يمْعِت عيناه. راحت ترقص أمامه وهو  
يشاهدها، متلاّثلاً في ضوء القمر.

راحت تغنى:

- «نخرج من النافذة ونعد منها..»

لنخرج من النافذة ونعد منها..»

لنخرج من النافذة ونعد منها..»

كما كنا نفعل سابقاً».

تدور «إليانور» حول المنزل عبر الشرفة الخارجية. تدور وتدور وتغنى. لمست باب المطبخ في دورانها، فارتعدت السيدة «ددلي» على بعد ستة أميال من المنزل.

وصلت إلى البرج، لن تستطيع أن تلمس جدرانه، فغير مسموح لها بالاقرابة أكثر. دارت حتى وصلت إلى الباب الرئيسي لكنه كان مغلقاً، لكنها دفعته برفق فانفتح. لقد صار «هيل هاووس» ملكاً لها.

صاحت:

- أنا هنا.. أدور حول المنزل وأغني وأرقص..

صدح صوت «لوك» منادياً:

- «إليانور»!

عادت «إليانور» نحو باب المكتبة ودفعته ثم دخلت.

ها أنا ذي، الجو دافئ لذيد.

رأت في ضوء القمر السلم الحديدي المؤدي لأعلى البرج، حيث يقع باب صغير في نهايته. من تحت قدميها تحركت أحجار الأرضية تداعب كعبيها. يحرك النسيم شعرها برفق ويعبّر من بين أصابعها.

رقصت في دوائر رافعة وجهها للأعلى، باسمة.

لا وجود لتمثالي الأسدية الحارسين.. لا وجود لأزهار الدفلة السامة.

لقد كسرت لعنة «هيل هاوس»..

لقد عدت إلى بيتي، عدت إلى بيتي..

لاتسلق إذا..

تسلق «إليانور» الدرجات الحديدية الصدئة. ترى من موقعها العشائش والأزهار حول المنزل، وترى البرج يعلوها. بدت لها السيدة التي صلت من أجلها، والطريق والقرية والدفلة القرمزية والأستان كان لم يكونوا. كل شيء انتهى والزمن قد توقف.

- «إليانور»!

للحظة لم تعرف من يكونون. هل هم ضيوفها في منزل الأسدية يتناولون العشاء على مائدتها المزданة بالشموع؟ هل أتى منهم أحد على ظهر جواد نازلًا لللال الأخضراء من أجلها ومن خلفه تتطاير الرياحات؟

ترددت في أمر صعودها أكثر، ورأتهم صغارًا بعيدين، يرمقونها من فوق الأرضية الحجرية. ينادون باسمها.

- «لوك».. دكتور «مونتاجيو»، «آرثر»..

لم تستطع تذكر أسماء البقية، وكانوا واقفين يرمقونها في ذعر. نادى دكتور «مونتاجيو»:

- «إليانور».. استديري برفق وتابعى الهبوط. ببطء.. ببطء.. وتمسكي جيدًا. هيا، لفي وانزلي..

تساءلت السيدة «مونتاجيو» مشوشة الشعر ترتدي رداء الحمام  
- ماذا تفعل بحق النساء؟! «أثر»، أنزلها فوراً وضعوها في فراشها  
تقدم «أثر» ومن خلفه «لوك» ويدأ في الصعود.  
- خذوا حذركم، فهذا الدرج صدئ متآكل يكاد يفصل عن الحالط  
صاحت السيدة «مونتاجيو» في راحة:  
- لن يتحملكم السلم معـاً، انزل يا «أثر» وتعال هنا بجوار الباب  
- «إليانور»، هل تستطيعين الاستداره والتزول بيـطـء؟  
لم يكـن يفصلـها عن القـمة سـوى الـباب الصـغير. رـاحت تـدفعـهـ، لـكـنـ  
لم يـتـزعـعـ. طـرـقـتـ عـلـيـهـ بـكـلـتـا قـبـضـتـهـ بـقـوـةـ.  
افتح.. افتح والأـلـحـقـواـيـ.  
نظرـتـ من خـلـفـ كـتـفـها فـرـأـتـ «لوك» يـصـعدـ فيـ ثـباتـ.  
- «إليانور»، لا تـتحرـكيـ، أنا قـادـمـ.  
كان صـوتـ «لوك» مـرـتجـفاـ خـائـفاـ. نـظرـتـ إـلـىـ الـوـاقـفـينـ فـيـ الأـسـفلـ  
فتـذـكـرـتـ اـسـمـ «ثـيـودـورـاـ».  
- «ثـيـودـورـاـ»؟  
- «نـيلـ»، أـفـعلـيـ كـمـ يـطـلـبـونـ مـنـكـ.. أـرجـوكـ.  
- «ثـيـوـ»، لا أـسـتـطـيـعـ أـنـ أـصـعدـ، الـبـابـ مـغـلـقـ..  
كـادـ «لوك» يـصـلـ إـلـىـ حـيـثـ كـانـتـ، فـقـالـ لـاهـثـاـ:

- اثبتي مكانك..

- اثبتي مكانك يا «إليانور»..

- «نيل»، أرجوك افعل ما يطلبوه.

- لم أفعل؟

نظرت «إليانور» إلى أسفل وتشوشت رؤيتها، السلم يكاد ينفك عن الحائط الحجري، يهتز ويتهايل بها. كل شيء يتهايل ويخفت.

- كيف أنزل؟ دكتور، كيف أنزل؟

- تحركي ببطء وافعل ما يقوله لك «لوك».

- «نيل»، لا تخافي، كل شيء سيكون على ما يرام.

رد «لوك» على صيحات «ثيودورا» ساخراً:

- بالطبع سيكون كل شيء على ما يرام. ربما يُدْق عنقِي فقط حين أسقط. «إليانور»، أريدك أن تنزلِي أمامي. يهدوء.. سأبعك.

بوجه مبتلٍ بالعرق ويدين مرتاحتين، شجع «لوك» «إليانور» على أن تنزل نحوه.

- آخر مرة قلت لي فيها إنك ستتبعني لم تفعل.

- يمكنني أن أدفع بك من فوق السلم وأتركك تحطمن على الأرض؛ لذا، أطيعي وانزلي أمامي.

نزلت «إليانور» ملصقة ظهرها بالجدار الحجري، عابرةً من أمام «لوك».

- انزلي، أنا خلفك..

نزلت في خطوات مرتجلة السلم المتداعي، ولم تنظر إلى أسفل بعدها ركّزت تفكيرها على الدرجات التي كانت تئن وتلتوي تحت قدميها العاريتين، تحاول سباع خطوات «لوك» خلفها لطمئن. قبيل وصولها بلحظات اهتز السلم وكاد ينداعي. هرعت «ثيودورا» لتمسك الدرجات وتسند «إيليانور».

أمسك بها الدكتور و«ثيودورا» بين أذرعها ووضعها على كرسي بجوار الكتب. ومن مكانها رأت السلم المخلوع من أعلى يتارجع ويتلوي في الظلام.

تراجعت السيدة «مونتاجيو» أكثر هي و«آرثر» إلى الباب، حيث يتحاشيان ان bianar السلم فوقهما.

- لا بد أنكم تتفقون معي على أن تلك الشابة منحتنا ليلة ليلاً بها فيه الكفاية! ساوي إلى فراشي، هيا يا «آرثر».

قال الدكتور:

- «هيل هاووس»..

- هذا الهراء حتى أضاع فرصة رؤية تجسدات الليلة. لن نرى أحداً من أصدقائنا من العالم الآخر بعد تلك الضوضاء كلها؛ لذا اغذروني، سأذهب للنوم لو كنتم قد انتهيتم من العرض واذ عاج من لديهم عمل ليؤدّوه.

خرجت السيدة «مونتاجيو» وخلفها «آرثر». نظرت «إيليانور» إلى

الباب ثم إلى الدكتور و «ثيودورا».

- لقد كان «لوك» خائفاً..

- كان «لوك» خائفاً بالطبع. كنت أخشى أن نسقط ويستهوي أمرنا.  
باللث من أناقية.

وافق الدكتور على كلام «لوك» وكذا فعلت «ثيودورا»، ثم أضافت:

- «نيل»، هل كنت مضطرة لفعل هذا كله؟

- أنا بخير.

لم تستطع «إليانور» النظر في وجه أيٍّ منهم، وظللت تحدق في قدميها متعجبة من أنها حملتها حتى نزلت.

- لقد جئت للمكتبة كي استعير كتاباً يساعدني على النوم.

## ٣٩

كان ما حدث كارثة، مهيناً. فعلت «إليانور» مثلما فعلوا، تناولت إفطارها واستمتعت بالشمس، وأدلت برأيها في أمور لا تذكرها. للحظات كادت تقتنع أن شيئاً لم يحدث ليلة أمس.

كانوا يعاملونها بشكل طبيعي ويعاملون بعضهم البعض كما اعتادوا. بعد الإفطار ذهبوا إلى حجرة الاستقبال وجلسوا أمام المدفأة.

ـ سيرحضر «لوك» سيارتكم.

على الرغم مما كان ي قوله الدكتور، فإنه قاله في رقة ورفق.

ـ ستتصعد «ثيودورا» لتحزم لك حقائبك.

قهقهت «إليانور» قائلة:

ـ لن تجد «ثيودورا» ما ترتديه إذا...

بدأت «ثيودورا» عبارة لم تكملها، بل أكملتها السيدة «موتا جيو»:

- لقد فحصتُ الحجرة، ولا أعرف لمَ لم يخطر ببال أحدكم فعل ذلك من قبل.

- كنت سأفحصها يا عزيزتي..

- «جون»، لن تفعل شيئاً، فلا تخاיבث عليَّ. أنا فحصتها.

سؤال «لوك»:

- أي حجرة؟ حجرة «ثيودورا»؟

- لم يكن ثمة عطب بها.. الحجرة سليمة تماماً ويمكن للأنسنة أن تستعيد ملابسها.

- بالفعل يا دكتور، لقد دخلت الغرفة ووجدت أن ملابسي في حالة ممتازة كأن شيئاً لم يكن.

- بالطبع تحتاج الغرفة إلى تنظيف التراب، لكن ماذا أتوقع إن كتم قد أغلقتم الباب ولم تستطع السيدة «ددلي» الدخول؟ هزَّ الدكتور رأسه ناظراً إلى «إليانور» في أسف قاتلاً:

- لا أستطيع أن أعبر لك عن أسفني، لو أن ثمة ما يمكنني فعله لك..  
ضحكت «إليانور» في محاولة لكسب وقت تفكير فيه فيما يمكنها قوله.

- لكنني لا أستطيع الرحيل.

- لقد مكثت هنا بما يكفي.

حدقت «ثيودورا» بها وقالت في صبر:

- لا أحتاج إلى ملابسك. ألم تسمعي ما قالته السيدة «مونتاجيو»؟  
«نيل»، يجب أن ترحل من هنا.

استمرت «إليانور» في ضحكتها، فلم يكن في وسعها شرح موقفها أكثر.

- لكن لا يمكنني الرحيل!  
قال «لوك» محاولاً إنتهاء الأمر:

- سيدقي، أنت غير مرحب بك كضيافة في ممتلكات عائلتي.. آسف.

- ربما لو أوصلها «آرثر» إلى المدينة لاستطاع أن يتأكد من وصولها  
سلامة، أليس كذلك يا «آرثر»؟

هزت «إليانور» رأسها يمنة ويسرة مؤرجة شعرها الكثيف حول  
رأسها، وسألت في سعادة:

- يتأكد من وصولي إلى أين؟

- لمنزلك بالطبع. «نيل»، سиюصلك إلى شقتك الصغيرة اللطيفة،  
حيث كل ما تملكون وتحببون.

- «ثيو»، ليست لدى شقة، لقد اختلفت هذا كلها! أنا أنام على مهد  
في حجرة الأطفال في بيت اختي. ليس لدى بيت ولا أي مكان آخر  
أذهب إليه. لا أستطيع العودة إلى اختي لأنني سرقت سيارتها!

ضحكت «إليانور» لوقع كلماتها الحزينة المؤلمة. نظرت إليهم مرة  
أخرى مستعطفة:

- ليس لدىَ بيت، كل ما أملك مكؤم في صندوق معي، على المقعد الخلفي للسيارة. كل ما أملك هو بعض الكتب، وألعاب من طفولتي، وساعة يد أمي؛ لذا، لا يوجد مكان في مقدوركم إعادتي إليها.

يمكنتني أن أحكي، وأحكي.. أن أستمتع برؤيه وجوههم المحملقة المتفاجئة. يمكنتني أن أترك ملابسي لـ«ثيودورا» وأهيم على وجهي بلا مأوى، لكتني ساعود دوماً إلى هنا، إلى «هيل هاووس». ليتركوني إذا هنا، هذا أسهل وأوقع.

- أريد أن أظل هنا.

قالت السيدة «مونتاجيو» متحاشية النظر إلى «إليانور»:

- لقد هاتفت أختك بالفعل، فسألتني أولاً عن سيارتها. كان تصرفاً وقعها من «إليانور»، لكتني طمامتها على عودة السيارة. كان من الخطأ يا «جون» أن تسمع للشابة أن تسرق سيارة أختها حتى تأتي إلى هنا.

- عزيزتي.. أنا لم أعرف..

لم يجد دكتور «مونتاجيو» ما يكمل به كلامه، ففرد كفيه أمامه في حيرة وصمت.

- على أي حال، يجب أن تعود السيارة إلى صاحبتها. السيدة تريد أن تمضي إجازتها.

- أتفق معك يا عزيزتي، لكن من غير المحبذ أن نرسل أحدنا معها إلى المدينة. يجب أن تنسى «إليانور» كل شيء عن هذا المنزل وعنّا. يجب أن تتبعد لتسعيد ذاتها مرة أخرى. «إليانور»، هل تعرفي طريق العودة؟

أجابت «إليانور» سؤال الدكتور بضحكه أخرى. قالت «ثيودورا» في عجلة:

- سأحزم لها حقيبتها، ولتذهب يا «لوك» لحضور سيارتها أمام الباب.

ضحكـت «إليانور» مرة أخرى أمام وجهـهم المتحجرـة:

- دفنت حـية خـلف جـدار.. دـفنت حـية.. أـريد أـن أـظل هـنا.

## ٤٠

وقفوا صفًا أمام الباب الرئيسي للمنزل، كجدار حام يمنعها من العودة. تطل عليهما نوافذ «هيل هاوس» ويظللها البرج الرمادي العتيق.  
لو كان لها أن تبكي ليكت، لكن فيم البكاء؟ فابتسمت وهي تملأ عينيها بالمنزل، بنظراته الناعمة التي أطلت عليها فأفرغتها يوم أن جاءت.  
المنزل ينتظر الآن، يتضرفي. ولن يرضيه أحد سواي.

- «هيل هاوس» يريدني أن أبقى.

حدق الدكتور بها من دون رد، كان ظهره مواجهًا للمنزل ولم يبد عليه أي تفهم لما تقول.

- أنا آسفة، أنا فعلًا آسفة..

- ستدفين إلى قرية هيلزديل.

اختصر كلماته خشية أن يوح بما لا يقال، خشية أن يتفوه بكلمة

طيبة أو بادرة تعاطف تزيّن لها البقاء.

استدارت «إليانور» تجاه سيارتها، أدارت عينيها بين التلال الخضراء والشمس الذهبية من خلفها.

- حين تصلين هيلزديل، ستدخلين إلى طريق رقم خمسة المتوجه شرقاً، في آشتون استمري في الطريق رقم تسعة وثلاثين وسوف يوصلك إلى المدينة. عزيزتي، كل ما أفعله لأجل سلامتك. لو كنت أعرف ما سيحدث لكِ لكونت...

- أنا آسفة للغاية.

- لن نستطيع أن نغامر بأحدٍ منا. لقد أدركتُ الآن ما جررتكم إليه من مخاطر. الآن، تذكري، ستقودين حتى هيلزديل ثم...

- سيدتي، أنا لم أكن خائفة. أنا بخير الآن.. كنت، كنت سعيدة! سعيدة! لا أعرف كيف أصف لكم شعوري.. أنا لا أريد أن أبتعد عن «هيل هاوس».

- ألا تفهمين أننا لن نستطيع المخاطرة بكِ مرة أخرى؟

- لا تقلق، إحداهن تدعوه الله لي. امرأة قابلتها منذ زمن.

كان صوت الدكتور رقيقاً، لكنه لم يكُفَّ عن هز قدمه متواتراً.

- سوف تنسين هذا كله سريعاً. يجب أن تنسى كل شيء عن «هيل هاوس». لقد كنت خطئاً حين دعوتكِ.

- كم أمضينا هنا؟

- نحو أسبوع، لم تسائلين؟

- كان هذا الزمان هو أفضل وقت مر على في حياتي.

- لذلك يجب أن ترحي في أسرع وقت.

أغلقت «إليانور» عينيها وتنهدت. كانت تشعر وتسمع وتشم «هيل هاوس» بكل تفاصيله. رائحة الأزهار الفواحة خلف المطبخ، صوت خرير مياه الجدول، النسيم يدفع ذرات الغبار على أرضية الطابق العلوي في رقة، السلم الصدى ما زال يتمايل مع الريح، عيناً تمثال «هيو كرين» تتألقان في ضوء الشمس المتسلل من بين الستائر، صوت السيدة «ددلي» تجهز الغداء لخمسة أشخاص.

كان «هيل هاوس» يراقب في صبر وغورو.

- لن أرحل.

قالتها «إليانور» مخاطبة النوافذ العلوية، عيني «هيل هاوس». فقد الدكتور تعقله وصبره صالحًا:

- سترحلين، حالاً!

ضحكـت «إليانور» واستدارت مادة كفها تجاه «الوك»:

- «الوك»، شكرًا المساعدي ليلاً أمس. لقد كانت حماقة مني، وكانت شجاعة منك.

- لقد فوجئت بما فعلت. الفضل لك في أن أعرف أكثر عن نفسي. سعيد بمعرفتك يا «نيل»، وأعتقد أننا لن نلتقي ثانية.

هتفت السيدة «مونتاجيو» في نفاد صبر:

ـ لا أجد داعيًّا للوداع في حين يملك كُلُّ منا طنًا من الأعمال التي عليه الانتهاء منها. لافائدة من الجدل ما دام رحيلك مؤكداً. عودي إلى المدينة، أختك في انتظار سيارتها.

بعيداً في القبو، يتزل الرماد برفق من المدفأة.. برفق..

ـ «جون»، أعتقد أن إرسال «آرثر» معها قد يكون أفضل للـ...

ـ لا، يجب أن تعود «إليانور» وحدها كما جاءت وحدها.

قادها «لوك» والدكتور إلى باب سيارتها، وأجلساها داخلها. في المقعد الخلفي وضعا حقيبتها إلى جوار صندوق مقتنياتها. على الكرسي المجاور كانت محفظتها وقفازها في مكانهما، وكان «لوك» قد ترك المحرك دائراً.

تمسكت «إليانور» في ملابس دكتور «مونتاجيو» وتشبت، فأزاح يدها بقوة:

ـ آسف.. وداعاً يا «إليانور».

ـ لا يمكنك أن تخبرني على الرحيل، لقد جئت بي إلى هنا بنفسك!

ـ وها أنا أرسلك بعيداً عن هنا كما جئت بك. لن ننساك يا «إليانور»، لكن الأهم أن تنسى أنت «هيل هاووس» وتنسينا جميعاً.. وداعاً.

وضعت «إليانور» كفها على نافذة السيارة واستدارت برأسها:

ـ «ثيو»..

هرعت «ثيودورا» نحوها دامعة:



- كنت أظنك ستر حللين من دون أن تودعنيني. «نيل»، «نيللي» عزيزتي، أرجوكِ، حاوي أن تكوني سعيدة. لا تنسيني، فيوماً ما قد تتغير الظروف وننزوء بعضنا البعض، وسننفهي وقتاً رائعاً مسترجعين ما مرت بنا هنا.. «نيل»، كنت أخشى أن ترحي من دون وداعي.

- وداعاً «ثيودورا»..

مدت «ثيودورا» كفها ووضعتها على خد «إليانور».

- «نيللي».. اسمعي، ربها نتقابل هنا مجدداً يوماً ما.. هل تذكري رحلتنا الخلوية التي لم نقم بها؟

- وداعاً «ثيو»، وداعاً سيدة «مونتاجيو»، وأنت يا «آرثر».. وداعاً.

شعرت «إليانور» بأن السيارة معادية غريبة؛ فقد اعتادت على فخامة «هيل هاووس» ورحابته. ذكرت نفسها بأن تلوح لهم من نافذة السيارة، فربما كان لديهم ما يقولون لها.

- وداعاً.. وداعاً..

رفعت فرامل اليد وتركت السيارة تتحرك في بطء. لوحوا لها في سأم، ظلوا واقفين ليتأكدوا تماماً من رحيلها.

سوف يراقبوني حتى أغيب عن أعينهم. شعور طيب أن يتبعوا رحيلي. ها أنا أرحل، إلى حيث تنتهي الرحلات بلقاء الأحبة دوماً. لكنني لن أرحل.. «هيل هاووس» ليس بالبساطة التي يظنوها، لن أرحل مجرد أنهم يريدون ذلك. «هيل هاووس» يريدني أن أظل معه.

ضحكـت بصوت رـجـ السـيـارـةـ منـ حـوـلـهـاـ وـرـاحـتـ تـنـشـدـ:

- ارحل يا «إيلانور»، ارحل يا «إيلانور»، لا نريدك هنا في متزينا، في «هيل هاوس». ارحل يا «إيلانور»، لا يمكننا البقاء. لكنني أستطيع.. ليس هم من يضعون قواعد اللعبة هنا. لن أرحل، «هيل هاوس» ملكي.

ضغطت بقدمها على دواسة البنزين..

لم يستطعوا اللحاق بي هذه المرة. لكن لا بد أنهم يدركون الآن ما أفعله. ترى من فهم أولًا؟ «لوك» على الأرجح. أسمعهم ينادون علي..

أنا حقًا أفعلها.. أتحرر..

أدانت المقود نحو الشجرة العملاقة عند منعطف الطريق، وقبل أن تسقط السيارة عند الجذع العظيم خطر لـ«إيلانور» خاطر..

ما الذي أفعله؟! ما الذي أفعله؟! لم لا ينقذني أحد؟!

## ٤١

شعرت السيدة «ساندرسن» براحة عارمة حين علمت برحيل دكتور «مونتاجيو» ورفاقه عن «هيل هاوس». قالت للمحامي إنها كانت ستطرد هم لو ظهر على الدكتور «مونتاجيو» أي نية للبقاء أكثر.

سعدت صديقة «ثيودورا» بعودتها، بينما سافر «لوك» إلى باريس لیظل فترة بعيداً عن كل شيء وعن رفاق السوء كما ثمنت عمته دوماً. ترك الدكتور «مونتاجيو» مؤخراً التدريس نهائياً بعد الصدي الذي أحدثه بحثه عن الظواهر الخوارقية في «هيل هاوس» ونجاح كتابه. أما «هيل هاوس» نفسه، فوقف شامخاً وسط التلال، يحوي الظلم بين جنباته. صمد «هيل هاوس» هنالك لمدة ثمانين عاماً، وربما يظل كذلك لثمانين عاماً أخرى.

في باطنه، استمرت جدرانه متتصبة، وأحجاره متراصّة، وأرضياته  
راسخة، وأبوابه موصدّة. يغفو الصمت هائلاً في «هيل هاوس».  
وأياً ما كان يجول في جنباته، يجول وحيداً.

تمت

أكتوبر ٢٠١٩ م





# أثيولوجياً هيل هاوس

تلقي «البانور فاتس»، رسالة من الباحث في مجال الماورائيات، دكتور «جون مونتاجيو»، يدعوها فيها إلى قضاء عطلة الصيف في المنزل المسكون الذي يُحرى فيه بحثاً علمياً برفقة «بيودورا»، ووريث المنزل «لوك ساندرسن».

ترك «البانور» خلفها حياتها البائسة العزينة، لكنها لن تستطيع الخلاص من تأثير الضمير وعيشه وجودها، لتصبح تلك المشاعر المريضة معها إلى «هيل هاوس»، منزل التل، الذي كان يتضررها في صبر وخيث.

## المؤلفة

شيرلي هاردي جاكسون، كاتبة أمريكية ذات صيت في مجال أدب الرعب والغموض، ولدت عام 1916، وتوفيت عام 1965.

على مدار عشرين عاماً كتبت جاكسون ست روايات وستين ذاكرة، وأكثر من مائتي قصة قصيرة، ولها جائزة باسمها تمنع للمبدعين في مجال الكتابة في أدب الرعب والغموض.

## المترجمة

شيرين هنائي، كاتبة رواية ومحرجة رسوم متحركة وكاتبة سيناريو مصرية، ومحاضرة معتمدة من الأكاديمية العالمية للفنون والإعلام والإبداع بالولايات المتحدة في مجال ورش التدريب على الكتابة الإبداعية والرواية. صدرت لها روايتان مصورتان للكبار "كومiks": هما "عجين القمر" و"الموت يوماً آخر". وفي مجال الروايات الطويلة، صدرت لها روايات "ذكريوفيليا" 2011، "صندوق الزمن" 2012، "طغراء" 2014، "ذات بلوستون" 2015، "أسفار النهايات" 2017، "ملاعيب الظل" 2019.

